مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع
الأعمال الخاصة

فاروق ملكاً ١٩٣٦ - ١٩٥٢

61

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس





الهيئة المصرية العامة للكتاب


MIDO
فاروق ملكًا

فــاروق ملكــاً

١٩٣٦ - ١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس

رشــاد كامـل



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

فاروق ملكاً

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس رشاد كامل

الجهات المشاركة :

جميعة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلي للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى :

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

فاروق ملكا
قصة كتاب له تاريخ

فى هدوء شديد وصمت أشد فوجئ الناس عامة والمثقفون خاصة بصدور مجلة اسمها «الفصول» فى صيف عام ١٩٤٤.

كانت المجلة حدثا ثقافيا وأدبيا وفكريا بارزا لفت انتباه المثقفين!

كان رئيس تحرير المجلة الشهرية وصاحب امتيازها هو الكاتب الكبير «محمد زكى عبد القادر» صاحب أشهر عمود فى الصحافة المصرية طوال ٤٠ عاماوهو عمود «نحو النور».

وقبل ذلك كان «محمد زكى عبد القادر» مشغولا مع عدد من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد بتكوين وانشاء «جماعة النهضة القومية» تعنى ببحث مشكلات مصر ودراستها دراسة موضوعية واصدار كتب أو نشرات عنها كمحاولة لتكوين رأى عام مستنير يتجه إلى الإصلاح بروح فاهمة ودارسة.

واختار اعضاء هذه الجماعة أن يجتمعوا فى مقر مجلة «الفصول» (١٧ ش شريف) وكان من بين الموضوعات التى ناقشوها وسرعان ما وجدت طريقها للنشر فى «الفصول» موضوعات مثل الإصلاح الزراعى والملكية الزراعية والنظام البرلمانى والتنمية الاقتصادية

ومن الكتب الهامة والخطيرة التى صدرت عن اعضاء هذه الجماعة «الاصلاح الزراعى» لمريت غالى، و«البنك المركزى» للدكتور أحمد ابراهيم، والوضع القانونى للمسألة المصرية السودانية للدكتور زهير جرانه، ومسألة

فلسطين لجفرى بطرس غالى، والنظام الدولى للدكتور وحيد رأفت وغيرها من الموضوعات الجادة.

باختصار شديد جذبت مقالات ودراسات وأبحاث «الفصول» أغلب شباب مصر الذى كان يبحث عن الجدية والجدة.. كانت مجلة تعبر عن قلق الشباب وهمومه الوطنية في شكلها العام.. واجتذبت الفصول عشرات الأسماء الشابة فى ذلك الوقت، وكان أحمد بهاء الدين (١٧ سنة) أحد هؤلاء الشباب الجادين!!

عن أحمد بهاء الدين وباقى زملاء جيله الشباب كتب محمد زكى عبدالقادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» يقول:

كانت «الفصول» حينئذ قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار، وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد.. وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصا متساوية.. بعضهم بل كلهم تقريبا، لم تكن لى معرفة سابقة بهم، جاءونى على غير معرفة وقدموا إنتاجهم، وكنت أقرأه بإمعان، فإذا أجزته نشرته دون احتفال بما إذا كان الاسم معروفا أو غير معروف.. وجرت أقلام عديدة على صفحات الفصول وأصبح للكثير منها اسم وذكر وتألق فيما بعد.. عثمان العنتبلى.. سعد رضوان.. حسين القبانى.. موسى صبرى.. أحمد حمروش.. يحيى أبو بكر.. يوسف الشارونى.. عادل ثابت.. أحمد بهاء الدين.. فتحى غانم.. نعمان عاشور.. أنور المشرى..

ويختتم زكى عبد القادر كلامه قائلا: وكان الاستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمسا، وأنست له، وأفسحت له الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى «الأهرام» بعد وفاة المرحوم «انطون الجميل باشا» فزادت مسئولياته فى الفصول إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله.

وعن ذكريات هذه المرحلة عامة ومجلة «الفصول» خاصة، قال الاستاذ «أحمد بهاء الدين» (ضمن حوار طويل نشر فى مجلة صباح الخير) ما يلى:

كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد ظهرت ردا على مجلة المختار (ردرز دايجست) وكانت هذه المجلة ـ أى الفصول ـ لهاطابع فكرى جاد وكنت من قرائها، وأرسلت لها بعض المقالات كقارئ ونشرت لى، وذهبت إلى الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» صاحبها ورئيس تحريرها ـ بدون سابق معرفة ـ وعرفته بنفسى وقلت له: أننى أحب أن أكتب فى المجلة!

وفى نفس حوارى السابق مع الأستاذ «أحمد بهاء الدين» وعندما أعدت على مسامعه سطور الأستاذ زكى عبد القادر عنه، ظهر التأثر الشديد عليه وقال لى:

«أنا أعتز بهذه الفترة جدا، فقد أصبحت مدير تحرير الفصول وعمرى وقتها حوالى ٢١ أو ٢٢ سنة، لأنه واقعيا. كان الأستاذ «زكى عبد القادر» قد أصبح رئيسا لتحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن سرعان ما أصبح لها مركز جذب للمثقفين.

واعتز ـ أى بهاء ـ أننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا فى «الفصول» لأول مرة بأسمائهم ومنهم فتحى غانم وعبد الرحمن الشرقاوى، وأحمد رشدى صالح، وكان وقتها مختفيا لأنه كان مطلوب القبض عليه ويكتب باسم مستعار، وأيضا نشرت للدكتور على الراعى ويوسف الشارونى ونعمان عاشور وبدر الدين أبو غازى وعدد ملفت آخر غيرهم تجمع فى مكتب الفصول، وسرعان ما تحول ذلك كله إلى نوع من الملتقى».

إنها فترة مهمة جدا وجميلة من حياتى، هكذا قال «أحمد بهاء الدين عن تجربته فى الفصول»!.

●●●

واقع الحال أن «أحمد بهاء الدين» رغم صغر سنه فقد أصبح هو الآخر نقطة جذب للكثير من الشباب المثقف فى ذلك الوقت، كانوا يقرأون



مقالاته في الفصول فيظنون أن كاتبها لابد وأن يكون رجلا تجاوز الأربعينات من العمر.

وهذه شهادة المثقف العربي الكبير أكرم ميداني، (والذي يشغل الآن منصب استاذ الفن والأدب الانجليزي بجامعة كارنيجي ميلون في بتسبرج بالولايات المتحدة) يقول أكرم ميداني:

. في خريف سنة ١٩٤٨ بدأت أقرأ مجلة شهرية محدودة التوزيع اسمها «الفصول»، وصاحبها «محمد زكي عبد القادر» وكان من الكتاب ذوي الفكر النزيه، وقد أصبح هدف غضب السراي لأنه كان ممن يدافعون عن الدستور بحرارة، ولما تولى إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة بعد استقالة وزارة النقراشي عام ١٩٤٦ كان من أغراضه القضاء على كل من هو صاحب فكر حر تحت ستار محاربة الشيوعية، واستهدف عددا من الكتاب والمثقفين مثل د. محمد مندور وسلامة موسى ومحمد زكي عبد القادر.

وكان محمد زكي عبد القادر بسمعته النظيفة قد استقطب عددا من المفكرين من الشباب وغيرهم منهم مريت غالي أول من نادى بالإصلاح الزراعي ضمن إطار عقلاني منظم. أما مجلة الفصول فكانت قد أخذت شكلا حديثا جذابا مقروءا وذلك بفضل محرر جديد بدأ اسمه يظهر على صفحاتها: أحمد بهاء الدين.

وكنت وصديقي «نعمان عاشور» نرقب في ذلك الحين هذه الأسماء الجديدة ونناقش ما تكتب، وسألت نعمان عما يظن في هذا الوجه الجديد فأجاب بأنه يعتقد أن الكاتب الذي ينشر باسم «أحمد بهاء الدين» هو كاتب ذكي محنك لابد وأنه من الشخصيات المجربة وقد آثر أن يكتب باسم «أحمد بهاء الدين» (هذا الاسم متماسك متكامل ولا يمكن أن يكون اسما طبيعيا، إنه دون شك اسم مستعار انتحله، رجل مهم من السياسة أو الاقتصاد أو المحاماة).

ويضيف أكرم ميداني في نفس شهادته قائلا:

رغم أنني لم اقتنع تماما بافتراض «نعمان عاشور» لكنني وجدته مقبولا، حتى وقعت مفاجأة، فقد جاءني «نعمان» ذات يوم يقول إن «أحمد بهاء الدين»

ليس اسما مستعارا بل هو اسم حقيقي لمحام شاب يعمل بوزارة المعارف، وقد تبين له هذا من خلال شخص يعرفه على صلة بمحرر مجلة الفصول، قال نعمان إن صديقه الذي يؤكد على حقيقة قوله على استعداد ليأخذنا معا إلى مجلة الفصول ويقدمنا إلى محررها.

وذهبنا إلى المجلة ذات يوم عند الساعة الخامسة بعد الظهر في مكتب محمد زكى عبد القادر للمحاماة، وفى غرفة صغيرة نظيفة قليلة الضوء مكتب جلس خلفه شاب فى الواحد والعشرين من العمر.

قال لى نعمان عقب هذه الزيارة إن أول انطباع تكون لديه أن «أحمد بهاء الدين» هو صورة «مخلق منطق» للمصرى أفندى كما كان يرسمه «صاروخان» فى مجلة آخر ساعة، كانت هذه الملاحظة فى محلها، وقد تأملت طويلا صدق معناها بعد أن توثقت علاقتنا واتصلت مدى السنين: الذكاء والصوت الهادئ والطبع الدمث، بل أكثر من هذا كله صورة المصرى الوديع الذى يحمل إرادة صلبة ونفسا أبية».

بعد زيارة التعارف بدأت أزور بهاء فى مجلة الفصول وأحيانا فى مكتبه اليومى، حيث كان منذ اواخر سنة ١٩٤٧ موظفا فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وقد ذكر لى بصوت الفخر والاعتزاز: إنها الإدارة التى كان يرأسها «توفيق الحكيم» فى الماضى القريب.

فى الأسابيع الأولى من معرفتنا أخذت أدرك الجوانب الأصيلة فى شخصية صديقى الجديد، أولها الصدق، والأمانة فى المعرفة الذاتية، وكنت أظن أن تعلمه القانون قد طوع نفسه ليصبح دائما قاضيا يدرك ماله وما عليه، لكننى بعد حين تبينت أن هذه خصلة مصرية قد افتقدتها لدى الآخرين، وهى التى تظهر الآن فى شخص بهاء.

قال لى إنه يفكر منذ حين فى إصدار عدد خاص من مجلة «الفصول» ليكون معدا للطبع فى اواخر سنة ١٩٤٩ عن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، وطلب منى أن أفكر فى موضوع أساهم به فى هذا العدد، وقال إن

الغرض ألا يمتدح العدد ما أنجزه المصريون في هذه الفترة لأن هذا شائع بل لينظر إلى مصر من الداخل ويعرف عالم المسئولية العامة.

وسمعت منه في ذلك الحين قبل أن تطرح مسألة العمل السياسي واختلافها عن الشعارات أن تقبل النقد من الداخل هو أول ما ينبغي أن يتعلمه الناس حتى لا يقع أحد في أحبولة الكذب، وأن الحاكم الذي يصيغ الكلمات لإغراء المحكوم وتغطية عينه بالوهم إنما هو الذي يبسط الطريق إلى الفساد وعباءة العجز..

كتبت لعدد الفصول الخاص مقالا مطولا عن الصحافة في مصر في نصف قرن وكان مطابقا لمعرفتي مصر وتربيتي على أرضها. لأنني بدأتها عن طريق قراءة الصحف، ويظهر أن المقال نال قبول استحسان محمد زكي عبد القادر الذي طلب أن أقابله، وبعد ذلك أصبحت عضوا في أسرة الفصول، أحضر ندوتها مساء كل خميس في منتصف الشهر.

قال لي بهاء بعد أن أصبحت من كتاب المجلة أن أضع في حسابي أنه ليست هناك أجور تدفع للمحررين حتى هو كمسئول عن التحرير لا يتقاضى أجرا عن عمله، ولم أناقش هذا الأمر معه كثيرا لأنني اقتنعت برأيه وهو أن المجلة لها سمعة جيدة بين المثقفين والكتابة فيها تتيح مجالا لتعلم المهنة، ودار في خاطري أن هذا ما جعل بهاء يعطي جهده ووقته دون أجر، فقد كان دؤوبا في كتابته، ومجدا في إدارة التحرير كي يتعلم المهنة».

لكن هذا لم يرض صديقي نعمان عاشور، وأخذ يسلط نكته اللاذعة على المجلة وصاحبها وقد كان في رأيه أنها مسألة مبدأ، إذ يشترط في احتراف أية مهنة، أن يدفع أجر للممتهنين».

وعندما كان «نعمان عاشور» يحضر ندوة الفصول في مساء الخميس يكثر من أكل الكنافة التي يأتي بها زكي عبد القادر معتقدا أنه يأخذ شيئا من حقه لو أكل أكثر من غيره».

ذات يوم سنة ١٩٥١ كنت أنتظر بهاء في مكتبه في مجلة الفصول حين جاء الساعي ووراءه رجل طويل القامة بدت عليه مظاهر الجد، وأشار الساعي

إلى راختفى، سألنى الرجل المحترم: هل أنت الأستاذ أحمد بهاء الدين؟ وقبل أن أجيبه تابع يقول إنه من القراء المعجبين، فهو من بغداد حيث تصل الفصول في أعداد قليلة، وأول شئ يقرأه هو المقال الرئيسى.

وبينما كنت أحاول أن أصحح له ظنه سارع بالقول إنه محام اشترك كوزير للعدل سنة ١٩٤٩ فى وزارة «على جودة الأيوبى» عن الحزب الوطنى الديمقراطى، وأنه الآن سكرتير عام الحزب إنه «حسين جميل» عند ذلك وجدت أنه لابد لى أن أقطع حديثه بأى شكل، فقلت إننى لست «أحمد بهاء الدين» الذى لم يصل إلى مكتبه بعد، وحاولت تمضية الوقت بالإجابة عن أسئلته عن عمر بهاء ودراسته، وقد دهش عندما عرف إنه لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر بعد، وتوقعت أن يسألنى شيئا عن مظهره وكنت أنوى أن أقول إنه يبدو وكأنه مازال فى سن السابعة عشر، بعد حين تساءل حسين جميل عما إذا كان يستطيع أن يتركنى بضع دقائق ليذهب إلى إحدى المكتبات القريبة حيث يتوقع كتابا طلبه هذا الصباح.

بعد حين وصل بهاء فحدثته عن الزائر ثم ذكرت له أنه سأل عن سنه وأضفت من عندى، طوله وعرضه وأننى عندما قلت إنه مازال شابا أعرب عن دهشته، وتوقفت لحظة فقال بهاء:

«لعله دهش عندما عرف أننى صغير الحجم، عندما يعود قل له إن هذا الشخص ليس أحمد بهاء الدين بكامله وإن له بقية ستصل قبل آخر اليوم».

وكانت المقابلة بين «بهاء» و «حسين جميل» بداية صداقة وطيدة كما كانت أول خطوة نحو الصلة بينه وبين المثقفين العرب، وبدء دخوله بمصريته العميقة إلى حلقة النور العربية التى أثرت فى تفكيره السياسى تأثيرا بالغا.

انتهت شهادة أكرم ميدانى عن بهاء، ولكن تبقى شهادة بهاء نفسه عن أكرم ميدانى والتى جاءت ضمن مقال جميل نشره على صفحات صباح الخير.

وجاء فى هذا المقال:

كثيرا ما تبدأ الحقائق الكبيرة ببدايات صغيرة، فمن خلال صديق شخصى لى هو «أكرم ميدانى» وزوجته بدا اهتمامى بالقضية العربية، كان ذلك منذ سنوات كنت أكتب فى مجلة شهرية هى «الفصول» وفى ذات يوم زارنى شاب سورى قال لى إنه موظف في الجامعة العربية، وأنه قرأ لى بعض ما أكتب فأراد التعرف بى، وفى أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وكأننا تربينا سويا، كنا في أول شبابنا نقرأ بنهم لا مثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان بحملها نيابة عن الناس جميعا.

أما صديقى «أكرم» فقد كان يملك مكتبة ضخمة فى الفن والأدب والسياسة، وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها.

والآن تبدأ زيارة سريعة إلى اهتمامات وأفكار أحمد بهاءالدين على صفحات مجلة الفصول..

ماذا كان يكتب «بهاء»؟ وأى الأشياء والقضايا كان مهموما بها فى تلك الأيام.

هذه عناوين بعض المقالات والدراسات، ومنها نعرف الإجابة على اهتمامات «بهاء» وأفكاره الرئيسية فى تلك السن المبكرة من حياته.

* هذه الضرائب التى تدفعها!!
* دعاة النفوذ الأمريكى فى مصر وبرنامج النقطة الرابعة!
* تأميم القطن يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين.
* قبل إقرار الميزانية الاقتصاد فى خدمة السياسة.
* التيارات الخفية وراء المعركة.
* النظم الرجعية فى الشرق
* ارحموا الاشتراكية



وسط مشاغل الشاب «أحمد بهاء الدين» (٢٤ سنة) كان يقتطع ساعات من وقته ليعكف على تأليف كتاب سيكون له دوى خطير وسط المثقفين فى ذلك الوقت. صدر الكتاب فى مايو سنة ١٩٥١ واسمه الاستعمار الجديد أو برنامج النقطة الرابعة، ويقع فى ٩٤ صفحة واللافت للنظر أن «أحمد بهاء الدين» قام بطبع الكتاب على نفقته الخاصة كما اعترف لى!

وبغير لف أو دوران يحدد الكاتب الشاب «أحمد بهاء الدين» الهدف الذى دعاه للكتابة عن «الاستعمار الأمريكى الجديد» فيقول فى مقدمة الكتاب:

«فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم التى تعصف فيها التيارات بمصر، عصفها بسائر الشعوب المضطهدة، وإذ تتيقظ حركات التحرير السياسى والاقتصادى، وتتقدم الصفوف طليعة لم تحجب ظلمة الحاضر عن أبصارها بريق المستقبل..

نجد الامبراطوريات القديمة والجديدة تتساند فى مجهود أخير لخنق الحرية، دفاعا عن كيانها المتآكل ولاكتساب الأرض التى فقدتها، مصطنعة فى ذلك حيلا جديدة تخفى عين الشر القديم!

وفى مثل هذه الظروف يصبح فرضا واجبا على كل صاحب رأى أن يتوجه به إلى المثقفين من مواطنيه، ويصبح فرضا واجبا على المثقفين المتيقظين أن ينشروه بأقوى ما فى كيانهم من قوة، وفى أوسع ما يتيحه لهم الوعى المتزايد من نطاق فمن أجل ذلك كتبت هذه الصفحات».

بعد ذلك يبدأ أحمد بهاء الدين فى مناقشة برنامج النقطة الرابعة، وتكفى قراءة عناوين فصول الكتاب لتدرك المنهج العلمى والفكر المرتب الذى ساق به «بهاء» عرض موضوعه.

بدأ بهاء بتقديم البرنامج: طبيعته وأغراضه نطاقه وتنفيذه وتمويله، ثم العقبات التى تعترض تنفيذه!



ثم قام أحمد بهاء الدين بعرض البرنامج على حقيقته سواء من حيث تصدير رؤوس الأموال الأمريكية، ثم أثر التصدير في البلاد المصدرة والمستوردة، وتجارب الاستعمار السافر، والاستعمار الخفي، كما ناقش مصر وتبعيتها لأمريكا وعلامات الخطر، ووضع اليد على المواد الأولية، والأسباب الاستراتيجية للبرنامة (النقطة الرابعة).

وفي الفصل الأخير من الكتاب الذي عنوانه «الحكومة المصرية.. تقبل» يعرض بهاء لأخطر وأهم النتائج التي تترتب على هذا البرنامج بعد قبول مصر له!!

ورغم مرور ما يقرب على ٤٤ عاما على صدور هذا الكتاب فإن إعادة تقليب صفحاته وقراءتها ثانية وثالثة يصبح لها مذاق مختلف، ويبدو الأمر في النهاية وكأن الدنيا لم تتغير والتاريخ لم يتحرك!!

يشير أحمد بهاء الدين إلى أن الرئيس الأمريكي «ترومان» بعد إعادة انتخابه قال أمام الكونجرس في ٢٠ يناير ١٩٤٩: وفي السنوات القادمة سوف ينطوي برنامجنا للسلام والحرية على أربع نقاط، وكانت النقطة الرابعة في برنامج ترومان هي: «يجب أن ننهض ببرنامج جريء من مقتضاه أن تتمكن المناطق المتخلفة اقتصاديا من الإفادة من تقدمنا العلمي والصناعي، ويجب أن يكون هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة في العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة - كميات أكبر - من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية».

وثار جدل عنيف حول النقطة الرابعة لا في أمريكا وحدها بل في العالم الخارجي أيضا.

ولكن أحمد بهاء الدين ببصيرته الواعية يقول: (ص ٢٨) غير إننا إذ ننعم النظر في حقيقة هذا البرنامج، وننحي جانبا هذا «الديكور» الذي أحيط به، نجده لا يعدو أن يكون خطة شاملة لتصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى الخارج، وهو بهذا الوصف مرحلة جديدة من مراحل النظام الرأسمالي العتيق!! واحد فقط هو الذي جهز بالحقيقة هو نابليون الذي أذهل ساسة أوربا في زمنه

بصراحته المريكة لأنه «محدث» في السياسة، تحدث يوما أمام الملأ بأنه سيخرج الانجليز من الهند وقال «سنهجم عليهم» لصوصا على لصوص أقل جرأة: (ص ٤٩) فقد كانت عملية لصوصية حقا!!! (ص ٥٠) ومع ذلك فلو أننا أنعمنا النظر فى المراكز والأوضاع الاقتصادية «البحتة» التى يحتمها النظام الرأسمالي الاستعماري كما خططه برنامج النقطة الرابعة لوجدناها تتلخص فى وضع أمريكا في مركز الممول ورب العمل، والشعوب المختلفة - مصر مثلا - فى مركز العمال ليس للعامل أكثر من أجره مهما اختلف هذا الأجر، وللممول فائض الأرباح، وعلى حين يظل العامل أبدا أسير هذا الأجر لا يرتفع إلى ما فوق بمجرد العيش، يزداد الممول ثراء، ويتسع نشاطا وإنتاجا وربحا. (ص٥٤).

ببساطة أكثر ووضوح لا نظير له يمضى أحمد بهاء الدين شارحا فكرته قائلا: «فإذا افترضنا أن مؤسسة أمريكية فى مصر تنتج ما قدره (١٠٠) فإن (٣٠) على الأكثر من هذه المائة سيدفع فى مصر أجورا للعمال ونفقات أخرى و (٧٠) تخرج من مصر إلى جيوب أصحاب الأسهم فى أمريكا، هذه هى أمريكا وتلك هى مصر (أو أى بلد متخلف يخضع لهذا البرنامج) فالفائدة الاقتصادية لمصر معدومة أو تافهة، ونحن نقصد بمصر الشعب كمجموع، فإن طبقة معينة من المصريين ستفيد بغير شك من هذا البرنامج، هى طبقة الممولين الذين قد تتاح لهم المساهمة بقسط فى المؤسسات الأمريكية وطبقة المديرين وأعضاء المجالس والوكلاء وغيرهم ممن يدورون فى هذه الحالة بحكم وضعهم - أيضا - في فلك رأس المال الأمريكي ويصبحون وقاء له من غضب الشعب أو سخطه أو انتقاده، والثروة القومية لن تزداد بهذا البرنامج شيئا (ص٥٥).

ويضرب بهاء مثلا له دلالة بقوله: «فاستخراج الحديد من أسوان تحت ظل «النقطة الرابعة» مثلا لا يؤدي إلى ما يعمر أذهان المصريين من أن تغدو لدينا صناعة قوية تستخرج الحديد وتصنعه سيارات وطائرات وقاطرات ومنتجات مدنية وحربية، تصنعها مصر، وتستعملها وتتاجر فيها مصر، وتحارب بها مصر. إنما يعنى أن يستخرج الحديد فى مصر فقط؟ أو أن يصهر وتصنع منه

قضبان الصلب فقط ولكنه يتحول إلى هذه المصنوعات التى أوردناها فى الولايات المتحدة (!!) فإذا أقاموا فى مصر صناعات ما فهى أيضا صناعات تابعة، كأن يقام فى مصر مثلها مصنع لهياكل السيارات فهى صناعة حقا، وهى صناعة يعمل فيها آلاف العمال، ولكن هياكل السيارات بغير المحركات التى تصنع وتستورد من أمريكا لا تساوى شيئا! ولن تصنع المحركات فى مصر - طبقا للنقطة الرابعة - أبدا!! وعلى هذا النحو يصبح اقتصادنا فرعا مكملا للاقتصاد الأمريكى، كما ظل فترة طويلة فرعا للاقتصاد الانجليزى!! ص ٥٦.

وقرب نهاية الكتاب الصغير الحجم، الكبير القيمة، يؤكد أحمد بهاء الدين وهو يصف حال مصر فى منتصف عام ١٩٥١ قائلا:

«إن أحدا لا ينكر ما نحن عليه من تخلف أو لا يستنكره، بل لعل كلمة «تخلف» لا تعدو أن تكون تعبيرا مهذبا عن الحقيقة القاسية، ولا خلاف على أسباب هذا التخلف فهى تتلخص فى ضعف الانتاج !! وسوء التوزيع !! فرجال الأعمال الذين يرون العلاج كل العلاج فى زيادة الإنتاج فحسب يتجاهلون أن هذا الزائد من الإنتاج بدوره، لو وزع بالطريقة التى يوزع بها الدخل القومى فى الوقت الحاضر لما تغير الوضع بالنسبة للشعب فى شىء، فإن زيادة إنتاج أحد المصانع لا يعنى فى واقع الأمر زيادة دخل العامل، بقدر زيادة فائض القيمة الذى يحصل عليه رب العمل، وهذا الوضع هو الذى تفرضه علينا النقطة الرابعة!! ص٨٧.

يضيف بهاء لما سبق قوله: «إن فى مصر رؤوس أموال!! ولأن حكومة مصر لم تستنفذ بعد شتى الطرق لتوجيه رؤوس الأموال المحلية وجهة الإنتاج المثمر حتى تذهب فتنتظم طرق تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار فى مصر!! وقد كنا مستطيعين أن نقول للحكومة فى كلمة واحدة إن الطريقة المثلى فى الاستفادة من الثراء القومى وتوجيه الإنتاج هى الطريقة الاشتراكية التى تهدف إلى زيادة الإنتاج بما يحقق أكبر خدمات ممكنة، لا

أكبر أرباح للمنتج. كما تهدف إلى إقرار العدل الاجتماعى فى التوزيع، غير أننا لا نريد أن ندخل الآن (١٩٥١) فى جدل مباشر عن النظام الاشتراكى مؤكدين أن الحكومة - لو أرادت - لاستطاعت أن تحقق الكثير من هذه الأغراض فى ظل النظام الرأسمالى الذى تتمسك به.!

فنحن نعرف أن الأغنياء عندنا مازالوا يحبسون أموالهم فى الاستغلال الزراعى وأن إقبالهم على ا لصناعة أضعف مما يمكن أن يكون. فالغنى الذى يمكلك آلاف الأفدنة يتبقى لديه كل سنة - بعد الإنفاق والاستهلاك - فائض كبير من الأموال، والحكومة تترك له هذا الفائض سليما تقريبا دون أن تفرض عليه الضرائب المناسبة!! وهو لا يجد بابا يستثمر فيه هذه الأموال غير باب واحد هو: شراء الأرض فمن عنده ألف يريدها ألفين، ومن عنده ألفين يريدها ثلاثة!! (ص ٨٨) ، ومساحة الأرض المزروعة عندنا ثابتة لا تزيد تقريبا ولكن المشترين يتزايدون، والفائض من أموالهم يتجدد كل سنة ويتراكم، يزيد الطلب والعرض ثابت، فتكون النتيجة ارتفاع ثمن الأرض ارتفاعا سريعا مضطردا حتى أصبح ثمن الفدان الواحد يصل إلى ٧٠٠ جنيه (سبعمائة جنيه!!) .

ويضيف بهاء بقوله: بل إن هذا النطاق الضيق الذى تعمل فيه رؤوس الأموال المصرية لا يشكل «الأرض» بوجه عام، بل الأرض المزروعة الجيدة فحسب، فقلما نجد مالكا مصريا يقدم على استصلاح أرض جديدة . ذلك لأنه لا يفكر فى خطط طويلة لتنمية استصلاح أرض جديدة ذلك لأنه لا يفكر فى خطط طويلة لتنمية الثروة!! ص ٨٩ إن رؤوس الأموال المصرية مازالت تتميز «بجبن» ملحوظ فهى لا تجسر على اقتحام ميادين الصناعة والاستصلاح وتفضل أن تظل منكمشة فى نفس نطاقها القديم:

الأراضى الجيدة والأسواق المعروفة للتصريف!!

بل ونفس المحاصيل أيضا!!



ويتساءل أحمد بهاء (صيف ١٩٥١) لماذا لا توقف الحكومة هذا التيار المدمر؟ لماذا لا تضع حدا أعلى للملكية الزراعية ،وتقرن ذلك بضريبة تصاعدية باهظة على الأراضي (جرى ذلك بعد الثورة في ٩ سبتمبر ١٩٥٢) ليس في الأمر مصادرة ولا نزع ملكية ولا إعادة توزيع .. إنه مجرد تحويل لفائض المال الذي يتراكم في الريف ويضيع في المزايدة إلى ميدان الصناعة الرحب !! ص ٩٠.

ويتساءل بهاء ثانية: ولماذا لا تقف الحكومة في وجه الإسراف والاستهلاك الزائد عن الحاجة بالضرائب والجمارك وغيرها ، هذا الإسراف الذي أدي إليه ما أسلفناه من تراكم الأموال في أيد قليلة مما أصبح إنفاق المال معه نوعا من الضياع أو التجميد: من ذلك إنفاق جانب كبير من الأموال في شراء السيارات والفريجيدرات، والعطور، وتجميد مئات الألوف من الجنيهات في خاتم يتحلى به رجل أو عقد يزين صدر حسناء، وثمن حبة واحدة من حبات العقد يفتح أبواب العمل والكسب أمام عشرات المواطنين!!

وبسخرية لاذعة يقول بهاء: «وهذه الحكومة المصرية التي تريد أن تستقدم مختلف أنواع البعوث الفنية لتبحث عن احتمالات الاستثمار وأحسن إمكانياته وتهيئة الجو لرؤوس الأموال المحلية؟ ولماذا لا تتبنى المشروعات المنتجه فتقترض من السوق المحلي للقيام بها، أو تشارك فيها شركات محلية أو تنفرد بها بوسائلها الخاصة وأهمها الضرائب؟! إن رسم الخطط السليمة لأي ناحية من نواحي الاستثمار كاف لاجتذاب الشركات والمدخرات (ص٩١).

ويختتم بهاء كلامه قائلابتساؤل:

وهل يستعصى على الدولة المصرية بنظمها الحاضرة أن تنهض بمشروع للسنوات الخمس ينتظم كل هذه الجهود لدفع الإنتاج إلى أعلى ، إن هذه الحلول على الأقل تبقي زمام الأمرفي أيدينا وتجعل طريق التطوروالرقي مفتوحا أمام الشعوب التي يجب أن يبقى لها الحق في أن تبدل في أشكال المجتمع الذي تعيش فيه في اللحظة التي تختارها: فهل يرى المسئولون فينا والذين يدعون



للاستعمار الأمريكي بين ظهرانينا هذا الرأى؟ أم أنهم يفضلون تسليم البلد لرأس المال الأمريكي والاعتماد على صداقته؟! ص٩٢

هذا باختصار شديد ما كان يؤرق بال وفكر عقل الشاب أحمد بهاء الدين في منتصف عام ١٩٥١ .

هموم وقضايا الوطن من العدل والعدالة إلى الاستعمار والاحتلال كانت هي القضية التي كرس لها قلمه عبر صفحات مجلة «الفصول»!.

ووسط هذه الهموم والمشاغل كان لأحمد بهاء الدين اهتماماته الأدبية وعلى صفحات «الفصول» أيضاً نكتشف معا هذه المفاجأة الأدبية..

أحمد بهاء الدين شاعرا!!

نعم على صفحات «الفصول» مارس أحمد بهاء الدين كتابة المقال السياسي والاجتماعي والثقافي لكن اعتبر حقا - وربما المدهش في نفس الوقت - أنه جرب كتابة الشعر!! نعم كتب أحمد بهاء الدين القصيدة العمودية التي يلتزم فيها بالوزن والقافية!!

وفي الصفحة الأخيرة من «الفصول» (أغسطس١٩٤٧) نشرت المجلة قصيدة للأستاذ أحمد بهاء الدين كان عنوانها (وللصبر في يأسه مصرع) تتكون من تسعة أبيات ويقول فيها:

عزيز على الحر يا أدمع

يسيل عصيك والطيع

وفي القلب - من صبره - فرقة

وللصبر - في يأسه - مصرع

يجالد دهرا عظيم الأذى

وما عاد في قوسه منزع

يعيش بليل طويل المدى

كأنه نهاره لا يطلع

وإنى كالتبر فى منجم

عليه التراب فما يسطع

يداس فكم جاهل فوقه

يدب وكم أحمق يرتع

وإنى لكالنور فى كوة

عليها الستائر ما ترفع

فيا قلب رشدك إن الذى

يمثله الظن لا ينفع

ستحيا وتشقى وتشهد ما

يميت النفوس وما يوجع!

كان عمر «أحمد بهاء الدين» وقتها ٢٠ عاما، عندما تجاسر ونشر هذه القصيدة المغرقة فى حزن رومانسي ووجع عاطفي لا حدود له، وأذكر عندما حاورته في نوفمبر ١٩٨٠ (بعد ٣٣ عاما على كتابته الشعر) وذكرته ببعض أبيات قصيدته ضحك طويلا من أعماق قلبه وقال لى يومها:

من حسن حظ الناس وأيضا من حسن حظي أنني اعتزلت كتابة الشعر مبكراً جداً، فما كتبته كان رديئاً بشكل لا نظير له وسيئا بدرجة لا يتصورها أحد.

وأذكر أن الشاعر الكبير الفنان «كامل الشناوى» كان قد عثر على عدد مجلة الفصول المنشور به هذه القصيدة البائسة، ومن حين لآخر كان يهددنى بأنه

سينشرها فى أخبار اليوم التى كنت أرأس تحريرها وقتها.. والحمد لله أنه لم يفعلها!!

ويضحك أحمد بهاء الدين وهو يضيف: فى فترة من فترات المراهقة ظننت أننى سأكون شاعراً كبيرا.. أحمد شوقى مثلا.. فقد كنت أعشق وأحفظ معظم القصائد والأشعار الوطنية والسياسية لشوقى وحافظ إبراهيم!

ويروى أحمد بهاء الدين قصة لها مغزاها عندما كان طالبا بكلية الحقوق، وكان له زميل وصديق قريب إلى قلبه هو د. عبدالوهاب العشماوى، يدرس معه بنفس الكلية فيقول (وكنت أنا وعبد الوهاب نجلس فى مدرج كلية الحقوق نستمع إلى محاضرات القانون، فإذا كان الدرس مملا تبادلنا كتابة الشعر: يبدأ أحدنا كتابة قصيدة ويرسلها للآخر، ليكملها ويعيدها، وهكذا نتبادل مرات فى المدرج فى هدوء شديد، تحت عين الأستاذ الذى كان يستنتج من استغراقنا فى الكتابة أننا تلاميذ نجباء جدا (!!) وكان العشماوى باشا (والد صديق بهاء) إذا أراد أن يرفه عنا من وطأة المذاكرة يقول لنا: هيا أسمعونى النص الكامل لمسرحية «مجنون ليلى لشوقى مثلا.. فنقرؤها من الذاكرة ويصحح لنا ما فاتنا..

وعن هذا الجانب أيضا وهو جانب الاهتمام بالأدب والشعر يضيف «أكرم ميداني»: (كان يعرف عن «بهاء» ولعه الشديد بالقراءة، كما بدأت تظهر معالم الأسلوب الرائق فى كتابته، وكان يحفظ صفحات من كتب «طه حسين» يرددها بين زملائه من «الأيام» و«دعاء الكروان»).

وصادفة مرة طالب كان يواجه الدراسة بصعوبة فكان يقصد مشورة بهاء بعد كل محاضرة ويسأله أن يشرح له بعضها أو بعض النصوص فى الكتب القانونية، ولم يكن بهاء يبخل على أحد بما لديه، غير أن هذا الطالب لزم جانبه زمنا حتى جاءه مرة بطلب غريب، وهو أن يكتب قصيدة ليرسلها باسمه (أى اسم الطالب) إلى فتاة وقع فى غرامها ويرغب أن يعبر لها عن حبه.

(فى أول الأمر) اعتذر له بهاء بأنه لم يتقن كتابة الشعر حتى يلبى مثل هذا الطلب لكن العاشق الولهان لم يصدق! هل هذا معقول؟ «أحمد بهاء الدين» لايقدر على كتابة قصيدة؟! وألح فى طلبه يوما بعد يوم، ولم يستطع بهاء أن يقنعه بأن يتوقف، وأصبح الإلحاح شديدا أكثر من مرة كل يوم حتى قال له بهاء: هذه قصيدتك وهى ليست باللغة الفصحى تماما ولكنها ستصل إلى قلب حبيبتك بدون تعب:

ليه يا بنفسج بتبهج وانت زهر حزين

والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين

ملفوف وزاهى يا ساهى لم تبوح للعين

بكلمة منك كأنك سر بين اتنين

حسنك فى كونك بلونك تبهج المقهور

اللى يزوره سميره فى الظلام مستور

حطوك خميلة جميلة فوق صدور الغير

تسمع وتسرق يا أزرق همسة التنهيد

أسمح وقوللى مين اللى قال معايا آه

بقولها وحدى لوحدى والأسى هواه

وحسب رواية أكرم ميدانى: فقد اختطف العاشق الملح القصيدة وطار بها ولم يعد ليسأل عن قصيدة أخرى.

وكانت هذه آخر تجربة لبهاء فى شخصية «سيرانو» يتوجه بشعره إلى «روكسان» من خلف القناع، كانت القصيدة كلمات دور البنفسج الشهير لصالح عبدالحى من شعر «محمود بيرم التونسى»!!

ودلالة هذه القصة ببساطة بالغة أنه لو لم يكن «بهاء» متذوقا وعاشقا للفنون لما اهتدى إلى هذه الحيلة الطريفة مع صديقه ليتخلص من المأزق الذى وضعه فيه.

كانت مجلة الفصول «محطة مهمة فى مشوار أحمد بهاء الدين» الفكرى والسياسى، ثم جاءت محطة «روز اليوسف» فى حياة أحمد بهاء الدين.

وبنفس الطريقة البسيطة التى كتب بها «بهاء» أول مقالاته فى الفصول تكرر نفس الشىء مع روز اليوسف..

فى عشرات اللقاءات والحوارات الصحفية روى «بهاء» قصة ذهابه إلى روز اليوسف «وكانت ببساطة وحسب كلامه كما يلى: «سنة ١٩٥٢ وقبل قيام ثورة ١٩٥٢ بعدة شهور صدر قانون يسمح بأن تؤسس الشركات المصرية بنسبة ٥١٪ رأسمال أجنبى والباقى رأسمال مصرى، وكنت أعتقد - وقد تحقق اعتقادى - أننا لسنا فى حاجة إلى رؤوس الأموال الأجنبية وأن مدخراتنا المحلية تكفى لتمويل مشروعاتنا وشركاتنا، وأن المسئولين أيامها فتحوا أبواب الدولة أمام رأس المال الأجنبى. وتحمست لكتابة مقال عن الكماليات أهاجم به القانون الجديد، ودرست إحصائيات الواردات والصادرات وكتبت مقالا بالحقائق والأرقام عن الملايين التى نصرفها سنوياً على المجوهرات والويسكى والعطور.. وكانت أرقاماً مخيفة ومذهلة..

ولكن أين أنشر هذا المقال؟! ولم أجد مجلة أكثر جرأة من روز اليوسف فذهبت إلى هناك وأعطيت المقال للبواب، وطلبت منه توصيله إلى رئيس التحرير الأستاذ إحسان عبدالقدوس!

وبعد أسبوع بالضبط فوجئت بنشر مقالى كاملا ووقعوه باسمى ووضعوا له عناوين مثيرة لافته للانتباه.

ثم كتبت مقالا آخر وذهبت وسلمته لبواب، روز اليوسف، ثم صدرت المجلة لأجد مقالى منشوراً بنفس الاهتمام أيضا.

وتكرر ذلك الأمر عدة أسابيع، أسلم مقالى للبواب، فأجده منشوراً فى المجلة، في أحدى المرات طلب منى البواب الانتظار قليلا، ثم أبلغ الأستاذ أحسان عبدالقدوس بوجودى، فطلب أن أذهب إليه».

وهكذا بدأت رحلة «أحمد بهاء الدين» الصحفية في مدرسة روز اليوسف، مدرسة الهواء الطلق كما يسميها الكاتب الكبير الأستاذ «كامل زهيري».

كان المقال الأول «لبهاء» فى روز اليوسف خطيراً ولافتا للانتباه بشكل كبير، لقد نشر على الصفحة العاشرة من المجلة فى عدد ٢١ أبريل ١٩٥٢ بعنوان كبير هو «أموال مصر»!

ثم أربعة عناوين أخرى كانت كما يلى:

١٨ مليون جنيه تنفقها مصر فى شراء الجواهر.

٣ ملايين لشراء السيارات و٣ ملايين لشراء التحف

مليون ونصف ثمن البيرة و١٣٢,٣٩٠ جنيها ثمن الكونياك.

أسعار الأراضي الزراعية أصبحت أثمانا وهمية.

أما مقال «بهاء» نفسه فقد جاء على النحو التالي:

يتم ـ بعد أيام ـ تعديل قانون الشركات، فلا تتقيد الشركات بعد ذلك بشرط امتلاك المصريين ٥١٪ من رأس المال الذى تستثمره فى مصر.

وقد بررت وزارة التجارة والصناعة هذا التعديل فى مذكرتها التفسيرية بأن «رؤوس الأموال المحلية وحدها لا تفى بما يتطلبه استغلال مواردنا الاقتصادية كاملة، وتحقيق ما ينقصنا من مشروعات، وعلى الأخص ما اتصل باستخراج الثروة المعدنية وإقامة الأعمال الكبرى التى تتطلب مالا ضخما وفنا حديثا ممتازا».

رؤوس الأموال الوطنية لا تكفى! الحجة الخالدة التى تسوقها اليوم وزارة التجارة بين يدى التعديل الجديد!

فهل قدرت وزارة التجارة أبعاد هذه الكلمة الخطيرة قبل أن تسجلها فى مذكرتها؟ وهل استنفدت شتى الطرق والوسائل لتشجيع رؤوس الأموال المصرية - بل وإرغامها - على الاستثمار وتوجيهها إلى تبنى المشروعات الكبرى. هل فرغت من كل ذلك؟

إن رؤوس الأموال المصرية - فيما أرى - كافية . وإن ما ينقصنا ليس المال ولكنه التوجيه الجرئ.. وليست مصر على أى حال من البلاد القاحلة كاليمن وليبيا حتى يقال إنها تفتقر إلى رؤوس الأموال. وليتفضل وزير التجارة معى فى جولة خاطفة، اثبت له فيها أن المال الفائض عندنا كثير، وأطلعه على بعض ما ننفق فيه - عبثا - هذه الأموال.

هذه - مثلا - أحصاءات الواردات التى تشتريها مصر سنويا من الخارج. منشورة فى التقرير السنوى لاتحاد الصناعات، تظهر لنا الكيفية التى ندفق بها أموالنا، وماذا نشترى من الخارج.

تقول هذه الإحصاءات إننا اشترينا فى سنة ١٩٥٠ من المعادن الثمينة واللآلئ والأحجار الكريمة ما قيمته ١٨,١١٨,٧٨٠ جنيه!١٨ مليون جنيه فائضة عن حاجة الذين يملكون المال.. انفقناها فى عقود من اللؤلؤ.. وكل حبة فيها تنشئ مصنعا، أو متجرا، وتفتح أبواب العمل أمام عشرات.

والمصيبة تتجلى بكل «روعتها» بالمقارنة، فهذا باب آخر من أبواب الواردات جعل له اتحاد الصناعات عنوانا هاما هو «مواد أولية ومهمات»، وتحت هذا العنوان يندرج ١٨ صنفاً من المواد الإنتاجية الهامة التى نحتاجها أشد الحاجة مثل «مولدات ومحركات كهربائية، آلات بالبخار والاحتراق، مراجل ومحولات بخارية، إطارات وأنابيب هوائية، نحاس خام.. أخشاب للبناء.. سيور للآلات.. ألخ ألخ فبكم اشترينا من كل هذه الآلات والأدوات التى هى عماد التقدم؟ اشترينا منها ما قيمته ١٦,٢٠٣,٠٩٤ جنيه فقط لا غير!.. أى أننا اشترينا من كل الآلات أقل مما اشتريناه من المجوهرات بمليونين من الجنيهات!.

وليست المجوهرات هى الترف الوحيد أو البئر الوحيد الذى نقذف فيه سنويا بهذه الملايين: فالبيرة دفعنا فيها ١,٤٠٧,٩٠٤ جنيهات، والكونياك ١٣٢,٣٩٠ جنيه، وسائر الخمور ٢١٥,٤٧٧ .. والمجموع يقترب من المليونين!.

والسيارات الخاصة اشترينا منها بحوالى ثلاثة ملايين، والمصنوعات المعدنية والزجاجية والخزفية بـ ٣,٣٢٣,٨٠٧ جنيهات!.. وغير ذلك كثير..

وباب آخر لهذا الاستهلاك، بل الاستنزاف الرهيب.. ما نعرفه عن عشرات الملايين التى كان يخرج بها المصريون من وطنهم - رغم أنف القانون - كلما كان صيف، ينفقونها فى أغراض التصييف.

وباب ثالث لعله يفوق ما اسلفناه خطرا.. هو تلك الظاهرة المتفشية بين أصحاب المال المصريين، من اتجاههم إلى استثمار أموالهم فى شراء الأرض، ولا شيء غير الأرض، فكل سنة تأتيهم بفائض جديد، يشترون به أرضا جديدة .. ولكن الأرض فى مجموعها هى نفس الأرض لا تكاد تزيد، فانقلب الأمر إلى مزايدة متصلة الارتفاع على نفس المساحة من الأرض، حتى وصل متوسط سعر الفدان إلى ١٢٠٠ جنيه! وكل الاقتصاديين يعرفون أن هذا السعر سعر وهمى، أى أنه لا يوازى القيمة الإنتاجية الحقيقية للأرض.

وأنه سعر لم يوجده إلا التنافس على الشراء، وتدفق الذهب على هذا ،الطين، فإذا كان ثمن الفدان كما يجب أن يكون وفقا لإنتاجيته هو ٥٠٠ جنيه مثلا، ولكنه يباع فعلا بـ ١٢٠٠ جنيه، فمعنى ذلك أن الـ ٧٠٠جنيه الفرق تنفق فى الهواء.

وما أكثرها، الملايين التى تضيع فى هذا الهواء!

وبعد.. فأي عبرة نخرج بها من هذه الجولة؟

العبرة هى أن الأموال فى مصر متوفرة إلى حد بعيد، وإن أصحابها ينفقونها فى سفه شديد!

وكل الشرائع السماوية والأرضية تجيز «الحجر» على السفيه، لإرغامه على تقليل نفقاته، واستثمار أمواله استثمارا بصيرا، وليس في «الحجر» شيء من المصادرة أو الاشتراكية أو غيرها من المبادئ المتطرفة.. إنما هي إجراء بسيط.. بسيط جدا.. تمارسه كل الدول تقريبا.

وانجلترا نفسها - وعلى عهد المحافظين من غلاة الرجعيين - مازالت تحدد الأموال التي يحملها المسافر إلى الخارج، وتضغط المصروفات، وتخفض الواردات من الضروريات بعد أن استغنت تقريبا عن الكماليات، بل وتحرم على نفسها بعض ما تنتجه سواعد بنيها من سلع فتخصصها كلها للتصدير إلى الخارج، وليست هذه الإجراءات إلا بعض صور «الحجر» الذى تستطيع الحكومة لو أرادت أن تمارسه.. برقابة تفرضها على طريقة انفاق الأموال، ووجوه استثمارها.. فتغلق فى وجهها أبوابا من الاستهلاك السفيه، والاستثمار الذى لا غناء فيه، وتفتح لها بشتى صور التشجيع أبوابا أخرى من الاستثمار المنتج المفيد.

فهل نظرت وزارة التجارة إلى ذلك كله قبل أن تسجل على نفسها تلك الكلمة الخطيرة: إن رؤوس الأموال المصرية لا تكفى؟ وهل بذلت وسعها كله فى تشجيع الأموال المصرية على الإنتاج والاستثمار، وأظن أن هذه هى وظيفتها التى أنشئت من أجلها.

إن تدخل الحكومة بالحد من شراء الأرض، واستيراد التوافه، والانفاق الضائع، وتدخلها ببحث أبواب الإنتاج الجديدة، وتشجيع المصريين على ولوجها كل ذلك أصبح واجبا عليها لا مفر منه.

أما أن تظل مصر كالوارث السفيه، تنفق على زينتها وبهرجها.. فإنها الكارثة!

●●●

أما المقال الثانى «لأحمد بهاء الدين» فقد نشر فى ٢٨ أبريل ١٩٥٢ بعنوان «كيف نولد الأحزاب» وجاء كما يلى:



تنفرد مصر - دون سائر بلاد الأرض «الديمقراطية» - بطريقة فذة فى تكوين الأحزاب..

فالطريقة المألوفة فى العالم أجمع أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب، ينشىء حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح على رأس حزبه حيث يصل إلى الحكم.. أما فى مصر، فالزعيم يصل أولا إلى الحكم، ثم ينشىء لنفسه بعد ذلك حزبا!

وكثيرة فى مصر الأحزاب التى ولدت هذه الولادة غير الطبيعية، منها التى ماتت ومنها التى مازال تعيش.

فما مغزى هذا الوضع المقلوب؟ مغزاه أن هذه الأحزاب لا تظهر نتيجة للأسباب الطبيعية التى تملى وجود الأحزاب.. كمصلحة مشتركة ومستقبل واحد يجمع بين جماهير معينة ويدعوها إلى التكتل فى حزب يعبر عن رأيها.. أى أن هذه الأحزاب ليس لها مفهوم اجتماعى أو اقتصادى يربط به الناس وليست لها رسالة دائمة يمكن أن تعيش عليها زمنها المقدور.. إنما هى محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، منقطعين: عن فهم حركة تطور التاريخ، تخدعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التى دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لا لشيء إلا لكسب الصفة «التمثيلية» التى لابد منها فى نظام «برلمانى»!

وطبيعى جدا أن تموت هذه الأحزاب بأسرع مما يقدر أصحابها، ولنضرب مثلا بحزبى الاتحاد والشعب: انشىء الأول بتشجيع من وزارة زيور، وأنشأ الثانى إسماعيل صدقى وهو فى الحكم، وزاد صدقى فأنشأ لحزبه دستورا، وصنع بدستوره برلمانا، وظن أن التجربة يمكن أن تعيش..

ولكن.. مات الحزبان، وزعماؤهما على قيد الحياة!

خاتمة هى مصير كل حزب.. لم يخرج من صفوف الناس ولكنه هبط عليهم! فيظل دائما غريبا عنهم، ليس لحياته مظهر إلا الاجتماع بين جدران

ناد أنيق فى أحد شوارع القاهرة الراقية، والوثوب إلى مقاعد الحكم في بعض الظروف.. وبفضل الظروف لا بفضل تأييد التابعين!..

فما أحرى من يريد أن ينشيء فى هذا البلد حزبا أن يسأل نفسه قبل أن يقدم هؤلاء الملتفون حوله.. هل يلتفون حول فكرة راسخة أم حول سلطان؟ هل لهذا الحزب مذهب يمكن أن يكون عقيدة للملايين؟ هل له رأى كامل واضح فى تنظيم شامل للمجتمع أم أنه يحقق حاجة وقتية، جزئية، فحسب؟ هل له خطة مستقبلية يمكن أن يعيش عليها سنوات لا يقاس إليها عمر الزعيم مهما يكن مديدا؟ وأى فئات الشعب تلك التى يمكن أن تلتف حوله؟

ثم ليأخذ، من يريد أن ينشيء فى هذا البلد حزبا، هذا الدرس البسيط على الطبيعة: إن الشجرة الراسخة الوارفة لم تهبط على الأرض ولكنها كانت بذرة خرجت من باطنها!

وإن حزبا بلا جذور، تودي به أى ريح.

إنتهى المقال

● ● ●

ثم جاء المقال الثالث بتاريخ ٥ مايو ١٩٥٢ بعنوان مثير «من هو الزعيم؟» وفيه كتب بهاء يقول:

لم ير الناس أعجب من الأسباب التى ساقها سعادة حافظ رمضان باشا، مبررا بها اعتزاله السياسة..

وقد وجد الباشا ما جعله يشعر «بالفساد ينتاب كل نواحى الحياة السياسية فى البلد، وأن الوسائل المشروعة والمنطق المعقول والقيم الأخلاقية لم تعد مجدية فى هذا المضمار، وقد تردد فى فكرة الاعتزال حينا، ولكنه ما وجد إلا «أمعانا فى الفساد وتوغلا فى الانحلال، والحياة كلها تضليل وأباطيل!!».

ونحن نؤيد الباشا فى أن كل القيم والمقدسات فى هذا البلد تجتاز محنة رهيبة، ولكن.. إذا كان الزعيم ينسحب إبان المحنة، فمتى يتقدم إذا؟

أيكون ذلك إذا صلحت الأحوال واستقرت الأمور واختفى الفساد وتحررت البلاد؟.

لقد كان الشاعر العربي القديم يصف البطل بأنه الذى «يغشى الوغى ويعف عند المغنم» أى يظهر وقت الشدة ويختفى وقت الرخاء.. وليس العكس!.

وقد علمنا التاريخ أن الزعيم لا تتمخض عنه إلا محنة أوشدة، وأن نجمه لا يلمع إلا فى الظلام: فنحن لايمكن أن نفهم دور ديفاليرا ما لم نعرف مدى سطوة الإنجليز على إيرلندا وعنف قبضتهم عليها.. ونحن لا نفهم دور غاندى إلا إذا عرفنا أية هوة سحيقة كان شعب الهند متردياً فيها، وأية أمراض اجتماعية واقتصادية وأخلاقية قاتلة كانت تنهش فى كيانه حين تصدى غاندى للزعامة.. بل إننا لن نفهم دور مصطفى كامل - الزعيم الأول للحزب الوطنى - إلا إذا ذكرنا أى نوم كان يغط فيه المصريون، وأى تحلل كان يسودهم، وأى استبداد كان يركبهم.. ولم يجد مصطفى كامل فى كل هذه المحن إلا أسبابا لمضاعفة الكفاح.

ثم.. أهى وسائل الجهاد المشروعة، تلك التى جربها الباشا، واستنفدها ويئس منها؟ إنه يقول فى بيانه: «إن الذين يسرون إليه بأخلاصهم للبلاد منصرفون فى أوان الجد إلى مصالحهم الذاتية وحدها.. وإنه كتب شخصيا إلى كثيرين من هؤلاء فكان كلهم بين متهرب ومتردد»..

أجهاد بالمراسلة؟ وخطابات لبعض الأصدقاء وحملة الألقاب وذوى الأسماء المطروقة؟

إن الخطاب فى هذا العصر لا يوجه إلا إلى الشعوب، والتأييد لا يطلب إلا عند الجماهير! ولكن الظاهر أن الباشا - وقد علت به السن - أصبح رقيق المزاج.. فهو يريد أن يكون الاشتغال بالسياسة كالاشتراك فى ناد أو ممارسة لعبة رياضية.. والسياسة - مع الأسف - ليست نزهة رياضية فى طريق ممهد، والزعامة ليست بطولة فى التنس مثلا.. إنما هى أن تقتحم منطقة الوباء متعرضا لجراثيمها، وتغرس قدميك فى الطين، وتصارع حتى تلهث، وتمد يدك الخشنة إلى الشعب الغارق فى الأوحال..

وشعبنا الذى ينهض من الطين بنفسه يفرح بكل يد تمتد إليه بالعون، وكل صوت يدعوه إلى هدى.

وهذه هى اللحظة التى يمتحن فيها الزعماء، وهى هى اللحظة التى اختارها زعيم الحزب الوطنى للانسحاب.

●●●

ثم جاء المقال الرابع بعنوان «نساء محترمات» بتاريخ ١٢ مايو وأثار المقال دهشة القراء لما فيه من رؤية متطورة وجريئة لقلم هذا الكاتب الشاب، يقول بهاء فى مقاله:

«علماء الأزهر يجتمعون، ويقدمون إلى رئيس الوزراء مذكرة طويلة يطالبون فيها بالجلاء.. لا بجلاء الإنجليز عن القنال، بل بجلاء الفتاة المصرية عن الجامعة!

وكان الظن أن هذا الجدل فات أوانه، وكان ممكنا على هذا الأساس أن نترك مذكرة العلماء الأجلاء بغير تعقيب.. لولا كلمة ترددت فى سطورها، لو تركت بغير رد لرسبت فى بعض النفوس. تلك هى القول بأن دخول الفتاة فى الجامعة قد افقدها الكثير من «الاحترام والعزة».

نعم.. إن المرأة بخروجها إلى الحياة العامة قد فقدت «احترامها» القديم، ولكن لتكسب احتراما جديدا أسمى وأنبل. وما معنى الاحترام؟ إن نظرتنا إلى الأمور تتغير، والمعانى الجديرة باحترامنا تتطور وتتعدل يوما بعد يوم.. والمجتمع يتخلى فى كل عصر عن «احترامات» ينكشف له زيفها أو تخلفها ويستكشف لنفسه «احترامات» جديدة.

ولنأخذ المرأة مثلا، حتى لا نبعد عن الموضوع.. لقد كان العرب القدامى إذا أرادوا مدح المرأة وصفوها بأنها «نؤوم الضحى».. أى أنها كسلانة، مترفة لا حاجة تدفعها إلى مبارحة الفراش.. وكان الشاعر الرقيق يتغنى بأن حبيبته بدينة، مترهلة، لا تستطيع المشى من فرط ثقلها ولا يتحرك الخلخال فى ساقها

من فرط اكتنازها!! كانت هذه المرأة «محترمة» جدا، بل كانت المثل الأعلى.. إذ استوفت كل حاجة الجنس من اللحم والشحم والكسل الذى يغرى بالخدر والاستسلام والانصراف عن عجلة الحياة.

ولكننا اليوم نرى هذا المثل الأعلى صورة بشعة!.. والشاب النابه المتقدم اليوم لا تطوف بمخيلته مثل هذه الصور.. إنما هو يريد أن تكون زميلته وشريكته خفيفة الحركة، مشرقة الذهن، واسعة الأفق.. يريد زوجة تفهم رسالته وأما مستنيرة.

فالمرأة إذاً قد فقدت «احترام» الجارية أو المتاع، لتكسب احترام الزميلة والشريكة على قدم المساواة.

ولم يشأ علماء الأزهر أن يطالبوا صراحة بحرمان الفتاة من التعليم الجامعى فطالبوا بفصلها عن الفتى، وهم يعلمون أنهم يطالبون المستحيل.. فلو جاريناهم فى منطقهم لكان واجبا - ومن باب أولى - أن نخصص للنساء دورا للسينما ومركبات للترام ومحلات للشراء.. أى أن يصبحن منبوذات.. كالزنوج فى الولايات المتحدة مثلا!

وبعد.. فإن خروج المرأة إلى الحياة العامة واختلاطها شىء، والأخطاء التى قد تشوب ذلك شىء آخر.. وعلماء الأزهر يعرفون أن من مبادئ أصول الفقه أن «العرض لا يؤثر على جوهر القضية».. فاستخدام السيارات مثلا يؤدى إلى كثرة الحوادث .. كذلك اختلاط المرأة ومساواتها للرجل يجب أن نسلم به، ولنبحث لكل عيب يظهر بعد ذلك عن علاج..

•••

ثم يأتى المقال الخامس وعنوانه «أحلام أمريكية»، وعندما تقرأ هذا المقال المنشور في ١٩ مايو ١٩٥٢ ستندهش مثلى تماما، فقد بدا وكأنه مكتوب هذه الأيام، يقول بهاء فى مقاله المهم:

ما أكثر ما تجرى صحافتنا المصرية مع الأحلام، وما أكثر ما تترك قراءها يلهثون خلف السراب..

وكان حلم الأيام الماضية هو أمريكا، وتدخلها الموعود لزجر الإنجليز، وإقرار العدل والحرية فى ربوع وادى النيل! ومضت الصحف وراء الحلم الذى صنعته لنفسها شوطا بعيدا: تؤكد هذا التدخل، وتروى تفاصيله وتعلق عليه الآمال. وها هو وكيل الخارجية الأمريكي والسفير الأمريكي ينشط، وينشط، وزميله الإنجليزى يرتعد من هذا النشاط فرقا.. ثم يطلع الصبح، وينتهى الحلم، ويتبين أن: السفير الأمريكي لم يصفع زميله الإنجليزى، بل كان يربت على كتفه ويشجعه! ويستيقظ البعض على الحقيقة القاسية، ويظل الآخرون غارقين فى وهمه، يبدئون فى الحلم ويعيدون!

وأكثر ما يلهب مخيلة هؤلاء الحالمين وينشط أحلامهم، ما يقرأونه عن الخلافات بين انجلترا وأمريكا، وهنا ينبغى أن نقف ونفهم: ما حقيقة هذه الخلافات؟

نعم.. إن الخلاف بين الدولتين موجود.. ولكنه خلاف الأخوين يتنازعان على «التركة»، ولكنهما يتحدان فى وجه الغريب، فهو ليس خلافا أساسيا بين دولة تريد أن تحتفظ بنفوذها ودولة تريد أن تحرر الناس من كل نفوذ.. إنما هو خلاف بين نفوذين وبين سيطرتين..فإذا هبت ريح من الوطنية الخالصة تريد أن تقتلع كل أشكال النفوذ، فهنا يتحد أصحاب النفوذ المتنافسون أمريكان أو إنجلترا وفرنسيون.. يتحدون فى وجه الحرية الزاحفة الخطرة عليهم أجمعين!

ألم يعكر على هؤلاء الحالمين صفو أحلامهم، ما صنعته أمريكا فى قضايا المغرب من أسابيع؟.. كانت الصحف الأمريكية تندد بالاستعمار الفرنسى، والمسئولون الأمريكان يصرحون بالنصح لفرنسا أن تحقق مطالب المغرب الوطنية. ولكن القول شىء والفعل شىء آخر.. فحين ذهب وزراء تونس يعرضون قضيتهم على مجلس الأمن، منعتهم أمريكا من دخول أرضها، وأقنعت مجلس الأمن أن يرفض نظر القضية.. أقنعت القاضى أن يغلق عينيه

.. ويغلق أذنيه فلا يسمع صراخهم، ويغلق فمه فلا ينطق بكلمة حق واحدة.. وهكذا حتى هدأت العاصفة أو كادت، وعاد الاستعمار الفرنسي يرفع رأسه من جديد، كما عادت الصحف الأمريكية - أيضاً - تتحدث عن الحرية.

ولست أرى سببا يعطف قلب أميركا على المصريين، كما لم يعطفه على المغاربة!

«إن الخلاف بيننا وبين هؤلاء الحالمين بسيط.. بسيط ولكنه أساسى، هم يرون حل القضية الوطنية لايأتى إلا من الخارج، من قوة أجنبية ما. ونحن لانراه يأتى أبدا من الغير.. لا من الشرق ولا من الغرب.. إنما الحل هنا فى مصر وفى قلب كل مصرى».

•••

ثم يأتى المقال السادس وعنوانه «الحذاء الحديدى» ويناقش فيه ميزانية الحكومة والإيرادات والمصروفات وكأنه يكتب أيضا لقارئ هذه الأيام، يقول بهاء فى مقاله المنشور بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٢.

ليس فينا من يكره للميزانية أن تتوازن، وأن تجئ الإيرادات كالثوب المحبوك على «قد» المصروفات! ولكننا نكره أن توضع الميزانية وضعا تعسفيا فى قالب ضيق، كذلك الحذاء الحديدى الذى كانت تلبسه الفتيات فى الصين القديمة، فيمنع أقدامهن من النمو، ولا يلبث أن يمتد إليها الشلل والعجز.

إننا لا نتصور أن نأخذ فى هذه الفترة بالذات بسياسة انكماشية، ونحن نشكو مر الشكوى من ضعف الإنتاج وعدم مسايرة المشروعات الإنتاجية لازدياد السكان وانتشار الوعى. ولا نعتقد أنه من المستطاع حقا اختزال حوالى أربعين مليونا من الجنيهات من بند المصروفات، ما لم نقتل المشروعات الإنتاجية القليلة الهزيلة، التى تنطوى عليها الميزانيات المصرية عادة.

ومن أى البنود يكون الخصم إن لم يكن بند الأعمال الجديدة؟ إننا لم نسمع حتى الآن إلا عن بند الموظفين، وقد قررت الحكومة بشأنه إيقاف التعيينات.

تكم يوفر لنا هذا الإجراء؟ وكم يوفر الغاء السيارات الحكومية وتقليل كميات الورق والأقلام التى يستهلكها الموظفون، والتليفونات التى يستعملونها؟.. مليون؟ مليونان؟ ليس أربعين مليونا على أى حال!

ومع ذلك فإن إيقاف التعيينات يبدو لنا مستحيلا تقريبا: فمع العام الجديد سوف تحتاج المدارس الجديدة إلى مدرسين، والمراكز الاجتماعية المعطلة إلى أطباء، والمشروعات العمرانية إلى مهندسين، سوف تضطر الحكومة إلى فتح أبواب التوظف أمامهم أجمعين.. لأن تعليم الشعب وعلاجه ومده بمياه الشرب ليست من الكماليات التى يمكن حذفها.

ولسنا بذلك نعارض فى ضغط المصروفات. إنه من الضرورى بغير شك أن نحذف كل مصروف لا لزوم له، وكل عمل له طابع الزخرف أو البهرج، وعدم الجدوى.. ولكن الذى نريد أن نؤكده هو أن ضغط الميزانية ليس بالحل الكامل لاختلالها، اللهم إلا إذا كان ضغطا عنيفا يزهق أنفاسها، ويتركها جثة هامدة لا حياة فيها.. أى لا مشروعات.

فلا مفر للحكومة إذا من أن تفكر فى زيادة إيراداتها. وليس لها أن تفزع من تلك الصيحات التى تتنادى بأن الضرائب الحالية باهظة! وأن فرض ضرائب جديدة خطر خطير وشر مستطير على الاقتصاد القومى والإنتاج الوطنى. فالواقع أن الضرائب الجديدة ليست خطرا إلا على دخول الصائحين.. وإن الضرائب فى مصر مازالت تافهة فى نواح كثيرة.. ومازالت هناك أكثر من أرض صالحة لفرض ضرائب جديدة لا تتعارض مع تشجيع الإنتاج.

فالحكومة تستطيع أن تفرض ضريبة تصاعديّة جدية على الملكية الزراعية دون أن تخشى على الإنتاج من شىء.. لأن الضريبة لن تقلل حصيلة الفدان، ولأن الملكية الزراعية - على أية حال - ليست فى حاجة إلى تشجيع!

والحكومة تستطيع أن تجعل لضريبة التركات وجودا حقيقا بدلا من الوجود الشاحب الهزيل.

والحكومة تستطيع أن تفرض «ضريبة مشتريات» على الكماليات التى تغرق السوق، وتستغرق الأموال، والتى تستورد منها سنويا مايزيد على ٣٠ مليون جنيه.

وهذا بعض من كثير.

فى ذلك الوقت - يونيو ١٩٥٢ - كانت مصر تغلى وتفور بالغضب والغليان، إلى حد أن يكتب أحسان عبدالقدوس فى روز اليوسف بتاريخ ٢ يونيو ١٩٥٢ مقالا ساخنا قال فيه «خير لمصر أن يديرها رجل يسرق النصف ويعطيها النصف بدلا من أن تتعامل مع شريف لا يسرق ولا يعطيها».

وفى نفس العدد يكتب بهاء عن «الإنجليز فى بلادنا»!

●●●

أما فى عدد ٩ يونيو فيكتب بهاء عن «السلطة المطلقة» فيقول:

يعجب معالى وزير الدولة للضجة القائمة حول المعتقلين والاعتقال؛ مع أن الحكومة أفرجت عن المعتقلين جميعا؛ فلم يبق منهم فى الاعتقال إلا أربعين. فقط لا غير..

والواقع أن تمسك الحكومة بهذا العدد الضئيل هو الذى يدعو إلى أعجب العجب: فمن هم ياترى هؤلاء الأربعون من المردة الشياطين، الذين تصر الحكومة على وضعهم فى قمقم الاعتقال؟ أهم خطرون على كيان المجتمع حقا إلى هذا الحد؟ أهم الصفوة المختارة من الأشرار العتاة فى هذا البلد؟.. أمن أجل هؤلاء الأربعين فقط تحتفظ الحكومة بالاحكام العرفية؟.. أم أنها تتخذهم ذريعة تتعلل بها فى استبقاء هذه الأحكام العرفية؟

وما أكثر الأسئلة التى تغلى فى الصدور!

نعم، إنهم أربعون فقط.. ولكن كل واحد منهم ليس إلا مواطنا كالآخرين له بيت وأسرة ورزق وأحلام.. وحياة كاملة يريد أن يحياها. ومع ذلك فنحن لا نطلب اطلاق سراح المعتقلين بل نطالب بالغاء الاحكام العرفية من أساسها



فليس يكفى الغاء الاعتقال بالنسبة لواحد من الناس أو ألف.. إنما المطلوب هو الغاء «سلطة» الاعتقال التى ترفرف بأجنحتها على كل الرؤوس .. حتى أصبح الناس من خوف الاعتقال فى اعتقال! وليس يقنعنا أن تنكس الحكومة سيف الاعتقال المشهر فى يدها، بل إنه لابد من تجريد الحكومة من هذا السلاح الخطر.. من هذه السلطة المطلقة التى لا يخولها لها الدستور إلا فى حالات نادرة.. ليست منها حالتنا الراهنة، وما أظن المعتقلين أنفسهم يفرحون بالإفراج عنهم فى ظل الحكم العرفى، فيخرجون من سجن محدود إلى سجن بلا حدود كما يفرحون بالغاء الحكم العرفى ذاته.

فالقضية إذاً هى قضية الحرية كحق كفله الدستور ونظام لا يقبل أى شعب متحضر نظاما غيره ولن توجد الحرية أبدا، ولو خرج جميع المعتقلين، ما بقيت سلطة الحكم العرفى المطلقة، خصوصا بعد أن زودت هذه السلطة نفسها بتشريع يمنع حق سماع الدعوى عن أى تصرف يأتيه الحاكم العسكرى.

وقد كان «هارولد لاسكى» يقول إن «أول شرط للحرية هو تقييد السلطة السياسية فحيث توجد سلطة مطلقة تنعدم الحرية، ذلك أن السلطة المطلقة تغرى أصحابها بالشر ولو كانوا أخيارا، وتجعلهم يتوهمون أن سلامة الدولة تقتضى استمرار سلطتهم.. فى حين أننا فى ظل الحرية نستطيع أن نحاسب السلطة السياسية فى كل وقت».

وما أشد حاجة الناس إلى محاسبة السلطة السياسية فى هذا الوقت حيث لا يوجد برلمان.. وما أشد حاجة الناس إلى حريتهم فى هذه الوقت حيث لا يوجد برلمان.. وما أشد حاجةالناس إلى حريتهم فى هذه الظروف بالذات، التى توضع فيها كل مقدساتهم موضع البحث والتجربة والشك.

●●●

ويتناول «بهاء» فى مقاله بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٥٢ «قسوة القاضى» ثم يناقش فى الأسبوع الذى يليه (٢٣ يونيو) موضوع «الطبقة المثقفة» ومقالا هاما شمل صفحة ونصف صفحة عنوانه «الصحافة الأمريكية فى مصر».

وفى ٣٠ يونيو يكتب بهاء مقاله القنبلة تحت عنوان «اقتراح بسيط» فيقول:

ليت معالى وزير المالية يقرأ كلمتى هذه وهو فى طريقه إلى مجلس الوزراء يعرض عليه الميزانية الجديدة. فإننى أريد أن أدله على طريقة يوازن بها الميزانية ويسد العجز. أهون وأبسط من ذبح المشروعات الجديدة أو غير ذلك مما تفيض به الصحف.

وأعترف لمعاليه أننى احتجت إلى الكثير من أطراف شجاعتى لكى أكتب هذه الكلمة.. إذ إنى أعلم مقدما كم ستثير من السخط وإن كنت أعلم أيضا أن الكثيرين من الذين سيسخطون يؤمنون - فى قرارة نفوسهم - بما أقول!

إننى أقترح - ببساطة - أن يخصم العجز كله أو معظمه من البند الوحيد الذى لم تمتد إليه يد الضغط وهو بند التسليح!.. فالواقع أن ظروفنا المحلية والدولية كلها تنصح لنا بالتريث فى الانفاق على شراء الأسلحة وعدم المغالاة فيه. فمن الناحية المحلية نرى أن للجيوش وظيفة أولى - أو وحيدة - هى المحافظة على استقلال الوطن ووطننا ليس لديه استقلال يمكن أن ندافع عنه!.. وقد يكون من واجب الرجل الحر أن يحصن بيته حتى لا يسرقه أحد.. أما السجين فإن أحدا لايفكر فى سرقته.. إلا السجان نفسه.. وهذا هو حالنا مع الانجليز.. فنحن سجناء استعمارهم وهم يقفون بأبوابنا ويستأثرون بسرقتنا فليس لنا الآن عدو واضح غيرهم.

ومن الناحية الدولية أيضا نرى أن خطر إسرائيل علينا خطر موهوم لن يكون حقيقيا قبل أن نحمل تبعات الاستقلال لأن الإنجليز يستعمروننا لحساب أنفسهم لا لحساب إسرائيل. أما عن خطر الحرب الثالثة فإن نشوبها لايعنينا ونحن فى وضعنا الراهن. لأننا لن ننضم لأحد الفريقين وإرادتنا مسلوبة، ولن نستطيع أن نمنع أن تكون بلادنا ميدان قتال ما دام الإنجليز فعلا فى بلادنا!

وليس معنى هذا إهمال العناية بالجيش والاستعداد لليوم الذى نستقل فيه ونسترد حرية إرادتنا.. ولكن الأصوب فى مثل ظروفنا أن تكون سياستنا

العسكرية سياسة «تدريبية» لا تسليحية.. بمعنى أن تنصرف جهودنا الآن إلى تدريب أكبر عدد ممكن من الرجال على حمل السلاح.. حتى إذا جاء يوم الاستقلال وجدنا الاكتاف القوية التى نضع عليها البنادق؛ وهى سياسة زهيدة النفقات جدا إذا قيست بشراء الأسلحة الباهظة الثمن والتى يتغير طرازها كل يوم.

ولست فى حاجة إلى بيان الآثار التى تترتب على التوسع فى التسلح، وها نحن نرى التضخم يزحف على أمريكا والجوع يعض بنابه انجلترا من جراء التسلح. حتى أن المعارضة فى التسلح لتشتد وتقوى هناك كل يوم فما بالنا نحن.. واقتصادنا ضيق لايقاس إلى موارد هذه الإمبراطوريات؟

•••

ونصل إلى شهر يوليو.. الأزمة السياسية تكاد تخنق الجميع، كان الملك فاروق قد أقال وزارة «نجيب الهلالى باشا» وتشكلت وزارة جديدة يرأسها.. «حسين سرى باشا» وكتب إحسان عبدالقدوس مقالا نارياً تحت عنوان. خطاب إلى رفعة حسين سرى باشا: «من أنت» وقال فيه:

من أنت حتى أكتب عنك؟ إماهى مبادئك السياسية العامة حتى أؤيدها أو أعارضها؟ ما هى أهدافك حتى أسعى معك إليها أو أسعى ضدك؟! أنت لاشىء سوى قلع مركب يدفعه الهواء كما شاء محرك الأهواء ويطوى ويفرد كلما طوى أو فرد؟!

وكتب بهاء.. مقاله بعنوان «بائعة اللبن» قال فيه:

كنت قد كتبت مرة أعترض على تفكير الهلالى باشا فى تكوين حزب وهو رئيس للوزارة، وقلت إن الطريق الطبيعى لتكوين الأحزاب هو أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب؛ ينشىء حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح حتى يصل بحزبه إلى الحكم. لا أن يصل الزعيم إلى الحكم أولا ثم ينشىء

لنفسه بعد ذلك حزبا!.. وقلت أيضاً إن الأحزاب التى تولد فى قاعة مجلس الوزراء تكون ولادتها غير طبيعية فلاتلبث أن تموت.. لأنها لا تمثل جماهير معينة من الناس، إنما هى محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، تخدعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التى دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لكسب «الشكل» الديموقراطى لاغير..

واليوم وقد خرج دولة الهلالى باشا من رئاسة الوزارة، وعاد إلى صفوف الناس نراه قد سكت عن حديث الحزب الموعود. فلماذا؟..

إن تفكير دولته فى تأليف حزب وهو فى كرسى الرئاسة، معناه أنه كان قد اعتنق مبادىء يريد أن يقوم الحزب عليها ويكافح من أجلها.. مبادىء عمرها أطول من عمر الوزارة حتى أراد أن ينشىء لها حزبا.. والمفروض أن دولته كان يرى هذه المبادىء خليقة أن تظفر بإعجاب الناس.. وأنه كان يعتمد فى كسب تأييد الجماهير على هذه المبادىء وحدها، لا على سيف المعز وذهبه، اللذين يملآن كف كل رئيس للوزارة..

فلماذا إذن ييأس دولته من هذه المبادىء السامية.. لمجرد خروجه من الوزارة؟

لماذا لا يجرب حظه الآن؟.. فيعلن عن تكوين الحزب، وينشر مبادئه المطوية على الناس، وينزل إلى الشارع داعيا الناس - وهو الأديب الفصيح - للانضمام إليه.. ثم يرى كيف يستقبله الناس؟

ولن يكون حديث دولته عن هذه المبادىء كلاما نظريا فحسب؛ فأمام الناس تجربة عملية.. جربوا فيها طراز حكمه، وخبروا ميوله واتجاهاته عمليا.. وما دام الهلالى باشا راضيا عن مبادىء حزبه، وراضيا عن طريقة حكمه، فحرى به أن يحاول أن يكسب رضاء الناس.

ولكن.. يبدو أن هناك أسبابا لانعرفها تصرفه عن تأليف الحزب.. فهل نراه عاد يعتزل السياسة مثلا، لمجرد أنه اعتزل الحكم؟

أم أن الأخيار قد انفضوا من حوله حين ذهب السلطان، وليس هذا من شيم الأخيار؟

أم حديث دولته عن الحزب وهو جالس على مقعد الرئاسة الوثير.. كان كحديث الريفية بائعة اللبن.... إذ مضت وهي ذاهبة إلى السوق واناء اللبن على رأسها، تحدث نفسها بأنها سوف تبيع اللبن وتشترى به دجاجا وحين يتكاثر الدجاج تبيعه وتشترى به عجولا.. وحين تكبر العجول تبيعها وتشترى بها عزبة واسعة.. فلما زلت قدمها، وانكسر إناؤها.. تنبهت من أحلام يقظتها على منظر اللبن السائل على الأرض؟!

●●●

وفى ١٤ يوليو ١٩٥٢ يكتب بهاء تحت عنوان «وزراء لا موظفون» فيقول:

أريد أن ألفت الانظار إلى هذه الظاهرة الغريبة.. فقد أصبح معظم الذين يصلون إلى كرسى الوزارة فى الشهور الأخيرة من كبار الموظفين، الذين شقوا طريق حياتهم فى وظائف الحكومة، ولو أحصينا الوزراء في الوزارات الثلاث الأخيرة مثلا لوجدنا أن أكبر نسبة فيهم كانت لوكلاء الوزارات، او المستشارين أو أعضاء هيئات التدريس في الجامعات وغير ذلك من طوائف كبار الموظفين.

وأنا أقول إن هذه الظاهرة غريبة... لأنك لن تجدها فى أى بلد ديمقراطى، برلمانى.. حيث منصب الوزير منصب سياسي قبل كل شئ، لا يصل إليه الا من شق طريق حياته في حقل الكفاح السياسي الحر، عن طريق الاحزاب والهيئات، وفي معارك الانتخابات، ومقاعد البرلمان، وصفحات الجرائد، مرتبطاً خلال هذا الكفاح كله ببرنامج معين: واتجاه سياسي واضح، تعرفه به الجماهير، ويحاسبه الرأى العام على تنفيذه حين يصبح وزيرا.

ولكن هذا الوضع يختفى عندنا احياناً أو يشحب.. وقد ارتفعت نسبة كبار الموظفين فى مقاعد الوزراء حتى كاد منصب الوزير ان يصبح درجة في

كادر الموظفين يرقى إليها وكيل الوزارة او المستشار أو غيرهما.. بل لقد قطع هذا الاتجاه في المدة الأخيرة خطوة خطيرة. إذ اشترط بعض الوزراء الاحتفاظ لهم بوظائفهم ليعودوا إليها، ولتبق مصلحة ضخمة بدون مدير حتى يعود إليها مديرها الذي أصبح وزيرا.. ولتبق كرسي الاستاذية في الجامعة شاغرا حتى يعود اليه الاستاذ!

والحجة التي تساق دفاعا عن هذا الوضع عادة، هي كفاءة هؤلاء الموظفين الكبار وخبرتهم الفنية الواسعة في شئون وزاراتهم، ولنا على هذه ردان:

الأول: أن هؤلاء الخبراء لا يوضعون دائما في مواضع خبراتهم، فالقاضي قد يصبح وزيرا للتجارة. وكيل العدل وزيرا للمعارف. فضلا عن أن كفايات هؤلاء الرجال - وهي كفايات معترف بامتيازها سبب آخر للتمسك بهم في وظائفهم لأن منصب الوزارة دوار: ومن يترك وظيفته يفقدها - أو تفقده - عادة إلى الأبد..

والرد الثاني - وهو الأهم - أن منصب الوزير في نظام ديمقراطي لم يخلق أبداً للخبراء الفنيين، فالوزير شخص سياسي بحث، ينفذ سياسة ارتبط بها امام الاصوات التي حملته إلى كرسي الوزارة.. أما الخبير فيجب أن يبقى خبيراً، يكرس خبرته «التنفيذية» لتنفيذ السياسة التي يرسمها الوزير..

والملاحظة الأخيرة في الموضوع.. ان الوزراء غير السياسيين يغلب طابعهم على الوزارات غير الحزبية، فهو وضع مؤقت فحسب: وسيزول حتماً، يوم يعود لمصر من الدستور روحه ومعناه....

●●●

وصباح ٢١ يوليو ١٩٥٢ تصدر «روز اليوسف» - أي قبل ٤٨ ساعة من قيام الثورة - كتب «احسان عبدالقدوس» واحدا من أخطر وأجرأ مقالاته السياسية بعنوان «الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الزعماء» جاء فيه ما يلي:

«لم تجد مصر رجلا له من الجرأة: والقوة ما يؤهله لأن يصارحها بأنها ستحكم حكماً فردياً ديكتاتورياً فترة ما ليصلح من شأنها ويقوم ما أفسده منها المفسدون.. ولم تجد رجلاً يقول لها: إنه سيؤجل حل القضية المصرية إلى أن ينظم البيت ويجمع الصفوف ويرمم الجدران المنهارة.. ولم تجد رجلا يصارحها بأنه فى حاجة إلى الاحكام العرفية، وانه سيحتفظ بها إلى أن يقضى الله فيه أمراً كان مفعولا.

كلهم ضعاف مخادعون، لا يؤمنون بالديمقراطية ولكنهم يدعونها! ولا يؤمنون بالشعب ولكنهم يتملقونه ويخدعونه، يظهرون له غير ما يبطنون ويلبسون وجوهاً غير وجوهم، وتنطق ألسنتهم بغير ما تؤمن به قلوبهم.

وعاشت مصر تحكم بلا مبادئ محددة صريحة ... وتولى حكامها الحكم، لأن الفرصة قد واتتهم لا.. لأن لهم سياسة مرسومة أو مبدأ معينا.. و ....و وأخيراً يقول إحسان: ولن تحظو مصر إلى الأمام إلا إذا حكمتها المبادئ، مبادئ يراها الشعب ويلمسها ويفهمها.. مبادئ تختار على أساسها الحكام، ومبادئ تحكم بها على الرجال، ومبادئ ترشدها إلى الخير والشر، ومبادئ تحميها من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الزعماء..»

وفى نفس العدد كتب «بهاء» مقالا جريئاً ومثيراً للدهشة أيضاً بعنوان «المصباح الأحمر» يقول المقال:

سوف تلغى الأحكام العرفية بمجرد زوال الأسباب الموجبة لبقائها !!.. سمعنا هذه الكلمة من كل حاكم عسكرى تقلد سيف الأحكام العرفية.. ولكننا لم نسمع منهم سببا واحدا من هذه الأسباب الموجبة لبقائها حتى نستطيع أن نناقشه.. وانا لننظر إلى استتباب الامن، وهدوء الحالة والركود الشامل... فلا نجد إلا أسباباً موجبة لزوالها.

وفى الاسبوع الماضى أدلى رفعة حسين سرى باشا بحديث لمراسل اليونيتد برس أذيع فى جميع انحاء العالم؛ صرح فيه رفعته بأنه يستبقى الأحكام

العرفية لمنع كل «احتكاك داخلي» .. وهو الحديث الذى نستأذن رفعة سرى باشا فى التعليق عليه تعليقاً هادئاً..

فالظاهر أن الحكومة قد تأثرت بالتجربة الناجحة التى طبقها قلم المرور فى شوارع القاهرة.. اذ رأى كثرة حوادث تصادم السيارات واحتكاكها وشكوى الناس من ابواق السيارات المزعجة؛ فالزم السيارات فى بعض شوارع القاهرة بالسير في اتجاه واحد ومنعها من استعمال آلات التنبيه منعا باتا.. حتى لا تخرج احدا من راحته، او توقظ نائما من غفوته! وارادت الحكومة أن تستفيد من هذه التجربة فى تنظيم الحياة السياسية فى مصر.. فهي تستبقى الاحكام العرفية حتى لا ترتفع اصوات الصحف والاقلام كما ترتفع الات التنبيه وهى تمنع الاحتكاك بأن جعلت الناس يسيرون فى اتجاه واحد .. وراء الحكومة طبعا!!

ولكن الذين قرأوا الحديث فى الخارج يجهلون هذه القصة.. وسوف يتساءلون حتما عن نوع الاحتكاك المراد منعه. فإذا كان يقصد به الى خلافات الاحزاب، وتعدد الآراء وحدة الجدل بين التأييد والمعارضة. فإن الحياة الديمقراطية لا تستقيم بغير هذا الاحتكاك.. ولا يتصور أن يقوم نظام على تعدد الاحزاب واختلاف وجهات الرأي، ثم لا يسمح للاحزاب بأن تختلف وللآراء أن تحتك وتصطدم!

وقد قال رفعة سرى باشا أيضاً : إن من أخص أهداف وزارته إعادة الطمأنينة والهدوء إلى جميع المواطنين.. وهذا بغير شك هدف ضرورى ومشكور! ولكننى أؤكد لرفعته أن الطمأنينة قد عادت فعلا إلى كل قلب ولو أنه استفتى الناس لقالوا إنهم مطمئنون تماماً.. وان لا شئ يخيفهم الآن.. الا سلطة الحاكم العسكرى!..

فالأحكام العرفية التى تقاوم الخوف تنشر جوا من الخوف.. وقد اصبح وجودها يذكرنا بقصة الرجل الذى وضع فى وسط الطريق كومة من الحجارة، غرس فوقها مصباحا احمر وسأله الناس: لماذا تضع هذا المصباح الأحمر؟

فقال: لكى انبه الناس الى كومة الحجارة.. فعادوا يسألونه: ولماذا وضعت كومة الحجارة؟.. فقال لكى أغرس فوقها المصباح الأحمر!

وفى نفس العدد كتب بهاء تحت عنوان: «الذين يؤخرون مصر» يقول:

قد لا تجد عظيما واحدا ترضى عنه تماما، ولكنك تستطيع أن تسمى فى أى وقت عشرات من الذين تسخط عليهم.. والواقع أنه إذا كان من السهل أن تعدد اسماء من تسخط عليهم الا أنه من اصعب الصعب أن تتحدث عنهم دون أن تجرح، أو تسيل دماً.

ولكل واحد من الناس عقيدة ما، ينظر من خلالها إلى الحوادث والأشخاص، وقد حاولت هنا أن أختار ستة من كبرائنا البارزين اعتقد ـ من وجهة نظري الخاصة ـ أنهم يؤخرون مصر ويعرقلون تطورها. ولم اختر هؤلاء الستة بالذات لأنى أشد سخطا عليهم من سواهم. ولكننى اخترتهم لأنى وجدت فى كل واحد منهم «نموذجا» واضح الملامح قوى التعبير يمثل طرازاً من الناس لا أوافق ـ بحكم ما اعتقد ـ على موقفهم ـ وإن كان في الناس طبعا من سيخالفوننى الرأى.

أحمد خشبة باشا

وأول من اخترته فى ميدان السياسة ـ سعادة أحمد خشبة باشا وخشبة باشا كما يعرفه الناس.. رجل شديد الهدوء طويل البال، بعيد الاناة وقد اخترته لأن له رأيا معلنا صريحا في موقف مصر الدولي وقضيتها الوطنية ـ فهو يرى أن انضمامها إلى المعسكر الغربى مسألة مفروغ منها لا تستدعي المناقشة أو البحث أو حتى التفكير في الثمن! وهو يعتقد أيضاً أن انجلترا ما تزال أقوى قوة في الأرض، وأننا لا يمكن أن نأخذ منها شيئاً الا ما ترضاه لنا، بالمفاوضة والمساومة والرجاء والالحاف ،.. لأن أى شعب صغير كمصر ليست لديه أى فرصة للتحرر الكامل؛ إنما عليه أن يختار من بين أنواع الاستعمار أهونها..كالطفل الذى يجب أن يجد «حجرا» يجلس عليه أو ذيلا يتعلق به! وقد أدلى مرة بتصريح اثار عليه الناس قال فيه: إن الإنجليز خير الظالمين! وهو لا

يؤمن أبداً بقيمة الحركات الشعبية أو الرأى العام.. فبالرغم أنه زعيم كبير فى حزب رئيسي، ووزير خارجية سابق؛ نراه لم يتوجه مرة واحدة إلى الشعب ببيان أو يلقي فيه خطابا، أو يدلي بحديث حماسي مهما كانت الظروف والأحوال.. فهو يدير ظهره تماما للناس ولا يتحرك أبداً إلا إذا كان في الحكم.. فعندئذ يفاوض الإنجليز.

وليس خشبة باشا وحيد هذه المدرسة. ولكننا اخترناه لأنه واضح؛ وكانت لديه دائماً الرجولة الكافية لكي يعترف بعقيدته هذه.. بعكس الكثيرين من أبناء مدرسته، الذين يظهرون غير ما يبطنون ويفاوضون وهم يلعنون المفاوضين.

والقراء يشاطرونني ولا شك الرأى فى أن مدرسة المفاوضات هذه تعرقل كل كفاح جدى للتحرر.. فما دامت هذه المدرسة مفتوحة أبوابها فستجد من يلتحق بها! وسيبقى الإنجليز فى ظلها!.

محمود محمد محمود

يقول عنه أصدقاؤه: إنه كفاية ممتازة وقلب نظيف، وقدرة واسعة على الانتاج..

وقد كتبت: «يقول عنه اصدقاؤه» عامداً لأننا لا نعرف عنه شيئاً واضحاً مباشرا.. فهذه الصفات التى يقول بها اصدقاؤه، ترقد في جسد رقيق، ووجه حالم، ولا تتعدى كيان صاحبها أبداً إلى ساحة العمل الإيجابى والانتاج النافع.

وهذه الكفاية - التى يتحدث بها أصدقاؤه - وأسرته الكبيرة، واسم ابيه.. كلها اتاحت له أن يقفز إلى السطح، وان يرشح لكثير من المناصب الكبرى.. ولكنه كان كلما عرض عليه منصب اعتذر، وقال أصدقاؤه إنه زاهد فى المناصب! وفى المرة الوحيدة التى قبل فيها، وتولى رئاسة ديوان المحاسبة لم يصمد أكثر من شهور، ثم رأى ما لم يعجبه فاستقال وانسحب! وتحدث كل الناس عن أسباب الاستقالة.. ما عدا صاحبها! فلا هو نفع الناس باستمراره فى

الميدان ولا أضاء لهم الموقف باستقالته! و ضرب بذلك مثلا رائعاً للسلبية.. رشحه لأن أتخذ منه في هذا المقال نموذجا بديعا للسلبيين في مصر.

والواقع انني لا أفهم معنى الزهد في المنصب، أو في العمل السياسي فترك العمل بدعوى الزهد لا يصدر الا عن رجل يحسب العمل ربحا ومنفعة فيقول إنه زاهد في الربح والمنفعة... فالعمل السياسي بذل وتضحية... والزهد فيهما ليس قطعاً من الخلال الحميدة!..

والرجل السلبي - من طراز محمود محمد محمود - يشترك في تأخير مصر وعرقلة تطورها.. سواء كان ينطوي على كفاءة حقيقية.. أو على فراغ!.

فإذا كان ينطوي على كفاءة فليس من حقه أن يسلب بلده هذه الكفاءة التي توفرت له بحكم التربية والثقافة التي اكتسبها على حساب هذا البلد فيجب أن تكون لحسابه..

أما إذا كان ينطوي على فراغ فإنه يؤخر مصر أيضا.. إذ يجعل الناس يتعلقون باسطورة وهمية، ويضيعون وقتهم جريا وراء سراب يحسبونه ماء فإذا خبروه لم يجدوه شيئا!

البدراوي عاشور باشا

وفي ميدان الحياة الاقتصادية اختار سعادة البدراوي باشا، كنموذج للقوى التي تعطل تقدم مصر الاقتصادي.

وأنا لا أتعرض للباشا هنا بسبب ما يذاع عن بخله أو ضنه بالتبرع فهذه أشياء متعلقة بشخصه ولا حسدا لغناه الواسع.. ولكنني أتعرض فقط لطريقته في استثمار امواله.. بوصفها الطريقة الأكثر شيوعا في مصر..

فالبدراوي باشا مالك زراعي كبير.. جدا.. وهو يكسب من الزراعة مئات الآلاف يتبقى لديه منها في أخر كل سنة بعد كل المصروفات فائض كبير. ففي أي شئ يستغل هذا الفائض.. في شراء أرض زراعية جديدة!



وهنا موضع الاعتراض. فهذا النوع من الاستثمار لا ينفع الاقتصاد القومى ابدا، بل إنه يضر به. فالاقتصاد القومى لا يستفيد شيئا من انتقال ملكية الأرض من هذا المالك الى ذاك.

لان انتقالها لا يزيد الانتاج حبة قمح واحدة. ولكنه يضار من هذا الشراء المتصل للأرض.. لأن فى البلد عشرات كالبدراوى، يتسابقون على شراء الأرض، نفس الأرض؛ فترتفع اسعارها ولا تزيد مساحتها، حتى انقلب الأمر الى مزايدة متصلة على نفس الأرض؛ وزاد ثمن الفدان على ١٢٠٠ جنيه؛ وهو ثمن وهمى لا يمثل القيمة الانتاجية الحقيقية للفدان، إنما يمثل مدى تلهف الاغنياء على شراء الأرض.

ولو ان امثال البدراوى يكتفون من الضياع بما يملكون ويوجهون كل الفائض من أموالهم إلى الاستثمار الصناعى لزاد الانتاج القومى زيادة كبيرة ولاندفع التطور فى مصر عشرات السنين؛ بل لتغير الموقف تماما!

ولكن الملاك الزراعيين من أشباه البدراوى يصممون على استثمار الذهب فى الطين، ويركنون الى الزراعة لا نها أكثر ضمانا وراحة وما تعرفه خير مما لا تعرفه..

والدولة لا تتحرك ازاء استحكام الازمة لضعف الانتاج وسوء التوزيع. وهى الحالة التى تزعج كل عاقل.. وتعرقل كل تطور.. وقد لحظها مستر جورج ماكجى وكيل الخارجية الامريكية السابق حين كان يزور مصر. إذ عاد يقول: «ان الثروة فى البلاد المتخلفة قد اصبحت تقليدية لا تزيد وأرباحها تنفق فى شراء الأرض وتكوين الاقطاعيات أو اقتناء الذهب والاحجار الكريمة. فالثراء هناك يكتسب بأخذه من الآخرين لا بالبحث عن انتاج جديد فى ميادين جديدة».

الشيخ حسنين مخلوف

وأنا اذكر فضيلته، كمثل للسلطة الدينية التى فهمت الدين - والدنيا - فهماً معيناً، مستمداً من كتب الأولين، ثم هى لا تعترف بشئ جديد جاء بعد هؤلاء الأقدمين .. لأن كل جديد بدعه وكل بدعه ضلالة . وكل ضلالة في النار !

وأظنني لست في حاجة إلى بيان كثير، وأحاديث الشيخ وفتاويه الأخيرة مازالت تتحدث عن نفسها.

ورجال الدين كسائر البشر يجوز عليهم الخطأ، ويجوز عليهم الهوى، ولكنهم يحاولون دائما أن ينشروا اعتقادا عاما بأنهم هم الدين نفسه.. والمؤمنون بغير تفكير كثيرون؛ وهؤلاء هم الضحايا لكل أخطاء رجال الدين!

وأخطر من ذلك أن يخرج الدين- أو رجال الدين- عن حدودهم، ويجعلوا أنفسهم قضاة كل قضية؛ وقضاة لايجوز عليهم الاستئناف أو النقض، فيحكمون بكفر رزير، وبحرمان المرأة حقوقها، وتحليل هذا وتحريم ذاك!

الأستاذ عباس محمود العقاد

وأخيراً في ميدان الأدب.. اختار الأستاذ عباس محمود العقاد.. والأستاذ العقاد كاتب كبير، له مؤلفات كثيرة واسعة الانتشار، وتأثيره لاشك عظيم على عدد كبير من القراء، ولكني أعتقد أن تأثير العقاد على قرائه تأثير ضار؛ لأن موقفه رجعي بصفة عامة.

ففي السياسة نراه يربط قلمه بحكومات وأحزاب بعينها. وليس هذا عيبا من حيث المبدأ، ولكن العيب الذى يؤخذ على «الكاتب» أن يذهب في تأييد أصحابه إلى غير حد، وفي كل قضية. فلست أنسى مثلا أنه كتب يوما يتهم الكتاب الذين يشنون حملة للإفراج عن المعتقلين السياسيين في بعض العهود كتب يتهمهم بالشيوعية.. مرة واحدة، وتوجيه هذه التهمة بالذات إلى بعض الكتاب الأحرار فيه معنى استعداء السلطات عليهم.. وهذا أبشع مايمكن أن يتورط فيه صاحب قلم..

وفي المسائل الاجتماعية.. نراه يسبح في آرائه ضد تيارات التقدم جميعا.. فهو ينتقد نشر التعليم على نطاق واسع. ويحذر من كثرة عدد المتعلمين وقد شبه التعليم مرة بأنه كماء النهر إذا زاد أصبح فيضانا خطيرا يغرق البلاد!!

وهذا رأي يقول به «كاتب» عمله أن «يقرأ» له الناس.. المتعلمون طبعا وهو أيضا يعارض في مساواة المرأة بالرجل.. ومن آرائه العزيزة عليه؛ أن المرأة مخلوق متخلف عن الرجل في كل شئ. لا في الحياة العامة والوظائف فحسب، بل حتى في المهن التي تخصصت بها المرأة كالطهي مثلا.. بدليل أن الطهاة من الرجال أمهر من الطاهيات وهو يرى هذا النقص شئ طبيعي فيهن لا مجرد نتيجة لظروف تاريخية يمكن أن تتغير!

ونتيجة هذا الرأي طبعا.. أن تبقى المرأة تابعة.. وأن يكون في المجتمع نصف ممتاز - هو الرجل - ونصف وضيع هو المرأة.. والأستاذ العقاد مغرم دائما بتقسيم الناس إلى ممتازين وحقراء بالطبع!

من أجل ذلك كله أرى أن الأستاذ العقاد يساهم في تأخير مصر.. لأنه ينشئ في مجتمعنا المصري آلافا من الناس يخافون الإفراج عن المعتقلين؛

ويحتقرون المرأة ويفرقون من نشر التعليم!!

السيدة فاطمة نعمت راشد

وإذا كان لابد من اختيار شخصية نسائية؛ فإنني اختار السيدة فاطمة هانم نعمت راشد!

والسيدة فاطمة هانم هي التي انشأت أول حزب نسائي في مصر، يطالب للمرأة بحقوقها السياسية ومنح المرأة حقوقها السياسية - في رأيي - خطوة الى الإمام كان المفروض ان اضع السيدة فاطمة هانم بين الذين يدفعون مصر إلى الأمام ولا يؤخرونها الى الخلف.

لولا أن الطريقة التي قادت بها الهانم الحركة حولت مطالبة المرأة بحقوقها من قضية جدية خطيرة الى عنصر من عناصر التسلية والترفيه وأصبحت

اجتماعات المرأة وبياناتها ومقالاتها لا تحمل على التفكير بل على الابتسام فنحن لا نرى حول الزعيمة فاطمة هانم سيدة واحدة مثقفة أو خطيبة أو كاتبة او امرأة لها ماض فى النشاط الاجتماعى أو السياسي لأنها لم تستطع أن تتفق الا مع بعض السيدات والآنسات من اللواتى يطلق عليهن اسم زهرات المجتمع فى صفحات الطبقة الراقية واللواتي يلهثن خلف حب الظهور ونشر صورهن والحديث عن ازيائهن على صفحات الجرائد ولو سألت واحده منهن فى السياسة أو عن مغزى مساواة المرأة والرجل. لما سمعت منهن كلاما ارفع من كلام بطلات السينما فى الافلام المصرية!

ولست انسي اننى تلقيت يوما دعوة كريمة من الحزب النسائى الى مؤتمر يعقبه او يسبقه تناول الشاى، وذهبت الى مقر الحزب لأول مرة فى شقته الانيقة ورأيت المدعوين القليلين محاصرين بجيش معطر رشيق من النساء .. ووقفت الزعيمة تلقى علينا باللغة الفرنسية قرار الحزب الخطير الا وهو المطالبة بحق المرأة فى دخول الكلية الحربية لتصبح ضابطة كالرجل سواء بسواء !!

وكتم الحاضرون ابتساماتهم، وبدأوا يسألون هل قصد الزعيمة تجنيد المرأة كالرجل سواء بسواء؟ فأجابت باللغة العربية هذه المرة! أن لا. وقالت إنها كما تطالب بالحقوق السياسية للمرأة المثقفة فقط فهى أيضاً تطلب حق التجنيد للمرأة المثقفة فقط.. أى أن المرأة تكون ضابطة فحسب...

وسألها آخر: وهل تقود الضابطة جنودا من الرجال؟..

ولست أذكر بأى شئ اجابت الزعيمة فقد انقلبت المسرحية الى كوميديا .. ولكنى تلفت حولى اتأمل السيدات والآنسات الرشيقات يلمعن اناقة وجمالا ويعبقن المكان بعطرهن، وينحنين علينا بصواني الجاتوه وتساءلت: هل جئن حقا يطالبن بحمل السلاح أم يسلين انفسهن بالظهور فى المجتمع واقامة الحفلات..

لعل السيدة فاطمة هانم تسلى نفسها ولكننى أؤكد لها أنها تسلية تدفع ثمنها من تأخرنا.. وان الزعيمة لا تقتل وقتها فحسب بل تقتل وقت مصر كلها الوقت

الذى يضيع والمرأة محرومة من حقها السياسى لأن حقوق المرأة السياسية أصبحت لهوا ولعبا!

وبعد...

فلعلنى وفقت أن أكون موضوعيا وأنا اتحدث عن هذه النماذج الستة ولعل هذه النماذج لا تعدم ناسا يدافعون عنها فما رأى الناس؟..

انتهى ما كتبه أحمد بهاء الدين بكل ما تحمله سطور المقال الساخر من دلالات لا تخفى على ذكاء القارئ!

وبعد ٤٨ ساعة بالضبط قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وبعدها بثلاثة أيام غادر الملك فاروق مصر إلى الأبد!!

وتغيرت الدنيا، ولم تعد مصر هي نفس مصر أيام الملك فاروق.

وفى ٤ أغسطس ١٩٥٢ كتب أحمد بهاء الدين مقالا عنوانه «خارق القانون» قال فيه ما يلى:

كان غاندى يقود ثورة الهند.. وكان أحب الهتاف إلى قلبه ذلك الهتاف الذى اطلقته صديقته الشاعرة «ساروجينى نايدو» وسرعان ما ردده الهنود كلما رأوا زعيمهم صاحوا به : يا خارق القانون!

كلما تأملت تلك الأيام القليلة البيضاء التى قام فيها الجيش بخلع الملك السابق - عادت الذاكرة الى سنة مضت حين تقدم نفر من الشباب والكتاب المجاهدين تقدموا يخرقون القانون!

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له او لحاشيته او حتى لطرف حذائه بأهون السوء.. كقوانين الجمعيات والاجتماعات وانباء القصر وشتى قيود الرأى.. وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرين؛ وأقوياء: الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون!

ولكن الأحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين للنار؛ يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش.. تظاهر الطلبة فى الشوارع هاتفين بسقوط الملك، وشن

الكتاب الاحرار حملاتهم عليه وعلى حاشية السوء من حوله.. وهطلت عليهم الاتهامات كالمطر :فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الأمن.. الى أخر تلك الأوصاف التى تدرجهم تحت اسم المجرمين السياسيين، ولم يغن ذلك كله عن الملك السابق شيئا.. فقد تصدعت اركان النصوص ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من الأحرار الذين حققوا أول النصر. إذا نشروا ذلك الاقتناع العام، العميق، بأن الملك السابق عقبة حقيقية فى طريق هذا البلد!

ولجأ الملك السابق الى حصنه الأخير ففرض الاحكام العرفية؛ وبسط جوا من الارهاب المسلح.. وبالسلاح دخل الجيش ساحة المعركة، وكسب الجولة الأخيرة - باسم الشعب - فى أربعة أيام، انتهت بمشهد الملك الذاهب والشمس الغاربة!..

وانكشف الأمر للناس عن حقيقة كبيرة: ان هؤلاء الذين خرقوا القوانين وشردهم الاضطهاد ودمغهم الحكام بأنهم «مجرمون سياسيون» انما كانوا يجاهدون من أجل قوانين اسمى وارفع. من العدل والحرية والمساواة وان السادة الكبار المحترمين، ذوى الاسماء اللامعة والمرتبات الضخمة والمناصب المرموقة، الذين ادعوا محاربة الجريمة متحصنين فى نصوص عتيقة إنما كانوا يسترون العفونة الكبرى التى فاحت منها كل روائح الاجرام. من قتل وسرقة وهتك واغتصاب!

فماذا علينا أن نفعل بعد أن كسبنا المعركة؟

علينا أولا أن نذكر هؤلاء الأبطال الذين ذهبوا بغير سلاح يقتحمون الشقة الحرام.. يفجرون الالغام باجسادهم ويقطعون الأسلاك الشائكة بأيديهم العارية حتى طهروا للجيش ارضا من التأييد الكامل يمر عليها! علينا أن نذكر فى ساعة النصر هؤلاء الفدائيين بأن نمسح جراحهم ونرفع عنهم كل آثار

المعركة.. كالاحكام التى صدرت ضدهم، وصفة الإجرام التى ألصقت بهم، مهما اختلفت اتهاماتهم .. فقد كانوا جميعا يزحفون الى حصن الفساد ليدكوه .. وان سلك كل واحد منهم طريقا.

وعلينا بعد ذلك واجب اهم ..ان نطهر الأرض من الشراك والاسلاك التى اقتنصتهم من القوانين التي كان لهم شرف خرقها، لأنها تقيد حريات الرأى جميعا!.. فما زالت أمامنا معارك كثيرة مقبلة، وسوف نحتاج ـ لكي نكسبها ـ إلي أرض نظيفة !

وفى نفس العدد كتب «أحمد بهاء الدين» أخطر مقال له وكان بعنوان «الدستور بين العرش والشعب» وجاء فى هذا المقال :

فى سنة ١٩٢٤ ولما تمضى على مولد الدستور شهور؛ وقع أول خلاف على تفسيره بين سعد زغلول والملك فؤاد.

واحتكم الاثنان إلى عالم بلجيكي - البارون فان بوش - الذى كتب فيما بعد يصف اجتماعه بالخصمين المتنازعين:

«.. دخلت إلى مكتب الملك في قصر عابدين .. وكان الملك يداعب مسطرة صغيرة لقطع الورق ، وكل حركاته تدل على التأثر، أما زغلول باشا فكان جالساً أمامه متمالكا أعصابه يتحدث في هدوء. «وأدركت» في الحال خطورة الموقف، فهذا ملك ربي حسب التقاليد الشرقية وما تمتاز به من صفات الحكم المطلق، يحاول المحافظة على البقية الباقية من السلطة، وأمامه رئيس وزراء يتمسك تمسكاً شديداً بالحقوق التى يخولها له الدستور .. وكلما اشتدت المناقشة قال : إذا استشر الشعب ...»

ذلك هو الموقف منذ ثمانية وعشرين سنة حين بدأ الدستور يطبق .. ودخل على الملك فى حجرة مكتبة رجل صلب العود، قادم من صميم الفلاحين؛ يقول له باسم الشعب : لا ! ..

ولم يكن الملك فؤاد حين وقع مرسوم إصدار الدستور يؤمن بكلمة واحدة مما جاء فيه .. أو على الأقل بمادته الثالثة والعشرين التي تقول في بساطة قاطعه : إن جميع السلطات مصدرها الأمة ! .. لم يكن فؤاد يتصور أبداً أنه بهذا الدستور يتخلى عن جميع السلطات لهذه الأمة .. أمة الفلاحين والعمال والأفندية، وسائر الملايين المهلهلة التي تنتخب هؤلاء النواب الثرثارين، الذين يصدعون رأسه بالكلام عن الحرية وحقوق الشعب وما إلى ذلك !

ولم يكن ذلك غريباً على ملك ورث عن آبائه سلطة استبدادية مطلقة ، واستقر في ذهنه أن الحكم يجب أن يدار لمصلحته ومصلحة أسرته .. وأن انتقال السلطة إلى الشعب معناه أن يدار الحكم لمصلحة الشعب .. ولو تم ذلك لأصبح – هو الملك سليل الملوك – عاطلاً من السلطة ؛ ومن الثروة ؛ ومن الرؤوس الذليلة التي تنحني له أينما اتجه ! .. وهكذا حل فؤاد أول برلمان بعد تسعة شهور .. وحل ثاني برلمان بعد مولده بتسع ساعات! .. فقد افتتح البرلمان في عهد زيور سنة ١٩٢٥ – في الساعة الحادية عشرة صباحاً .. وأصدر مرسوماً بحله في الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم! .. وكان الذنب الذي ارتكبه النواب أنهم انتخبوا سعد زغلول رئيساً للمجلس ! ..

وحاول أن تقلب صفحات تاريخنا منذ عرفنا الدستور .. فستجد أن فؤاداً وفاروقاً لم يتركا برلماناً واحداً يتم مدته الدستورية !!

ولم يكن حل البرمان أسوأ ما لقيه الدستور على يد فؤاد وفاروق .. فقد كانا يعمدان أحياناً إلى إلغاء الدستور كله ، أو إيقافه .. وقد فعلاها – في خلال ٢٨ سنة – أربع مرات !

وكان كل واحد منهما يجد دائماً رؤساء الوزارات والوزراء الذين يضعون أنفسهم في خدمته، ويعطلون له الدستور، ضد مصلحة الشعب . جرياً وراء عرض حقير من المنافع الزائلة ..

ففي أول تجربة ، وجد فؤاد – زيور باشا ؛ الذي أخذ على عاتقه حل البرلمان بعد تسع ساعات من انعقاده، ولم يقل إنه قرر تعطيل الدستور – الذي

لم يجف مداده بعد ! – بل زعم أنه يعدل قانون الانتخاب ليتلافى العيوب التي ظهرت فيه ... وأنه سوف يجرى الانتخابات بمجرد فراغه من التعديل.

ولكن الشعب بزعامة سعد قاوم هذا العبث مقاومة باسلة ، حتى أضرب العمد للمرة الوحيدة فى تاريخ مصر، وامتنعوا عن تنفيذ قانون الانتخاب، وأصدر أمراء الأسرة المالكة أنفسهم بياناً يطالبون فيه بعودة الدستور .. حتى الأحرار الدستوريون ، والذين وصف كبيرهم عبدالعزيز فهمى الدستور بأنه ثوب فضفاض .. عادوا وانضموا إلى صفوف المعارضه الشعبية؛ حين وجدوا كبيرهم هذا بعينه يطرده فؤاد من الوزارة شر طردة لأنه رفض أن يفصل الشيخ على عبدالرازق من القضاء الشرعى .. ووجد عبدالعزيز فهمى أن التمكين للمستبد لا يزيده إلا استبداداً، فخرج صائحاً «إن البرلمان والوزارة البرلمانية هما الأداة الوحيدة للدفاع عن قضيتنا والوصول إلى استكمال حقنا!» ولما وجد الشعب اصرار الحكومة على تعطيل الدستور، قرروا أن يجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة.. وأسرع زيور يحيط البرلمان بالبوليس المسلح والمدافع الرشاشة، فاجتمع النواب فى فندق الكونتننتال.. ووقف سعد يخطب فى النواب المحتشدين من جميع الأحزاب ويقول «يجب أن نقسم جميعا أن لا نترك الدستور لعبة فى يد المستبدين، وأن يضحى كل واحد منا بحياته فى هذا السبيل».. ويقف النواب جميعاً، ويرددون فى صوت واحد: كالصلاة، «أقسم بالله العظيم.. أن أضحى بحياتى ومالى فى هذا السبيل».

ورأى الملك أن المعارضة تشتد وتنذر بالخطر.. وإن الكراهية له تزداد، والاقتراحات العنيفة تتطاير كالشرر.. فأذعن وأعاد الدستور!...

وفى سنة ١٩٢٨ ، كان تعطيل الدستور بناء على رغبة الانجليز.. فقد أراد الانجليز إيجاد حكومة متساهله تقبل شروطهم فى عقد معاهدة.. ولم يكن ممكنا أن تأتى هذه الحكومة «المتساهلة» عن طريق الشعب: فأشاروا إلى الملك، الذى أسرع يقيل وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ ، ويحل البرلمان، ويكلف محمد

محمود بتأليف وزارة جديدة، وأعلن محمد محمود تعطيل الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد!.. ثم ذهب إلى لندن يفاوض الانجليز..

واندلعت الثورة في شوارع القاهرة، واحتشدت الميادين بالأيدى التى تلوح؛ والحناجر التى تهتف.. واجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة فى أماكن متفرقة، وكانت قرارات البرلمان الشرعى توزع فى منشورات سرية.. وأخذ النواب والشيوخ يذهبون إلى ساحة عابدين على رأس وفود من أقاليمهم رافعين الصوت. طالبين إعادة الدستور.. وقابلت الحكومة هذه الحركة بأعنف العنف.. فكان الضابط «محمد حيدر» يصول على جواده فى عابدين، وينقض بجنوده على النواب والشيوخ والأعيان والشعب كله بالضرب المبرح؛ قبل أن يبلغوا أسوار القصر.. الذى تدبر فيه الجريمة. وكانت الصحف تعطل بالعشرات.. وقد كان من نصيب «روز اليوسف» أن عطلت أربعة شهور.. وطار ويصا واصف ومكرم عبيد وصبرى أبو علم إلى أوروبا يستصدرون من المؤتمر البرلمانى الدولى قرارا بعدم شرعية الحكم الاستبدادى فى مصر..

وعاد محمد محمود بمشروع معاهدة... وأعلن الشعب إنه لن ينظرها إلا تحت قبة برلمان حر.. وتحرك الانجليز ثانية يأمرون الملك فؤاد باعادة الحياة الدستورية.. وتحرك الملك فؤاد لتنفيذ الأوامر.. بسرعة!

ولكن البرلمان الجديد لم يدم أكثر من شهور.. فقد رفض الشعب مشروع المعاهدة.. ورفض الاقرار بشرعية الاحتلال الانجليزى فى مصر... ومرة ثانية اتحدت مصلحة الانجليز والملك وبعض الأذناب فى القضاء على الحياة الدستورية.. فكلف فؤاد صدقى باشا بتشكيل الوزارة فى يونيو ١٩٣٠.. ليبدأ تجربة ثالثة..

وكانت محاولة صدقى أشد قسوة وفجورا من سابقاتها، إذ طلب منه إلغاء الدستور كله، لا إيقافه ولا تعطيله، وكانت مقاومة الشعب للمحاولة الاجرامية أيضا أكثر بسالة وقوة.

فهذه المنصورة يسقط فيها سبعة من القتلى، و ١٤٥ من الجرحى، وطنطا يسقط فيها ٧٤، والاسكندرية يزيد قتلاها على العشرين وجرحاها على خمسمائة.. والاسماعيلية والسويس وبور سعيد وبني سويف وسائر بلاد القطر يخضب شوارعها الدم..

والعمد والمشايخ يستقيلون فتتفكك أداة الحكم، وعمال العنابر في بولاق يقتلون ويدفنون في عنابرهم، بين زملائهم، والمحاولات لاغتيال صدقي وأعوانه تتوالى، والارهاب يمتد الى صميم الريف.. حيث ينكل البوليس وجنود الهجانة بزعماء المقاومة فيقتل ماشيتهم ويجلد فلاحيهم ويحبس الماء عن زرعهم ويشعل النار في أجرانهم.. كان هذا الخراب يحل بكل من يرفض اعلان الولاء لحزب الشعب.. أو بالاحرى لحزب القصر! وقد بلغ عدد القتلى في شهر يونيو ١٩٣١ فقط اكثر من مائة قتيل والجرحى ١٧٥.. وفقا لاحصاء الحكومة! وحكمت محكمة النقض برئاسة عبد العزيز باشا فهمي بأن تصرفات الحكومة كانت «اجراما في اجرام، وأن رجالها لجأوا في قمع المقاومة الى «هتاك الاعراض وغيره من أشد المخازي اثارة للنفوس!»..

وحين اضطر صدقي الى الاستقالة، تحت ضغط هذه الدماء الجارية، لم ينس الملك فؤاد أن يعبر عن تقديره لرجله الذي أذل له الشعب، فكتب يقول له في كتاب قبول الاستقالة «وإنا لشاكرون لدولتكم، ولحضرات زملائكم الوزراء ما قدمتم للبلاد من اعمال مجيدة وخدمات جليلة!!»

.. وعاد الدستور.. الى أن عطل أخيرا للمرة الرابعة.

وكان فاروق قد أنفق سنوات حكمه قبل ذلك يعتدي على الدستور، ويتلاعب به، وينتهك حدوده دون أن يضطر الى ايقافه صراحة، حتى اختفت مسئولية الوزارات تقريبا وأصبح الملك يملك ويحكم في كل كبيرة وصغيرة..

واستطاع بذلك أن يحقق كل أغراضه من الاستبداد بالناس، وانتهاب الثروات، وحماية المجرمين من خلصائه.. وكان السخط الشعبي على هذه التصرفات يتزايد مع ارتفاع موجة الشعور الوطني.. وألغيت معاهدة ١٩٣٦،

وانطلقت الصحافة التي حصلت على حريتها تحارب الانجليز والقصر معا.. وانطلق الفدائيون يزلزلون قواعد الانجليز في القنال.. وكان لابد للانجليز والقصر من ضربة حاسمة يردون بها هذه الوجة .. وقد أيقن الإنجليز أن فاروقا هو عميلهم الأول في مصر، وأيقن فاروق أن الانجليز هم حرسه الحقيقي.. فكان أن عين حافظ عفيفي رئيسا للديوان، والياس اندراوس مستشارا اقتصاديا وعبد الفتاح عمرر مستشارا للشئون الخارجية، واعلنت الاحكام العرفيةو انفتحت ابواب المعتقلات للكتاب والاحرار والفدائيين..

ولكن على ماهر الذي جاء رئيسا للوزارة رفض أن يحل البرلمان ويعطل الدستور فأخرج بمؤامرة من الحكم..

وكان التناقض بين مصلحة الشعب ومصلحة الملك هذه المرة عنيفا حاسما.. وأصبح الاحساس عميقا بأنه من المستحيل أن يعيش الاثنان بعد اليوم جنبا الى جنب.. فاما أن يذهب الدستور، وإما أن يذهب الملك..

وذهب الملك!

باختصار شديد أصبح مايكتبه الشاب اللامع المقتدر «أحمد بهاء الدين» على صفحات «روز اليوسف» محل تقدير وحفاوة القارئ والمثقف سواء في مصر أو العالم العالم العربي.

ولم يكن هناك أحد يتصور أن كاتب هذه المقالات الشديدة التعقل والبالغة الرصانه مجرد شاب كان عمره وقتها حوالي خمسة وعشرين عاماً!!

ثم جاءت المحطة المهمة الثانية لأحمد بهاء الدين مع الكتب، عندما طلب منه الكاتب الكبير «احسان عبدالقدوس» رئيس تحرير روز اليوسف أن يكتب كتابا عن سقوط الملكية، وعن هذه التجربة قال «بهاء» فيما بعد:

امتلات السوق بكتب عن العهد الملكي، إنما كلها عن الفضائح والخمر والقهر وكذا وكذا.. وأنا أيضا كنت مستفزاً جداً أن تكون دي هي القضيه. طبعا هذه الاشياء مرفوضة لكن تحويل القضية السياسية الأساسية إلى مادة وكأنها

فضيحة فى هوليود أو أشياء من هذا القبيل اعتبرت أن ده نوع من التضليل، تضليل المواطن. لأن مش دى القضية!! فإحسان قال لى اكتب عن «فاروق» (الملك) بشرط أن يتم فى شهر قلت له: بس أنا هكتب كتاب سياسى، وفى أربع أسابيع سلمت له كتاب «فاروق ملكا» وأظن وقتها عمل أرقام توزيع بمقاييس هذا الوقت تعتبر هائلة. وكتب إحسان مقدمة لهذا الكتاب!

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ ظهر إعلان شغل مساحة نصف صفحة بالطول فى روز اليوسف، يقول:

الكتاب الذى تنتظره مصر

احسان عبدالقدوس يقدم

فاروق ملكا ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢

بقلم أحمد بهاء الدين

يصدر عن دار روز اليوسف.

ونفد الكتاب تماما، وأصبح مرجعاً مهماً وأساسياً فى مئات الكتب التاريخية والسياسية التى صدرت بعد ذلك، كما اعتبره أساتذة التاريخ أحد الوثائق المهمة التى لاغنى عنها للباحث التاريخى.

ونفد الكتاب تماما من الأسواق،

وبعد ٤٧ عاماً على صدوره «يتحمس د. سمير سرحان» لإصدار طبعة جديدة منه، باقتراح أن يصاحب الكتاب الأصلى مقدمة تكون بمثابة إضاءة لعالم أحمد بهاء الدين الصحفى قبل أن يصبح ذلك الكاتب الكبير والمفكر النابه.

فكانت هذه المقدمة ـ التى طالت قليلا ـ والآن اتركك مع تحفة أحمد بهاء الدين الرائعة.

رشاد كامل

أغسطس ١٩٩٩



في الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ يوليو ، دق جرس التليفون في منزلي، وسمعت احد اصدقائي الضباط ، يقول في لهجة حاسمة :

ــ لقد احتللنا القاهرة ..

وابتسمت وانا في طريقي الى مركز القيادة ..

ابتسمت لاني تذكرت ، انه منذ يومين فقط ، اى في يوم الاحد ٢١ يوليو كنت في الاسكندرية ، وكانت وزارة حسين سرى تعاني النزع الاخير بسبب الازمة التي كان يثيرها الجيش في ذلك الوقت .. واتصلت يومها ببعض رجال حاشية فاروق ، وحاولت ان اقنعهم بان الازمة يجب ان تحل بما يحقق مطالب محمد نجيب ، الذى كان معروفا انه على راس الضباط الثائرين .. وكنت احاول ان اقنعهم ، واحاول ان احذرهم .. ولكنهم لم يقتنعوا ، ولم يخافوا التحذير .. واتهموني بالمبالغة .. وقال قائلهم : اتظن ان ستة ضباط يطبعون المنشورات ، ويسمون انفسهم بالضباط الاحرار .. يستطيعون ان يفعلوا شيئا .. دول عايزين واحد شديد يلبسهم طرح !!

ثم بدأوا يحاولون ــ كما حاولوا كثيرا ــ ان « يصلحوني مع السراى » .. على حد تعبيرهم :

واجبت بما اعتقدت ان اجيبهم به ، باني لست مختلفا مع السراى خلافا شخصيا ، ولكني صاحب راى سياسي ، يتناقض مع راى السراى .. ولن نصطلح سويا ، الا اذا تنازل احدنا عن رايه .. وانا لست مستعدا للتنازل عن رايي ، كما اني اعتقد ان السراى ليست مستعدة للتنازل عن رايها ، لان معنى ذلك انها تتنازل عن نفوذها ، وعن سطوتها ، وعن رجالها ، وعن مصالحها الشخصية التي اصبحت مدار تصرفاتها !.

وتركتهم .. وانا اقرا في عيونهم ، رايهم في ، وهو راى يتحصر في اني شاب مغفل .. واني ساتغير عندما تتقدم بي السن واجد انني لم اصل الى شيء ، ولم اجن شيئا من «تغفيلي» فالجأ الى حظيرتهم التمس النفع .. او على الاقل التمس الرضاء السامي !

وكانت تقنهم باني مغفل، واني لا اسعى لنفع شخصي، واني لا اخدم بمواقفي جهة معينة ، واني لن اتحمل الفقر والضنك طويلا .. كان كل ذلك هو عذري لديهم .. عذر جعلهم يغفلون عني كثيرا .. ويعفونني من مضاعفة الاضطهاد والظلم ، الذى كانوا يوقعونه بي !!

تركتهم .. وعدت الى القاهرة !

وكنت اعلم ان شيئا سيحدث .. ولكني لم اكن كبير الامل في حدوثه .

كانت الايام قد عودتنى الا اتفاءل كثيرا . وكنت اكثر تشاؤما من ناحية الجيش .. فقد سبق أن اعددنا العدة لمثل هذه الحركة منذ سنوات ،عندما اثيرت قضية الاسلحة الفاسدة ، وكان الرأى العام كله وراء هذه القضية ، وكنت أعتقد أن أى تدخل فيها سيثير الضباط ـ وكنا نسميهم يومها الضباط الصغار ـ وكنت اجتمع ببعض منهم ونرتب ما يمكن حدوثه اذا ما غلبتنا قوى الشر ، وغلبت العدالة .

وقد حدث التدخل

وتمرمطت قضية الاسلحة الفاسدة .

ولم يتحرك الضباط الصغار .

وضاعت جميع التهديدات القوية التى كنت اوجهها الى السراى على صفحات « روز اليوسف » . حتى كنت اتفادى مقابلة رجال الحاشية كى لا التقى بنظرات الشماتة التى يوجهونها الى ..

ومنذ تخرجت فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ ، وانا احاول ان اشعل فى مصر نارا تطهرها من ادرانها واقذارها . وفى سبيل ذلك اشتركت فى جميع الحركات الشعبية التى مرت بمصر من ذلك الحين . وعملت مع جميع الهيئات ، بالقدر الذى استطعته .. ايدت الشيوعيين ولم اكن شيوعيا ، وايدت الاخوان ولم اكن من الاخوان ، وايدت الوفديين ، ولم اكن وفديا ، وايدت هيئات مستقلة كثيرة لم اكن اؤمن بمبادئها،ولكن كنت اؤمن بمسعاها الى الثورة . حتى احتار الناس ، من اكون ، ولمن اعمل ؟! ولم اكن اعمل لاحد، ولم اكن شيئا ، الا طالبا للثورة . فقد آمنت بان الثورة يجب ان تسبق كل اصلاح ، واننا لن نستطيع ان نبنى الجديد الا اذا هدمنا القديم .

ـ وقد خاب مسعاى خلال عشر سنوات

لم ينجح تدبير اشتركت فيه ، ولم تنجح هيئة من الهيئات التى اعتمدت عليها ..

ولذلك .. وحتى بعد ان رأيت القاهرة وقد احتلها الجيش ، وبعد ان اصبحت فى مركز قيادة الثورة .. لم اكن متفائلا !!

واختليت بمحمد نجيب فى احدى حجرات القيادة،ومعنا بعض الضباط، وسألته :

ـ ماذا تريد ؟

قال :

ـ الدستور .. والاصلاح !

قلت :

ـ هذا كلام عام .. انى اسألك ، ماذا تريد فى هذه اللحظة ليتحقق فى هذه اللحظة !

قال :

ــ ماذا تعنى ؟

ــ قلت :

ــ ان لك مطالب .. من سيقوم على تنفيذ هذه المطالب .. هل ستتولى الحكم بنفسك ، ام ستعهد بمطالبك لوزارة الهلالى ، ام تريد وزارة جديدة !!

قال :

ــ انى لا اريد ان احكم .. الدستور لا يتيح لى ان احكم !

وكان يتكلم فى هدوء عجيب وهو يشد انفاسه من غليونه ، وكاد هدوءه ان يثيرنى .

كنت اتصور قائد الثورة فى مثل هذا اليوم ، صاخباعصبيا ، يلقى اوامره باستمرار ، وتلتف من حوله الجموع ليخطب فيها ويحركها

ولكن هذا الرجل كان هادئا ، وكانه لم يفعل شيئا . وكأن عنقه ليست فى حبل المشنقة

ثم بدات استريح الى هذا الهدوء .. وبدات اعصابى تسكن . واصبحت كانى فى جلسة عائلية تبحث مشكلة طارئة !

وعدت أسأل محمد نجيب :

ــ اذن من تريده ان يتولى الحكم !

قال :

ــ اظن من الاوفق ان ندعو البرلمان السابق ، باعتباره آخر حلقةمن حلقات الدستور ..

قلت :

ــ ان البرلمان السابق يحتاج الى تطهير ، ثم ان الحركة يجب الا تتهم بالحزبية والبرلمان السابق كان حزبيا !

قال فى هدوئه العجيب :

ــ هذا صحيح .. ولكن الهلالى ايضا يصطبغ بصبغة حزبية ..

قلت :

ــ بلاش الهلالى ..

قال :

ــ من ترشح ؟

ومرت بى ثلاث دقائق استعرضت فيها جميع الاسماء والوجوه .. اسماء ووجوه الشبان والشيوخ.. فلم اجد احدا يصلح ــ فى اعتقادى ــ للموقف.. بكل أسف !!

وعاد محمد نجيب يقول :

ــ ما رايك فى بهى الدين بركات .. انه رجل محايد !

قلت بصراحة :
ــ انه أضعف من الموقف !
قال :
ــ علي ماهر ؟!
وصرخت فرحا :
ــ انه رجل كل أزمة .. اعتقد انه يصلح
وقال محمد نجيب :
ــ والضباط يعتقدون ذلك ايضا !!
ونظرت الى محمد نجيب فى عينيه الهادئتين المبتسمتين دائمـا ، وتساءلت بينى وبين نفسى : هل كان يريد على ماهر من مبـدأ الامر .. وكل ما هنالك انه اراد ان يقف على رايى ، قبل ان يقول رايه !!
من يدري !
وعاد محمد نجيب يقول :
ــ ولكن ، هل يقبل على ماهر ؟
قلت :
ــ نساله .. ولكن هل يقبل الملك ؟!
وانطلق صوت من جانبى يقول :
ــ الملك مالوش دعوه .. لماذا لانعزل الملك ؟
وصمت برهة .. وتساءلت : نعم .. لماذا لانعزل الملك ؟
وعرفت لاول مرة الهدف البعيد لحركة الجيش .. الهدف الذى فكرنا فيه مرارا ، ولم نحاول تنفيـذه ابدا ، الا فى مرة واحـدة ، اجتمع فيها فريق من الضباط فى منزلى ، وقرروا اغتيـال الملك .. وعارضت الفكرة ، لان اغتيـال الملك فى ذلك الوقت لم يكن يؤدى الى شيء .. ولان الانجليز كانوا يستطيعون يومها ، ان يضعوا الامير محمد على فى مكانه !!
وغير اللواء محمد نجيب ، مجرى الحديث بسرعة ، قائلا لى :
ــ تولى انت سؤال على ماهر .. هل يقبل تولى الوزارة ام لا ؟
قلت :
ــ سادعوه الى هنا لمقابلتك .
ــ يبقى عال .
وتركنى محمد نجيب ، وذهب الى حجرة أخرى ليجتمع بالاستاذ مصطفى الصادق ، عم الملكة ناريمان ، الذى تطوع يومها ليكون رسول سلام بين الجيش والملك .
وكان مصطفى الصـادق يحمل الى محمد نجيب فى كل عشر دقائق عرضا جديدا ..

عرض عليه ان يجيب الملك جميع مطالب الجيش ، بشرط ان يتوجه بها محمد نجيب الى الملك ملتمسا ـ كتابته ـ ان يتعطف جلالة الملك ويوليها اهتمامه ..

ورفض محمد نجيب ذكر اسم الملك فى بيان الجيش ..

وعاد مصطفى الصادق يقول ان الملك قبل مطالب الجيش ، دون ذكر اسمه فى البيان ..

ورفض محمد نجيب ان يجيب الملك مطالب الجيش الا بعد ان تتغير الوزارة ..

وجاء مصطفى الصادق يقول، ان الملك يرجو أن تمنحوه فرصة للتفاهم على ما تريدون ..

واجاب محمد نجيب : اننا عند موقفنا .. وسنتفاهم فى حدود الاجراءات العسكرية التى اتخذناها ..

... الخ !

ولكى تبدو الجراة العنيفة التى كان محمد نجيب يتولى بها ادارة الحركة ، يكفى ان أؤكد ان فرق الجيش المرابطة فى الاسكندرية لم يكن قد تحدد موقفها بعد .. وانه كان من المحتمل جدا ـ فى هذه الساعة المبكرة من الصباح ـ الا تنضم للحركة ..

وتركت محمد نجيب ، وبدات أبحث عن على ماهر ..

واتصلت بخمس نمر تليفونية خاصة بعلى ماهر ، فلم اعثر عليه ..

واتصلت برئيس حركة التليفونات ، وطلبت منه باسم القيادة العامة ، ان يصلنى بالقصر الاخضر .. فاوصلنى به مباشرة ، ولم أجد فيه على ماهر ..

واخيرا اتصلت بالاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ،وابلغته فى اختصار خطورة الحالة ، وطلبت منه ان يسرع الى بيت على ماهر ، ويطلبنى من هناك فى تليفون القيادة العامة .

وذهب ابراهيم عبد الوهاب فعلا الى بيت على ماهر ..

ولكن مرت نصف ساعة ولم يتصل بى ..

واتصلت مرة ثانية بحرم الاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ، واستطعت ان احصل منها على رقم التلفون الذى استطيع ان احادث فيه على ماهر ..

ورد على ماهر اخيرا ..

ولم اقل له من انا ..

انما قلت : هنا القيادةالعامة .. اللواء محمد نجيب يريد من رفعتك ان تأتى الى القيادة لامر هام .. فاذا وافقت فسنرسل لك حراسة تصحبك الى هنا.

وسكت على ماهر قليلا ، ثم قال :

ـ الباشا فى الحمام .. استنى شويه لما نبلغه !!

وغاب رفعته قليلا ، ثم عاد يقول ، وبنفس الصوت :

ـ انا على ماهر .. انى لا استطيع ان احضر الى القيادة قبل ان افهم الموضوع .. ارسلوا لى مندوبين عنكم لاتفاهم معهم ..

قلت :

ـ سيصلك المندوب بعد دقائق ..

وحيلة « الباشا فى الحمام » حيلة قديمةعرف بها على ماهر، حتى اشتهرت عنه ، واصبحنا ـ نحن الصحفيون ـ نتحملها صابرين .. وكاننا مغفلين ! !

واخذت معى اثنين من ضباط القياده ، وركبنا سيارة احدهما ، وتبعتنا سيارة جيب تحمل جنودا مسلحين بالتومى جن ، لحراستنا ..

وفى الطريق اتفقت مع صديقى ، على الا نتكلم مع على ماهر بشان الملك ، او مصيره ، او ان الحركة موجهة ضده مباشرة، انما نكتفى بالحديث عن الفساد والتطهير ، والاصلاح ..

كنت اخاف ان يعارض على ماهر فى عزل الملك ، او يتراجع عندما يقف على الهدف البعيد للحركة ..

واستقبلنا على ماهر فى الدور العلوى من داره فى الجيزة ..

وبدا الكلام احد الضباط ..

وتحمس فى عرض اهداف حركة الجيش ، حتى بدأ يتحدث عن مصير الملك ، فمددت قدمى وضغطت بها على حذائه من تحت المائدة ، حتى يخفف من حماسه ..

ثم رجوت على ماهر بان يسمح لى ان اشرح له الموضوع ، بوصفى رسولا للواء محمد نجيب ..

ولم اقل له ان الجيش يريدك رئيسا للوزارة ..

ولكن قلت ان الجيش يريدك ان تكون مستشارة ..

ثم بدات اعرض مطالب الجيش الخاصة بالتطهير وبالدستور ، وفهم على ماهر ان معنى استشارته هو ان يكون رئيسا للوزارة ..

وفى هذه الاثناء دخل الاستاذ حسن ماهر ، وقال ان الاستاذ ادجار جلاد موجود فى غرفة اخرى ويريد ان ينضم الى اجتماعنا ..

ونظر على ماهر الينا ..

فاجاب الضباط : لا .. لن نتكلم اذا جلس معنا ادجار جلاد ..

وقال على ماهر ، ان ادجار جلاد موجود معه من الصباح ، وانه يتولى الاتصال بالسراى فى الاسكندرية ..

وعدنا الى حديثنا ..

وقال على ماهر انه يقبل ان يتقيد بالمبادىء الدستورية ، ومبادىء التطهير التى تررها الجيش ، ولكن لن يستطيع الان ان يتقيد باية تفصيل !!

وابلغناه ان القيادة فى انتظار حضور الاستاذ مرتضى المراغى مندوبا عن الوزارة . .

فقال على ماهر انه يفضل ان ينتظر حتى تنتهى مقابلة مرتضى المراغى ، واللواء محمد نجيب ، ثم بعدها يحدد موقفه . .

ثم قال :

ـ انني لن استطيع ان اتخذ اى خطوة الا بعد ان يكلفنى الملك باتخاذها . . واسمحوا لى ان اصرح لكم بأنى سابلغ الحديث الذى دار بينى وبينكم للسراى فى الاسكندرية حالا ، وسيقوم جلاد (باشا) بتبليغه . .

قلت :

ـ ارجو ان تترك مهمة تبليغ هذا الحديث لنا . .

قال :

ـ لا . . ان واجب الامانة يدعونى انابلغه ، وان أصارحكم بأنى سأبلغه . .

وقمنا بالانصراف . .

وعند باب المصعد ، انتحى بى على ماهر ، وسألنى عن اسمى الضابطين اللذين كانا معنا . .

وقلت له الاسماء كاملة . .

وعدنا الى محمد نجيب ، وابلغته راى على ماهر ، وقلت له انه قبل تشكيل الوزارة ، اذا عهد اليه الملك بتشكيلها . .

وقال محمد نجيب :

ـ عال . . ولقد ابلغت فريد زعلوك الذى كان يخاطبنى من الاسكندريةالآن بان الجيش يريد على ماهر . .

وقد ادلى محمد نجيب بعد ذلك بحديث لوكالات الانباء قال فيه انالجيش يريد على ماهر رئيسا للوزارة .

واتصلت بعلى ماهر ، وابلغته هذه الانباء . .

وبقيت القيادة فى انتظار وصول الاستاذ مرتضى المراغى . . ثم ابلغت بوصوله الى المطار فارسلت القيادة سيارات حربية لحراسته حتى مقر القيادة ، ولكن مرتضى لميكن فىالمطار ، وقيل انه فىوزارة الداخلية ، فارسلت سيارات الحراسة الى هناك ، ولكن مرتضى لم يكن هناك أيضا . .

كان من المؤكد ان مرتضى وصل الى القاهرة . .

ولكن اين هو ؟ . .

لقد بقى ضباط الحراسة فى انتظاره بمكتب مدير الامن العام ما يقرب من ساعة ، ولكنه لم يظهر ،ولم يستطع مدير الامنالعام ان يقول اين هو ، فغضب الضباط ، وعادوا الى مركز القيادة . .

وفي هـذه الاثناء ـ واحب ان اتكلم بصراحة ـ بدأت اعصابي تخونني .. لقد توهمت ان شيئا يدبر للحركة في الخفاء ..

وتوقفت الاحداث ، توقفا مريبا زاد من شكوكي .. فالاسكندرية لم تعد تتصل بنا ، ومرتضى المراغي لم يظهر بعد ، والمندوبين بين الجيش والسراي قد كفوا عن نشاطهم ..

لابد انهم يتخذوا تدبيرا ما .. ولابد انه تدبير خطير !

وكنت قد اتصلت بمكتب « روز اليوسف » في الاسكندرية ، فابلغوني ان نجيب الهلالي قد صرح لوزرائه ، بانني مشترك في حركة الجيش وانني ذهبت الى علي ماهر اطلب منه تشكيل الوزارة .. الى آخر القصة التي لم يكن قد انقضى على حدوثها ساعات .

واحسست بحبل المشنقة حول عنقي ..

وكنت التفت الى الطائرات التي تحلق في السماء ، خشية ان تكون طائرات انجليزية ارسلها الملك فاروق للسيطرة على القاهرة والقبض علينا .. رغم ان الانجليز والامريكان اكدوا في الصـباح الباكر انهم لن يتدخلوا مادامت ارواح الاجانب في سـلام ، ومادامت الحركة ليست موجهة الى القوات البريطانية في القنال ..

وكان كل من في القيـادة يحس بما احس به .. يحس بحبل المشـنقة .. ويحس ان حياته ـ وربما حياة عائلته ـ معلقة بنجاح الحركة ، ولـكنني كنت الوحيد فيهم الذي أتكلم عن شكوكي ومخاوفي .. اما هم فكانوا في برودة الثلج حتى ان محمد نجيب وجد في اعصـابه القدرة ليقابل علي ايوب مدى سـاعة ونصف ليتذاكر معه ذكريات الصداقة ..

وفلتت اعصابي مني في اللحظات الاخيرة ..

وطلبت من احد الضباط ان يقطع حديث محمد نجيب وعلي ايوب ، ويدعوه لقي اليه بمخاوفي ..

وجاء محمد نجيب هادئا ، ثابتا ، ينفث دخان غليونه .. وكان الدنيا كلها من حوله امان ..

قلت له :

ـ ان هذا الصمت الذي يحيط بنا لايريحني .. لابد انهم يدبرون شيئا !!

قال :

ـ وماذا تقترح ؟

قلت :

ـ اي شيء .. لتتحرك الجيوش .. لنسبقهم الى عمل شيء .. اي شيء . انت ادرى .. انت القائد !

وقال صوت بجانب محمد نجيب :

ــ كل شيء أعددت له عدته .. اطمئن !
وتركنا محمد نجيب وعاد الى حديثه الممتع مع علي ايوب !
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ، دق جرس التليفون في احدى حجرات القيادة ، وقال المتكلم :
ــ لقد استقالت وزارة الهلالي ، وعهد الملك الى علي ماهر بتشكيل الوزارة
وعادت الحياة تنشط من جديد بين الحجرات ..
ولم اشترك في هذا النشاط ..
وركبت سيارتي ، وعدت الى بيتي ، لارى السيدة الكريمة التي انخلع قلبها علي ، خلال هذه الساعات الطوال ..
وارتميت على سريري لانام ، ولا ادري كم نمت ، فقد كنت كمن قضى عشر سنوات واقفا على اعصابه ، وآن له ان يستريح ..
وفي المساء عدت الى علي ماهر في منزله ، وتناولت معه طعام العشاء برفقة فريق من وزرائه ، ثم اختليت به بعد العشاء ، لاروي له قصة الازمة كاملة ، ثم قلت :
ــ ان مطالب الجيش ابعد مما تصور !!
قال :
ــ ماذا يطلبون مثلا :
ولم اقل شيئا عن الملك ، بل قلت :
ــ انهم يطلبون الغاء البوليس السياسي مثلا ..
واجاب :
ــ خسارة .. دي اداة نافعة جدا ..
وقلت :
ــ ان طلباتهم من هذا النوع كثيرة .. وارجو ان تختار وزراءك من الشبان المعروفين بكفاءتهم ، وقوة وطنيتهم ، حتى يساعدوك على تلقي هذه المطالب
واستدركت قائلا :
ــ اني كاتب عبرت دائما عن افكار ضباط هذه الحركة .. وساظل دائما كاتبا ، ولا اريد الا ان اكون كاتبا .. ولذلك فاني استطيع ان ارى اكثر مما يراه غيري .
وقلت هذا لانفي اشاعة ذاعت يومها ، عن اني مرشح للوزارة .. وخفت ان تكون هذه الاشاعة قد طرأت على ذهن علي ماهر ، وانا انصحه بان يختار وزرائه من الشبان الوطنيين ..
وتركت علي ماهر ..
ولم يقتنع معاليه ــ يومها ــ بمبدأ الاستعانة بوزراء شبان وطنيين
خرجت من عنده ، وكل ما في راسي ان الملك قد هزم في الموقعة الاولى ..

وكانت الهزيمة الثانية للملك فى اليوم التـالى ، عندما قبل مطالب الجيش كاملة رغم تطرفها . .
وكانت هزيمته الاخيرة يوم وقع وثيقة التنازل فى اليوم الثالث . .
ولكن لماذا تقرر التخلص من الملك . .
ولماذا هزم بهذه السهولة . .
هذا هو ما سجله هذا الكتاب . .
انه كتاب لم يسجل تصرفات الملك الشخصية الخليعة ، ولا نزواته الشاذة الفاضحة ، ولكنه سجل ما هو اهم . .
سجل مصيبة مصر بهذا الملك . .

احسان عبد القدوس

مقـــدمة

« ... وكان وراءهم ملك ، يأخذ
كل سفينة غصبا ! »
« قرآن كريم »

ايها القارىء !

ليس هذا الكتاب الذي نقدمه لك عن الملك السابق فاروق الا بداية . فلا شك ان فاروقا سينال من المؤرخين في السنوات الاتية عناية كبيرة . ولا شك ان كتبا كثيرة سوف تصدر متناولة كل ناحية من ماساته ، ومأساة شعبه معه . بل ان كتبا كثيرة سوف توضع عن كل فرد من افراد حاشيته التي صنعت مصير سيدها ، ودور كل واحد فيهم .. من احمد حسنين الى كريم ثابت والياس اندراوس وانطون بوللي وناهد رشاد !

اما الضرورة التي دعت الى الاسراع في اصدار هذا الكتاب ، ولما يمضي على خلع الملك السابق شهر ، فواضحه .. ففي هذا الخضم الهائل من القصص والروايات ، والحقائق والاكاذيب ، والكلام المغرض والكلام البريء .. شعر الناس ولا شك بالحاجة الى كلمة حق واضحة ، كاملة ، لا تجهض في خبر او مقال .

نعم ... فان الاكاذيب التي نشرت كثيرة

واكثر منها الحقائق التي رويت بطريقة معينة ، يراد بها الباطل !

وقد قرانا الكتاب الكبار يتبارون في تفسير المأساة .. فيقول واحد ان فاروقا مجنون . ويقول آخر انه كان يعاني من نقص جسدي او عقدة نفسية .. ويقول ثالث ان ظروفه العائلية هي التي ادت به الى هذه النهاية

فاعلم ايها القارىء ان هذا الكلام ــ برغم ما فيه من جوانب الصحة ــ ليس الا دفاعا عن الملك السابق ! كما يدافع المحامي عن موكله القاتل بانه مجنون ، لينقذ عنقه من حبل المشنقة ...

فالذي اطاح بالملك السابق ليس مجرد جنونه وحماقته وعقده النفسية . انما اطاح به انه حاكم مستبد . ونحن اليوم في حاجة لا الى ان نكره شخص فاروق فحسب ، بل وان نكره ايضا الاوضاع التي صنعت فاروقا ، واتاحت له ان يكون مستبدا ... وهي اوضاع يمكن ان تصنع مستبدين آخرين غير فاروق ، واسوا من فاروق .

وانت ــ ايها القارىء ــ تفهم ما اريد !...

فلو كان فاروق مجنونا وطائشا وزير نساء ، ولكنه كان ملتزما قواعد الدستور ، لما طار من على عرشه ، في هذا الوقت على الاقل . لان جنونه وفساده كانا سيبقيان في هذه الحالة وقفا عليه في حياته الخاصة ... ولن يضير الناس أن يحطم اثاث قصره ، ويقذف الاكواب في وجوه اصحابه واهله . فهذا شيء يخصه ويخصهم . ولكن الذي اطاح به انه كان يحطم الوزارات ، ويدوس القوانين ، ويقذف بالاقذار في وجه الشعب ، ويتدخل بحماقته وجنونه في شئون الحكم والجيش والقضاء .

والمجنون لا خطر منه على الاطلاق اذا قيد وربط ووضع في حجرة مغلقة

او في مستشفى المجاذيب .. لكنه يصبح خطرا اذا اطلق على الناس واتيح له أن يصنع بهم ما يشاء

والدستور هو القيد الذي كان يجب أن يقيد به الملك السابق والقفص الذي كان يجب ان يوضع فيه... ولكننا اطلقناه من قيد الدستور ،وعلمناه ان كل شيء رهن اشارته ... فطغى وبغى وفسق وهتك ، وقال الناس انه مجنون !

والقول بانه مجنون فحسب ، ان كان يفسر ماساته هو فانه لا يفسر ماساتنا نحن ... وان لم يكن هذا دفاعا عنه ... فهو على الاقل دفاع عن الاستبداد ... ومحاولة لاقناع الناس بان فاروقا كان مستبدا مجنونا ... لتهيئة اذهانهم لقبول اسطورة المستبد العاقل .

والمستبد العاقل والمستبد المجنون .. كلاهما مستبد ! بل ان المستبد المجنون خطبه أهون وأيسر ، لان استبداده اقصر

وهل كان قياصرة الروس وملوك الفرنسيين كلهم مجانين . لان شعوبهم كرهتهم ولطخت تاريخهم ثم عزلتهم ؟. كلا ، ولكنهم كانوا جميعا مستبدين . لا يعرفون الا حقوقهم وسيادتهم وان الناس كلهم خدم لهم

وما الذي يمنع الناس في المجتمع من أن يكونوا لصوصا وقتلة ومجرمين ؟ انها القوانين الموضوعة والقيود الاجتماعية التي تجعل السرقة والغصب والانتهاك اشياء محرمة علينا .

والدستور هو القانون الذي يحدد مكان الملك ، وينظم قيوده .

واسال علماء التربية يقولون لك : ان الطفل الذي يعلمه اهله من صغره الاداب المرعية والقيود الاجتماعية ، ويلقنونه مايجوز له وما لا يجوز ، ينشأ طفلا عاقلا مهذبا ناجحا .. وان الطفل الذي يدلله اهله تدليلا جاهلا ، فيتركونه يصنع ما يشاء ، ويحصل على كل شيء .. يصفع اباه فيضحك له، ويبصق على الجيران فيشجع ، ويكسر الاثاث الثمين فيقال له فداك !. هذا الطفل يصبح حين يكبر ولدا عاقا شرسا عنيدا ، سرعان ما تنمو في صدره الرذائل ، وتزداد في طبعه الشراسة كلما اصطدم بشيء لا يجوز له وهو الذي تعود ان كل شيء مباح ... حتى يصبح آخر الامر مجرما عاتيا ، او طريدا من طريدي المجتمع !.

وهذا هو ما فعلوه بالملك السابق تماما .. اذحرروه من كل قيد أو دستور أو قانون .. وافهموه انه صاحب الارادة الاولى ، والكلمة العليا .. الذي لا يخطيء .. فأصبح وحشا ضاريا .. ككل مستبد سبقه في التاريخ .

الم يكن يقذف الماء في وجه كريم ثابت تعبيرا عن رضاه السامي ؟.

الم يكن يقتل ويحرض على القتل ؟

الم يكن يغتصب الاموال والاعراض ؟

ألم يكن يشهر رؤساء الوزارات الكبار ؟
لماذا ؟...
لانه كان يعرف ان رئيس الوزارة لو غضب لكرامته ومضى فسوف يجد بدلا منه عشرة رؤساء وزارات ولانه كان يعرف انه سيجد الفقهاء والاساتذة الذين يثبتون للناس ان تصرفاته دستورية واعماله سليمة ...
فالبداية الحقيقية في ماساة فاروق : أنه لم يلتزم الدستور !. اما جنونه وطيشه وفسقه فكلها نتائج لهذا التحلل من كل قيد .
وعلى ضوء هذه البداية نستطيع ان نحدد المسئولين ... انهم كل من فرطوا في الدستور ، وزينوا له ان يحرقه ، وافتوا له بان سلوكه صواب ، وزعموا للناس بأن جنونه في مصلحة الوطن ... وكل من احاط به صديقا او ناصحا او امينا ...
اما ما تقرأه — ايها القارىء — الان من ان ناهد رشاد كانت تريد ترك الحاشية ، وان حسن يوسف كان يعارض تصرفات الملك ، وان حافظ عفيفي كان لا يؤخذ برأيه ، وان اندراوس طالما نصحه فلم ينتصح .. فلا تصدقه.. لانه كذب صريح
فما الذى منع كل واحد من هؤلاء السادة ان يقول : لا .. ويمضى ؟.
انهم اما كانوا يوافقون على تصرفاته عن اقتناع ، واما كانوا يسايرونها لمنفعة ... وكلا الموقفين جريمة !
وكل ما تنشره الصحف دفاعا عنهم انما يراد به اعطاء هؤلاء الناس فرصة اخرى لارتكاب جرائم جديدة !.
وبعد ...
فهذه هي الحقائق الكبيرة التي يريد هذا الكتاب السريع أن يثبتها ... وأن يسجلها في ذاكرتك — ايها القارىء — باحرف من نار ...
لكي لا تنسى !

فصل واحد .. سعيد !

ان الانسان لا يعرف أهو شقي
أم سعيد حتى ينزل الى القبر !
أرسطو

٦ مايو ١٩٣٦

وعلى رصيف قصر راس التين ، نزل الملك فاروق قادما من انجلترا ليجلس على العرش . ورآه الناس يافعا فى السادسة عشرة من عمره نحيفا ، طويلا ، يعلو وجهه الوديع مزيج من البشاشة والحزن . وعلى الرصيف وقف رجال القصر القدامى يستقبلون سيدهم الجديد .. وعلى راسهم رجل قصير القامة ، قد استبد به التأثر .. ولكنه ظل كما عرفه الناس .. بالجراة التى تلمع فى عينيه ، والعزم المجمد فى ذقنه ، والمزاج العصبى المرتعش فى انفه الكبير .. ذلك كبير وزراء الملك الجديد ، والرجل الذى سيصبح رائده الاول فى السياسة المصرية : على ماهر !

وخارج اسوار القصر كان الناس يهتفون بجنون .. ولم تنقطع الهتافات طيلة رحلة الملك الى القاهرة .. وقد وقف الملك الجديد فى احدى نوافذ القطار يحيي المواكب التى لا تنقطع ، وتترقرق الدموع فى عينيه وهو يرى رعاياه بثيابهم المهلهلة وايديهم الخشنة .. يتعلقون بقطاره الابيض ، متعرضين لخطر الموت ، من اجل نظرة يختلفونها الى طلعته .. وكبير وزرائه خلفه يحدق فيه ، بحدب الرجل على ابن صاحب له مات .. وتكرر المشهد فى القاهرة ، حتى دخل الى هذه القاعة الكبيرة ، واستوى على العرش

وكانت كل الاسباب تدعو هذه الملايين الطيبة الى فرحتها الطاغية

فمنذ قليل عاد الى الناس دستورهم بعد معركة قاسية مع الملك فؤاد .. وقد اجريت الانتخابات حرة عادلة معبرة عن ارادة الشعب والمفاوضات مع انجلترا تلوح عليها هذه المرة علامات التوفيق ، كما يؤكد لهم الزعماء !.. والطيبة الساذجة فى قلوب المصريين تعطفهم على هذا اليافع الذى فقد اباه فى غربته ، وجاء من بلاد بعيدة ليجلس على عرش اجداده .. كحكايات الامهات الطيبات . والقصص التى تنشرها الصحف عن الملك الجديد لا تدع فى نفوس الناس مجالا للشك فى انهم مقبلون على عهد جديد

فهذا هو رائده احمد حسنين ، ينثر على مندوبي الصحف جعبة مليئة بالقصص عن ديمقراطية فاروق ـ قصص سنعلم نبأها بعد حين ـ وهذا هو فاروق ـ بالاتفاق مع الملكة والدته ـ يطهر القصر من حاشية فؤاد : فالابراشي ناظر الخاصة العنيد يستقيل .. والسيدة التى عرفته باسم « الخازندارة » والتى كانت صاحبة الكلمة النافذة فى القصر والمكانة الاولى عند رب القصر .. والتى يعدى نفوذها حياة فؤاد الخاصة الى كتابة التقارير . هذه « الخازندارة » تطرد من القصر على ان لا تعود .. وتطرد معها الجارية الشهيرة « فردوس » واربع جوار اخريات من قولة ، وبعض السفرجية ، ورئيس الخدم الذى كان يدعى « احمد الكردى » .. وكلها اسماء كان الناس يلوكونها .. ساخطين ، خائفين !

واقبل المصريون الذين نشأوا على تأليه السادة يلتهمون ماتنشره الصحف عن ذكاء فاروق ، ورقة قلبه ، وسرعة خاطره ، وسعة اطلاعه ، وتخصصه في الاثار القديمة . ومدرسوه القدامى يؤكدون ذلك كله في احاديثهم .. حتى مرضعته ، تلك التركية العجوز « عائشة جلشان » لا تنساها الصحف، فهي تدلي بحديث عن العبقرية التي لاحظتها على الطفل الصغير، وهو مايزال على صدرها رضيعا !!..

ومرت الشهور الباقية على تولي الملك سلطته الدستورية بسرعة .. وكان على ماهر قد استقال وخلفه النحاس بوصفه زعيما للاغلبية . واستمرت المفاوضات مع انجلترا.. ونبتت محاولات كثيرة لرفع سن الرشد التي يتولى فيها الملك سلطته الدستورية . ورفض النحاس يؤيده الرأى العام.. فقدكان الناس يتلهفون على تولي الملك الجديد سلطته الدستورية ، ويتوهمون انه لن يصنع بحقوقهم ما صنعه فؤاد ، وانه سيكون خيرا من مجلس الوصاية المكون من الامير محمد على وشريف صبرى وعزيز عزت .. والناس يتناقلون قصة اعضاء مجلس الشيوخ حين ذهبوا لمقابلة مجلس الوصاية .. اذ استبدت الحماسة برئيسهم محمود بسيوني فالقى خطبة ختمها بالدعاء للامة ان تفوز بالحرية والاستقلال التام .. فقاطعهالامير محمد على، قائلا : الاستقلال التام؟ علشان تتجننوا زيادة ؟

ورد محمود بسيوني ذاهلا : نتجنن ازاى يا افندينا ؟ ..

وكان شريف صبرى جالسا ، فاسرع ينقذ الموقف ويحول مجرى الحديث

وسافر فاروق في رحلة الى اوروبا مع اسرته ، واعلنت خطوبته لفتاة لها ابتسامه عذبة ونظرات طيبة ، هي صافيناز ذو الفقار،ومضى الناس يتحدثون عن فرح الملك المرتقب ، وجهاز العروس ، والام التى رأت ليلة القدر .. حتى جاء يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٧ ، وسار الملك في موكب التتويج الى البرلمان ، تحلق فوقه حمامات بيض اطلقها الناس،ووقف امام النواب الذين انتخبهم الشعب، يؤدي اليمين الذى لم يحرص عليه قط .

« احلف بالله العظيم .. انى احترم الدستور ، وقوانين الامة المصرية ، واحافظ على استقلال الوطن وسلامة اراضيه ! » .

وعاد فاروق الى القصر ملكا متوجا

***

هل كان فاروق حقا على هذه الصورة التى رآها الناس ؟ وديعا رقيقا ، طاهر الذيل ، معترفا بحق الشعب ، عازما على احترام الدستور ؟

كلا على الاطلاق .. ولنرجع قليلا الى الوراء .

كانت تربية فاروق الاولى تحت اشراف ابيه الملك فؤاد. ولم يكن الملكفؤاد من الديمقراطية في شيء ! فقد عرف عنه انه صارم مخيف في حياته الخاصة ،

وانه يعامل موظفيه معاملة ارهابية تجعلهم يرتعدون امامه . . حتى قال المرحوم محمود شوقي باشا سكرتيره الخاص مرة : كنا امام الناس باشاوات ، اما معه فلن نكن الا خدما !

وكان شديدا في رقابته على فاروق . فلم يسمح بان يكون له اصدقاء من اولاد الامراء مثلا او الباشوات . بل احاطه بطائفة من الخدم . . فشب فاروق دون ان يعرف صداقات الند للند ومجالسة الذين يخدمون انفسهم . . بل اعتاد ان يجالس الخدم الذين يتسابقون الى ارضائه باي ثمن !!

وكان فؤاد يكره الدستور والكلام الذي جاء فيه عن حقوق الشعب . وانه مصدر السلطات وما الى ذلك، حتى ان الدستور الممهور بامضائه لم يطبق طيلة حكمه سنين تعد على اصابع اليد الواحدة . وكذلك كان يكره سعد زغلول ثم مصطفى النحاس . . وقد ذاعت عنه قصة شهيرة تصور عواطفه نحو سعد تتلخص في انه لما سمع بان شخصا ، اطلق على سعد النار واصابه استدعى كبير الامناء وقال له : اذهب لزيارة سعد فاذا كانت اصابته قاتلة فلا تلغى التشريفات ، اما اذا كانت غير قاتلة فالغها !

اى اذا كان سعد سيموت فليذهب الى الشيطان . اما اذا كان سينجو ، فلا مفر من مجاملته ، واظهار الحزن بالغاء التشريفات !! . .

وحتى اذا لم تصح هذه القصة . . فلا شك ان الملك فؤادا لم يكن ينسى ان الانجليز ساوموا سعدا في سبيل على عرش مصر ، وان الخديو عباس عرض عليه مساعدة الوفد ماليا على ان يكون من مطالبه اعادته الى العرش . . والعروش عند الملوك اغلى من اى شيء في الوجود . . . ولم يكن يرى بنفس راضية هذا الفلاح يدخل مكتبه ويقول له : لا . . ويقول له : باسم الشعب . . فلا يملك الا ان يكرهه كراهية حقيقية ، اذ يراه خطرا عليه .

وكان فؤاد الى ذلك شحيحا، وراءه سنوات من الفقر الشديد قبل ان يصعد الى العرش . . وامامه سعي دائب لتكوين ثروة طائلة . . حتى مات عن تركة تبلغ ٣٠٠ر٤٩ فدان ، ولم يكن ساعة تولى العرش يملك شيئا .

وليس معقولا بعد ذلك ان نتصور ان الملك فؤادا كان يربي ابنه تربية ديمقراطية ، وانه نشأه على احترام ارادة الناس ، والتزام حدود الدستور ، والاعتراف بكرامة المواطنين . . انما اراد له ان يشب وله مثل سطوته وشدته حتى تعنو له الجباه . . وقبل ان يموت ترك لابنه مذكرات وتعليقات . . فيها خلاصة وافية لنصائحه ، وتجاربه ، وآرائه في السياسة والاحداث . . عكف فاروق بعد عودته على قراءتها مع رائدة احمد حسين . . فكانت درسا لاينسى . .

وتلك هي التأثيرات الاولى في تكوين فاروق . . .

وقرر فؤاد ان يرسل ابنه الى انجلترا فاختار له بعثة تتكون عدا الخدم

من ثلاثة : احمد حسنين وعزيز المصري وعمر فتحي ...

وكان عمر فتحي مجرد حارس خاص .. اما احمدحسنين وعزيز المصري، فاي تناقض !

عـزيز المصري .. الثائر القـديم ، المتعصب لوطنـه ودينه ، الذي يـكره الانجليز بالذات كراهة خاصة ..

واحمـد حسنين .. ذو الثقـافة الانجليزية ، والسادات الانجليزية .. ولاعب الشيش الانيق ، الذي يعـرف كيف يظهـر بمظهـر « الجنتلمان » في احاديثه ، ومناوراته !

وكان لابد ان يختلف الرجلان ..

فعـزيز المصري بطبيعتـه الحـارة وتاريخه الذي يفخـر به ، لا يمكن ان يقبل رئاسـة حسنين رجل البلاط ، البارد الاعصـاب .. وعزيز المصري يريد ان ينشيء فاروقا تنشئة عسـكرية خشنة .. وان يحدثه عن جده ابراهيم بالذات ، وعن عراقة الشعب المصري وكفاحه وابطال الحرية في تاريخ الشرق ..

عزيز المصري

اما حسنين ، وهو رجـل طموح ، فقد ادرك بذكاء الانتهـازي ان مستقبله معلق باقدام سيده ، فعمل على ان يرضيه ليستحوذ عليه .

وعرف فاروق على يد حسنين .. مغامرات الليل !..

وكان حسنين وفاروق يداوران عزيز المصري ويتركانه ينام ثم يخرجان الى الليل والمدينة .. وضبطهما عزيز مرارا ، وكان يثور ، ويهدد بشكواهما ، ثم يهدا ...

وتشاجر عزيز المصري مرة مع حسنين على المـائدة امام فاروق .. حين قادهما الحديث الى احمد عرابي وسـعد زغلول . كان عزيز المصري يريد ان يلقن فاروقا انهما رجلان وطنـيان حاولا ان يؤديا لوطنهما خدمات جليلة .. اما حسنين فلا يلفت نظر فاروق الا الى ان عرابي اراد خلع توفيق،والى ان سعد زغلول هو عدو ابيه ..

وكان فاروق في اخطر سني المراهقة ، فمال الى حسنين .. بحكم طبيعته المدللة التي تابى ان تتعلم او يفرض عليها راى او يشعر بتوجيه .. ونفر من عزيز المصري الذي كان يريد أن يوجهه قسرا ..

وذهب عزيز المصري .. وبقي معه حسنين ...

وعاد حسنين في ركاب سيده، مستحوذا عليه، وبدا ينشر خيوط طموحه،

قصصا عن ديمقراطية الملك ورقة قلبه وسمو مشاعره ..

وغطت فرحة الناس على كل شيء ... وكانت آمالهم كبيرة . فلم يعرفوا شيئا الا بعد ان اصبح ملكا متوجا ، وحمل مسئولية الحكم !

تحطيم الدستور

الطاغية .. هو الحاكم الذى لايعرف من القانون الا هواه

فولتير

أحزاب الملك

هـذا هو الفتى الذى اجلسـوه وهو فى الثامنة عشرة من عمره على عرش مصر !..

فماذا حدث ؟..

فى ليلة توليـه سلطته الدستورية ، وقعت اول ازمة بين القصر والوزارة الوفدية . وكانت ازمة عميقة الدلالة ، بعيدة المعنى ، حول اليمين الذى يحلفه الجيش فى احتفالات التتويج .

كان القصر يريد ان يحلف الضبـاط ... «ان نكون مخلصين اوفياء للملك **مطيعـين لاوامره الكريمة**» .. ورأت الوزارة ان تغير القسم بحيث يصبح «مخلصين للملك ، **مطيعين للدستور**»

وثار رجال القصر . فمـا معنى اصرار الوزارة على ان يقسم الجيش يمين الولاء للدستور ايضا فى يوم تتويج الملك ؟. ولماذا لايكون الولاء للملك فقط ؟.. ولماذا تعمدت الوزارة ان يكون «الاخلاص» للملك و «الطاعة» للدستور ؟ ... والطاعة كلمة واضحة لها معنى محدد ، بعكس كلمة «الاخلاص» العامة .

وما نحسب ان الفتى القادم من انجلترا ، عديم الثقافة ، كان يعرف فى ذلك الوقت كل هذا الكلام . ولكنهم الناصحون والمستشارون ورجال البلاط .. بدأوا يعلمونه انه هو كل شىء ، وان الجيش جيشـه لا جيش الشعب ، وان الولاء يجب ان يكون له لا للدستور !. وليس عجيبا ان نرى الفريق ابراهيم عطا الله ـ بعد عشر سنين تقريبـا ـ يقف فى نادى ضباط الجيش خطيبـا .. ويعلن انه قد تقرر تغيير شعار الجيش من «الله . الوطن . الملك» الى «الله . الملك . الوطن» .. ووجم الضبـاط يومها ، ورددوا الهتـاف بصوت خافت هزيل ..

ولكن هذه القاعدة كانت قد تقررت منذ وقت طويل . ولو قد طـال بهم الزمن وقتا آخر لقدموا الملك على الله ايضـا !..

وقعت هـذه الازمة يوم تولى فاروق سلطته الدستورية ، فكانت انذارا بالمستقبل الرهيب .. ولا بد لنا من دراسة هـذه الفترة البالغة الاهمية التى تحطم فيها الدستور ، وانفتحت فيها الثغرة لكل ما اعقب ذلك من فساد ..

وكان الموقف السياسى ينقسم الى معسكرين : الوفد فى ناحية .. والاحزاب المعادية فى ناحية اخرى ...

اما الوفد ، فقد اصبح بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية صاحب النفوذ الشعبى الاكبر والاغلبية البرلمانية المطلقة . وظن الوفد ان القضية

الوطنية التي نشأ من اجلها قد انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، واطمأن الى انه سيحكم هذه المرة مدة طويلة بعد ان خرج الانجليز من الموقف كما توهم — فاسترحت عضلاته . وظل يحكم ويتعثر ويخطئ . . وبدات المحسوبيات والاستثناءات المعتادة تكاثر في افقه ، والاتهامات المتعلقة بالنزاهة تعلق بثياب قادته ووزرائه . ورغم ان حزب مصر الفتاة الفاشي النزعة قد انشأ فرقا عسكرية باسم فرق القمصان الخضر ، فلم يبادر الوفد الى حلها لانها مخالفة للقوانين ، بل انشأ لنفسه فرقا باسم القمصان الزرقاء . . اصطدمت بالفرق الخضراء حتى اختل حبل النظام في ظروف كثيرة . . .



محمد محمود

وفي الجانب الآخر كانت المعارضة . . تتكون من حزب رئيسي هو حزب الاحرار الدستوريون برئاسة محمد محمود ، ثم حزبين صوريين هما حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقي وحزب الاتحاد برئاسة حلمي عيسى . . وجمعية مصر الفتاة . . وبعض الشخصيات المستقلة مثل علي ماهر واطفي السيد وعبد الفتاح يحيى .

وكانت المعارضة تعتنق الكلمة الشهيرة التي اطلقها محمد محمود في ذلك الوقت قائلا : ان مهمة الاغلبية قد انتهت !!

وتفسير ذلك ان الانجليز سمحوا بعودة الاغلبية الى الحكم حتى يوقعوا معها المعاهدة التي يريدون . . والان وقد وافق الوفد على المعاهدة ، ولم يعد قادرا على سحب امضائه ، لم تعد للانجليز مصلحة في بقاء الوفد في الحكم . . فعلى الاقلية اذا ان تسعى للوصول اليه !

وكانت احزاب المعارضة اكثر رجعية من الوفد ، فقيرة الى التأييد الشعبي ، لما لها من سوابق كثيرة في الطغيان وتعطيل الدستور او الغائه . ولم تكن المعارضة — وهي على هذه الحال — مستعدة ابدا لان تتجه بمعارضتها الى الناس ، وان تجاهد لكي تحول تيار الرأي العام عن الوفد تدريجيا ، عن طريق تبصير الناس بأخطائه ورسم برنامج جديد لهم . . لم تكن المعارضة أهلا لشيء من ذلك ، ولم تفكر لحظة واحدة في ان تسلك للوصول الى الحكم هذا الطريق الطويل الشاق . . ولما كان مستحيلا على هذه الاحزاب ان تتحد مصلحتها مع مصلحة الشعب ، فلم يعد امامها الا ان ترتبط بمصلحة الملك . . سياسيا

واقتصاديا واجتماعيا .. وهكذا اصبح همها ان تقوى سلطة الملك وتدعم نفوذه .. فكنت ترى هذه المعارضة بدلا من ان تقول ان الوفد يبتعد عن مطالب الشعب ويستغل تأييده .. تحاول ان تقنع الملك بان الوفد يعتدى على حقوقه ويغتصب نفوذه .. حتى يدعوهم الملك الى الحكم ، بوصفهم اوفى واخلص !..

وبدات الحملة ...

واخذت المعارضة بصحفها ، واتصالاتها ، ورجال البلاط بمناوراتهم ودسائسهم .. بداوا جميعا يعملون بنشاط .. لاغراء الملك على تمزيق الدستور .. وكانت البداية ببعض القصص التافهة .

قررت الوزارة اصلاح الحرمين الشريفين على حساب الحكومة ، ونشر ذلك فى الصحف . وقرا الملك النبا فاهتم بالموضوع وطلب تقريرا عنه .. والتقطت المعارضة هذه الواقعة البسيطة .. واستنتجت منها ان الوزارة اتخذت هذا القرار وشرعت فى تنفيذه دون ان تحيط الملك علما .. ومضت تندد بالوزارة التى لاتعمل للملك حسابا ، والتى لا تحيطه مقدما بمثل هذا الموضوع الخطير!!

تلقت الوزارة دعوة لحضور مؤتمر نيون الذى عقد بمدينة نيون الفرنسية . وقبلت الوزارة الدعوة ، وعينت اسماء المندوبين وارسلت اليهم التعليمات ..

وعلمت صحف المعارضة ان الوزارة لم تأخذ راى الملك : الوزارة اذا تتجاهل الملك ! .. يجب اقالة الوزارة التى تتجاهل الملك الى هذا الحد !

الصحف تنشر صورة للملك وهو خارج من احد المساجد عقب صلاة الجمعة وبجواره وقف مصطفى النحاس، وقد عقد يديه خلف ظهره .. وتثور المعارضة لكرامة الملك ، وتصب جام غضبها على رئيس الوزراء الذى يسىء الادب امام سيد البلاد ، ويستهين بالملك الشاب ، ويظن نفسه اعلى منه مقاما حتى انه ليعقد يديه خلف ظهره وهو واقف بجواره ...

والملك الذى لاتزيد سنه على ١٨ سنة هجرية لم يرى كل ذلك ، ويسمع الذين يفزعونه بدعوى الخطر المحدق به ... واعتداء الوزارة على حقوقه ، فى حين يجب أن يكون هو المعتدى على حقوق الوزارة ... ثم يرى تعلق الجماهير بالوفد ، ونصائح ابيه التى تحذره من هذا الحزب وهذه الجماهير ، فتنعقد نفسه وتمتلىء بالحقد والكراهية ... ويحدث مرة ان يكون خارجا من مسجد السيدة زينب بعد صلاة الجمعة وخلفه الناس ، وتدوى فى أذنه هتافات الجماهير فى الميدان بحياة النحاس، فينظر الى رئيس وزرائه ساخرا، ويقول له:

— ما تتفضل قدامى .. الناس عايزاك !!

ويرتبك النحاس ، فلا يسعفه الكلام
وفي هذا الجو ، يقع اول صدام حقيقي ..



مصطفى النحاس

الملك يريد ان يعين مهندسا انجليزيا في الباخرة «المحروسة» .. وكان علي ماهر في وزارته السابقة قد اصدر قانونا ينظم قواعد استخدام الموظفين الاجانب . ولما علمت الوزارة برغبة الملك ارادت ان تطبق القانون على هذا المهندس الانجليزي .. ولكن الملك رفض ان تتدخل الوزارة في شئون موظفي القصر .

وتمسك كل من الطرفين برأيه

ووصل الامر الى صفحات الجرائد الصحف الوفدية تشد ازر الحكومة وتدافع عن حقها في التدخل وضرورة تطبيق قوانين الدولة على موظفي القصر كغيرهم من الموظفين .. والصحف المعارضة تسمى تصرف الوزارة اعتداء على حقوق الملك .. وتشن « السياسة الاسبوعية » حملة عنيفة دفاعا عن حقوق الملك التي يعتدي عليها الوفد ، قائلة ان الوفد يستانف محاولاته القديمة لانتقاص سلطة سيد البلاد !

كان حزب الاحرار الدستوريين يرى ان انتقاص حقوق الملك شيء يعاب !

واراد النحاس ان ينهي الازمة ويتعرف ماوراءها .. فذهب لمقابلة الملك ، وقال له: انا يا مولاي احرص الناس على حقوق جلالتكم .. ولكن هناك قانون علي ماهر لابد ان يطبق .

ويرد الملك قائلا : انا سالت علي ماهر فقال لي انه حين اصدر هذا القانون لم يخطر بباله موظفو السرايات .

ويدرك النحاس بصفة قاطعة ماكان يشك فيه : ان علي ماهر في الموقف !

وينتهي الحوار باقتراح الملك احالة الامر الى لجنة المستشارين الملكيين .

ويقابل القصر هذا « الاعتداء » على حقوق الملك بالتصرفات الصغيرة التي يلجأ اليها عادة لاشعار رئيس الوزارة بانه ليس محل الرضاء السامي .. فالنحاس يريد ان يقيم حفلة ابتهاجا بخطبة الملك ولكن الملك يرفض . والملك يقيم مادبة تكريم لوزير البحرية البريطانية ، ويدعى النحاس ولايدعى كرم

عبيد وزير الخارجية بالنيابة رغم ان البروتوكول يحتم دعوته .. ويثور النحاس ويسأل أحمد حسنين فى الحفلة لماذا اغفلت دعوة وزير الخارجية ، فيقول حسنين : بعدين .. اقول لرفعتك ! ..

ديزوغ !

وفى أثناء ذلك كله كان الحديث لايفتأ يتردد عن المرشحين لمنصب رئيس الديوان الشاغر ... والصحف ترشح اسماء كثيرة ، والناس يترقبون فى قلق اسم رئيس الديوان لانهم يعرفون جيدا ان اختيار رئيس الديوان سيحدد خط المستقبل . والوزارة تهتم بالامر فهى تقترح انشاء منصب وزير لشئون القصر يعين فيه عبدالفتاح الطويل فيرفض الملك .. ثم تعرض بعض الاسماء المستقلة فيرفض الملك ايضا ، ويقول بالحرف الواحد : سوف اعين من اشاء ، فى اى وقت اشاء !

فمن يقع عليه الاختيار ؟

الرجل الذى مات فؤاد فى عهده ، والرجل الذى اوصى ابنه فى مذكراته ... الذى عرف بولائه للعرش ووقوفه فى وجه الوفد :

على ماهر

ويذهب سعيد ذو الفقار الى رئيس الوزارة ينبئه بصدور المرسوم ، فى نفس الوقت الذى يذاع فيه النبأ على الصحف ... نفس الطريقة التى عين بها حافظ عفيفى ، كما يذكر الناس ، فى نوفمبر سنة ١٩٥١ ! !

وتثور الصحف المؤيدة للحكومة قائلة ان هذا العمل غير دستورى ... وتقول اننا اذا سلمنا للملك جدلا بأن يعين فى وظائف القصر كما يشاء ، فان وظيفة رئيس الديوان بالذات وظيفة رئيسية ، وشاغلها حلقة اتصال بين الملك والوزارة ، فيجب ان يكون شخصا تطمئن اليه الوزارة ايضا ...

والصحف المعارضة قد اطمأنت الى مستقبلها ، فهى تخرج لسانها للحكومة قائلة ان الملك حر يفعل ما يشاء !

ويذهب النحاس الى الملك مستنكرا .. فيقول له فاروق : انا عينته لانه كان محل ثقة والدى الملك فؤاد ومحل ثقتى ، كما ان الامة تثق فيه

النحاس : أنا اعرف كفاية على ماهر واخلاصه ونزاهته .. ولكن يامولانا القول بأن الامة تثق الان فى على ماهر قول لايرتاح اليه الواقع .. وان المحيط

الذي يرفع الى مولاى المعلومات لايمكن الا ان يكون محيطا محدودا ليس فى وسعه ان يكون متصلا تمام الاتصال بكافة طبقات الشعب . واما انا فانى متصل بالشعب واعرف حقيقة ميوله

الملك : مفهوم .. ده طبعا رايك بصفتك رئيس حزب الوفد

النحاس : انا مش رئيس حزب يا مولاى .. انا زعيم الامة !

الملك : على كل حال دى مسالة تقديرية ...

ويعود النحاس الى بيته مهموما .. ويقول لزواره : انا بأحبى (اى الملك) وباتفاءل بوجهه خيرا ! .. بس يفتح لى قلبه .. يقول لى عايز ايه ! .. وانا مستعد اعمل له كل اللى نفسه فيه ! !



على ماهر

ولكن الازمة لاتحل بل تتعقد نهائيا . وبظهور على ماهر على المسرح ، وامساكه بعجلة القيادة فى القصر ، تبلور الصراع تماما ، واصبح خلافا دستوريا صميما ، يتناول الجذر الاساسى للنظام الدستورى كله : ما هى صفة الملك فى النظام الدستورى .. هل هو ـ كما يقول الفقهاء الغربيون ـ كالصورة المقدسة المعلقة على الحائط ، يحترمها اهل البيت ولكنهم لاياخذون رايها ؟ .. ام ان له أن يحكم ويتدخل مباشرة فى حمل المسئولية وتسيير دفة الامور ؟..

وكان الخلاف قد انحصر فى مسألتين على التحديد :

الاولى : ان الوزارة ارادت ان تعين يوسف الجندى وزيرا للداخلية فرفض الملك

الثانية : ان الوزارة رشحت فخرى عبد النور ليعين فى مقعد خال بمجلس الشيوخ ، ولكن الملك اعترض ورشح عبد العزيز فهمى

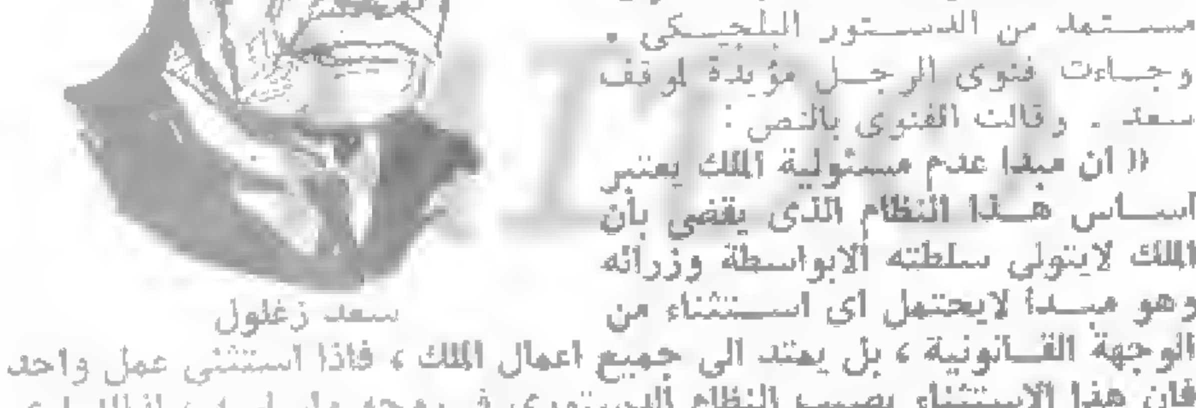
اما الاعتراض على فخرى عبد النور فكان لمجرد احراج الوزارة وتطوير الازمة حتى تستقيل . واما الاعتراض على يوسف الجندى .. فلانه تزعم ثورة سنة ١٩١٩ فى بلدته زفتى ، وتجاسر فاعلن استقلالها وانشا فيها امبراطورية .. وتحصن فيها يقاوم الانجليز ! وكان ذلك كافيا لان ينظر اليه القصر دائما بارتياب ، ويعتقد ان له ميولا خطرة ! وفى هذه المناسبة تعلم الفتى ان يستاسد ، وان يصرخ مرة بعد خروج النحاس من عنده : هوه كل مرة يوسف الجندى .. يوسف الجندى .. قولوا للنحاس مش عايز اسمع منه بعد النهارده ولا كلمة عن يوسف الجندى ! !

ولكن الاشخاص هنا لايهموننا ... بل الذى يهمنا هو المبدا الذى يوشك

أن يتقرر .. فلو أصبح من حق الملك ان يتحكم في اختيار اشخاص الوزراء واشخاص اعضاء الشيوخ ، فمعنى ذلك ان الملك يحكم مباشرة . لانه يختار الذين يحكمون . ومعناه اهدار لسلطة الامة التى تنتخب البرلمان ، والبرلمان الذى يؤيد الوزارة ، ويعطى الثقة للوزراء او يسحبها منهم . ومعناه ان توقيع الملك على المراسيم ليس اجراء شكليا فحسب ! .. واذا كان حزب الاغلبية لا يستطيع ان يختار وزراءه ، ، فماذا يستطيع ؟ ..

ولم تكن هذه هى اول مرة يثور فيها هذا الخلاف الخطير . فقد نشب قبل ذلك فى سنة ١٩٢٤ بين الملك فؤاد وسعد زغلول ... حين بدىء فى تعيين اعضاء مجلس الشيوخ لاول مرة بعد اعلان الدستور . وقدم سعد زغلول قائمة باسماء الشيوخ الذين ترشحهم الوزارة . واراد فؤاد ان يتدخل فى الاختيار برفع هذا الاسم وترشيح ذاك .. ورفض سعد مستندا الى ان توقيع الملك على المرسوم اجراء شكلى لايعنى ان له حق مناقشة المرسوم

ولما استحكم الخلاف بين الطرفين ، والدستور لم يجف مداده بعد ، اتفقا على الاحتكام الى العالم البلجيكى البارون فان بوش لان الدستور المصرى مستمد من الدستور البلجيكى . وجاءت فتوى الرجل مؤيدة لموقف سعد . وقالت الفتوى بالنص :



سعد زغلول

« ان مبدا عدم مسئولية الملك يعتبر اساس هذا النظام الذى يقضى بأن الملك لايتولى سلطته الابواسطة وزرائه وهو مبدا لايحتمل اى استثناء من الوجهة القانونية ، بل يمتد الى جميع اعمال الملك ، فاذا استثنى عمل واحد فان هذا الاستثناء يصيب النظام الدستورى فى روحه واساسه ، لذلك ارى أن تعيين اعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يكون بناء على مايعرضه مجلس الوزراء »

على هذا النحو الحاسم جاءت الفتوى مقررة ان الملك ليس له ان يتدخل فى اختيار اعضاء مجلس الشيوخ .. فما بالك بالوزراء ؟ ..

فلو كانت احزاب المعارضة تعرف قيمة الدستور وتتمسك باحكامه ، لنسيت خلافاتها مع الوزارة ، ولوقفت بجانبها فى ازالة هذا الخطر الداهم ، ولصاحت كل الاحزاب والصحف والهيئات فى وجه الملك ورجاله : مكانكم ! .. ان اخطاء الوزارة شىء واعتداءكم على الدستور شىء اخر !

ولكن المعارضة لم تصنع شيئا من ذلك ... بل انطلقت تشن الحملات على الوزارة ، وتنشر الابحاث والمقالات تثبت بها ان الوزارة تعتدى على سلطات الملك ، وانها تكيد له ، وانها غير مخلصة للعرش .. وتبدى استعدادها - طبعا ! - لو أصبح الحكم لها أن تنفذ ما يشاء الملك !

وسارت المظاهرات فى الشوارع تهتف للوزارة ، وسارت مظاهرات اخرى تهتف ضد الوزارة .. وخرج الملك الى شرفته يحيى المظاهرات المعادية للوزارة .. وهللت المعارضة لهذا التدخل السياسى السافر ، الفاضح ، الذى لم يقدم عليه ملك على الاطلاق !

واتصلت المقابلات عبثا لحل الازمة . بين مكرم عبيد وصبرى ابو علم عن الوزارة ، وعلى ماهر عن السراى .. وحسم الامر فى النهاية بخطاب اقالة كتبه على ماهر ، جاء فى اسبابه ان الوزارة اقيلت «لمجافاتها لروح الدستور» !

ايكون غريبا بعد ذلك ان يصبح الملك هو المتحكم فى اختيار الوزراء واعضاء الشيوخ ... فنقرأ ان السراى شطبت اسم هذا ووضعت اسم ذاك ؟ ...

ايكون غريبا ان يفرض الملك على وزارة الوفد سنة ١٩٥١ اعضاء لمجلس الشيوخ من نوع ادجار جلاد واحمد النقيب ؟ .. وان يفرض على الهلالى وسرى والنقراشى وعبد الهادى وزراء مثل محمد حيدر وكريم ثابت واسماعيل شيرين .. ويرفض تعيين وزراء مثل محمد نجيب ؟ ..

ايكون غريبا ان يذهب اليه عبد السلام فهمى جمعه رئيس مجلس النواب على راس هيئة المكتب ، فاذا تحدث عن ارادة الشعب صاح فى وجهه : « اسمع يا باشا .. ارادة الشعب من ارادتى انا ؟ .. »

ايكون غريبا ان يصمم على عدم ادخال الوزارة احد الذين وقعوا على عريضة المعارضة سنة ١٩٥٠ .. فيضطر واحد منهم - حافظ رمضان - الى الاعتذار ويسعى الهلالى لديه حتى يعفو عن آخر .. هو طه السباعى ؟ ..



ايكون غريبا ان توجد فى سوق السياسة عملة نادرة اسمها « الرضاء السامى » .. ترفع من يحوزها وتخفض من يفقدها ؟ ..

ايكون غريبا ان يضطهد رجلا مثل طه حسين زمناطويلا لانه يملأ الصحف حديثا عن المعذبين فى الارض .. فاذا اراد الصحفيون ان ينتخبوه نقيبا تدخل فى الامر ، وارسل اليه الوزير محمد هاشم يقصيه عن هذا المنصب الذى يتم الاختيار فيه بالانتخاب ، تحاشيا

عباس وطلب منه ان يستقيل فاستقال ..

وابراهيم عبد الهادي : ارسل اليه محمد حيدر فى جنح الليل سنة ١٩٤٩ وامره بأن يقدم استقالته قبل أن يطلع الصبح فقدمها ...

والهلالى خرج أول مرة لانه اصطدم بحاشية الملك

وحسين سرى خرج لانه لم ينفذ رغبات الملك ...

والنحاس أقيل بعد الاقالة الاولى مرتين اخريين ...

وعلى ماهر نفسه ، راح آخر الامر ضحية هذه السياسة التى وضع قواعدها ... فخرج من وزارته بعد شهر واحد فقط فى فبراير ١٩٥٢ ... بمؤامرة دبرها رجل الملك الجديد : حافظ عفيفى !

أحمد حسنين

هذا الرجل الضعيف ، الماكر ، الذى ظل يمشى خلف سيده منذ كان صبيا ، والذى عرف طيلة هذه المدة كيف يرضيه ويستحوذ عليه .. قد آن له ان يقف فى المقدمة ..



احمد حسنين

وقبل ان نمضى فى بيان دوره الخطير .. نروى قصة صغيرة تصور لنا عقليته ، وطريقته فى التضليل .. والقصة منشورة فى كتاب « الاعمدة السبعة المنهارة » بقلم جون كيمش .. ويروى المؤلف انه زار مصر ، وقابل حسنين رئيس الديوان الملكى . وقال له ان الفلاح المصرى فى حالة سيئة جدا ، وانه ينام مع البهائم فى حجرة واحدة ، وبيته مظلم لاماء ولانور فيه .. فرد عليه رئيس الديوان قائلا : بالعكس . ان الفلاح المصرى يحب هذه الحياة .. وهو لايكون سعيدا الا اذا نام مع ماشيته ودواجنه ، وافترش الارض الطيبة وجلس فى ضوء الشمعة الشاعرى ! ! !

وخرج الصحفى الانجليزى ذاهلا .. من هول ماسمع !

تولى احمد حسنين هذا رئاسة الديوان بعد خروج على ماهر من الوزارة (يونيو ١٩٤٠) بشهرين .. وارض النفوذ امامه ممهدة . **فقد استطاع على ماهر ان يؤكد للملك سلطة غير دستورية ، وان يجعل له ارادة واضحة مباشرة فى الحكم تزحم ارادة الشعب .. فلم تلبث المادة ٢٣ من الدستور التى تقول ان « جميع السلطات مصدرها الامة » ان اصبحت حبرا على ورق .**

ولم يكن احمد حسنين مثل على ماهر .

فقد عمد على ماهر الى تدعيم سلطة القصر كرجل سياسى يريد ان يصل الى الحكم ويطبق آراءه .. بصرف النظر عن نتائج هذه الخطة ، وحظ هذه الآراء من قبول الشعب . اما حسنين .. فلم يعرف عنه انه رجل سياسى .. بل كان آخر «منصب» سياسى تولاه هو سكرتارية الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية فى الشرق ! .. ولم يكن له ماض فى الحركة الوطنية مثلا او فى الخدمة العامة .. انما هو رجل من الحاشية ، ارتفع الى رئاسة الديوان

بخطوة [illegible] سنده . فكان معنى توليه هذا المنصب ان الحاشية اصبحت تحكم والحاشيه فئة اخرى .

في [illegible] الأولى لرئاسة حسنين . جمع حوله عددا من الصحفيين ، وذوى النفوذ بين الرأى العام ، وقاد حملة دعاية مسرحية ليقدم الملك الى الناس في هالة [illegible] تبرر تدخله في شئون الحكم . واستطاع ان يستغل حادث ٤ فبراير [illegible] الحرب لاظهار الملك في صورة الوطني الذى يكافح الانجليز من اجل [illegible] الذى يدافع امام الوزراء عن مصالح الشعب ، والذى قبل وزارة النحاس لانه يريد ان يوفر « الغذاء والكساء » للناس !

فلما انتهت الحرب العالمية ، وتهيأ الناس للعودة الى الحياة الطبيعية .. اقال [illegible] وزارة الوفد ، وكان السبب المباشر للاقالة لافتات تحمل حملة [illegible] الملك ويحيا النحاس » وكان من رأى الملك ان لايقرن باسمه اى [illegible] آخر .

ولم يعمد حسنين الى رفع القيود واقامة برلمان حر .. او حتى « متوازن » !. ولم [illegible] متمثلا في اتجاه قومى حتى تتجه مصر الى المطالبة بحقوقها في فرصة ما بعد الحرب .. بل صنع بواسطة وزارة من احزاب الاقلية برلمانا لايمثل الوفد فيه غير نائب واحد هو حنفي الشريف ! ولما كان من المستحيل ان يقال ان هذا البرلمان يمثل الامة تمثيلا حقيقيا او حتى قريبا من الحقيقة .. فمعنى ذلك ان القصر يحكم بصراحة لامواربة فيها ــ بلا دستور !

و[illegible] هذا النظام مايقرب من خمس سنوات ... حطم فيها الملك ، يساعده رائده احمد حسنين ، ويحيط به الحاشية ... حطم البقية الباقية من قواعد الدستور .. حتى ان اشتغال الملك مباشرة بالسياسة لم يعد يبدو امرا غريبا . ولم يعد هذا التدخل السافر محصورا على الصغائر من شئون الحكم الداخلية ، بل امتد الى سياسة مصر الدولية ، وقضيتها الوطنية ...

فعندما [illegible] الى مصر ، وجاء تشرشل ... وكان الملك ــ الذى جعله الدستور غير مسئول ــ هو الذى يذهب مع احمد حسنين لمقابلتهما ، واجراء المباحثات السياسية معهما ... واحمد ماهر رئيس الوزراء لايتدخل ...

وقام الملك برحلات ليقابل الملك عبد العزيز آل سعود وغيره ، وليضع خططا لسياسة مصر العربية ... وليعادي هذه الدولة ويصادق تلك ... كأنه عن الملك في بلد دستورى له السلطة التى لعبد العزيز سعود في بلد لم يعرف الدستور بعد ! ...

واصبح السفراء يعينون بمحض ارادته ... فكانوا يرفعون تقاريرهم اليه ، ويسرعون بمقابلته او مقابلة رئيس ديوانه قبل ان يقابلوا رئيس الوزراء ، او وزير الخارجية .

واصبح القصر هو محور المفاوضات مع الانجليز ... وبذل الملك محاولات سافرة لفرض الاتفاقيات على الشعب ... ووصلت الى حد تهديد الزعماء .. وكان تهديده لمكرم عبيد ـ بعد محاولة اغرائه ـ احدى المحاولات التى نفضحها الظروف ... واراد الملك ان ينتقم من مكرم لحملته على الدفاع المشترك .. فذهب يحضر جلسة من جلسات مجلس النواب لدى ابراهيم عبد الهادى يسب مكرما .. وليرى نائبا اخر يخلع حذاءه ويحاول ضرب مكرم هو واقف على المنبر ...

ثم كافأ ابراهيم عبد الهادى على فصاحته فى مهاجمة مكرم بان عينه رئيسا للديوان الملكى بعد قليل !.. والان احمد حسنين قد قتل فى حادث تصادم .

وذاع بين الناس لاول مرة تدخل رجال الحاشية ... وعرفوا لاول مرة اسماء كريم ثابت وانطون بوللى وناهد رشاد وحلمى حسين .

واصبح الملك يفرض رجاله وزراء دائمين .. ففرض محمد حيدر وزيرا فى وزارة النقراشى ثم ابراهيم عبد الهادى ثم وزارتى حسين سرى الائتلافية والمحايدة !...

بل ان الدولة اشتبكت فى حرب فلسطين ... وقبلت وزارة النقراشى ان تدخل هذه الحرب على مسئولية الملك !... دون ان تحاول ان يكون لها فى الامر شيء : بل دون ان تقبل مناقشة فى شيء .

كان الملك والحاشية يصدرون الاوامر من القصر الى القوات المحاربة فى الميدان راسا .. وكان التقدم والتقهقر وقبول الهدنة واستئناف القتال كلها مسائل يقررها فاروق وحيدر والحاشية !..

فى القصر .. كان حيدر يراجع الملك فينهره ويقول له انه يعرف ماذا يصنع .

وفى مجلس الوزراء كان الوزراء يناقشون حيدر فيقهرهم ويقول لهم انه واثق مما يصنع !..

وفى مجلس الشيوخ حاول على ماهر ان يناقش النقراشى : فصاح فيه ان الوزارة تعرف ماتصنع !..

وغضب يومها على ماهر وانسحب .. وانسحبت معه اى مناقشة فى حرب فلسطين .. ولحرب فلسطين قصة اخرى

وهكذا . لم يمض على مصرع احمد حسنين شهور .. حتى اكتشف الناس عبقريته كمخرج كبير !..

عرفوا ان الملك لم يكن يحارب الانجليز . وانما كان يكره اللورد كيلرن فقط . وانه كان يراه خطرا على عرشه ..

وراوا الملك «الصالح» يقضى لياليه فى الاوبرج وحانية بالاس .. ولفضائحه رائحة تزكم الانوف ...

واكتشفوا ان هذا الملك الذي يفكر دائما في الشعب .. انما يفكر في كيف ينهب الشعب !..

وحين اكتشف الناس هذه الحقائق .. بداوا يتحركون ولكن من غير نظام فشهدت هذه السنين الخمس حوادث بالغة العنف ..

اضرب البوليس لاول مرة في تاريخ مصر اضرابا رهيبا .. واكتسحت الثورة شوارع القاهرة والاسكندرية ، حتى تصدى لها الجيش ..

واضرب الممرضون واعتصموا بالقصر العيني الذي اشتعلت فيه النيران ولم يخمد الاضراب الا بعد ان حضرت الدبابات ، وتحولت منطقة القصر العيني الى ميدان قتال ..

واضرب الطلبة اضرابات عنيفة استعملت فيها القنابل والاسلحة النارية وقتل فيها سليم زكي حكمدار العاصمة .

وفي اعقاب معركة كوبري عباس في ٩ فبراير ١٩٤٦ هتف طلبة الجامعة لاول مرة بسقوط الملك . ومزقوا صوره المعلقة في مبنى الجامعة واحرقوها .. وقذفوا سيارات القصر الملكي بالحجارة واغرقوها بخراطيم المياه . واطفأوا الشعلة التي كان يجب ان تصل الى الملك يوم عيد ميلاده — ١١ فبراير — وقاطعوا الحفلة التي حضرها الملك لافتتاح المدينة الجامعية .. ولم تخمد الثورة الا بسقوط وزارة النقراشي .

واجتاحت مصر موجة من الاغتيال السياسي .. تبادل فيه الارهابيون والحاكمون ارتكاب الجرائم .. فقتل النقراشي وحسن البنا ونسف بيت النحاس وضرب النحاس بالمدافع الرشاشة .

ابراهيم عبد الهادي

وانقلبت مصر كلها الى ساحة معركة . وساد عهد من الارهاب المظلم لامثيل له حتى اصبح الفرد العادي لايستطيع ان يسير ويده في جيبه .. فقد يشتبه البوليس فيه ويحسبه يحمل قنبلة !.. واصبح ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزارة لايسير الا في موكب تحرسه المدافع الرشاشة . اما الملك فلايبرح قصره ابدا ..

فلما شعر الناس بان الوفد آت الى الحكم .. تنفسوا الصعداء ، وكانوا كالغرقى فتعلقوا بهذه القشة الطافية فوق سطح الماء ... وظنوا انها قارب النجاة !.

مسئولية الوفد

جاء الوفد الى الحكم في شتاء ١٩٥٠ بأغلبية ساحقة لم يكن يتوقعها الوفديون انفسهم . وتدفقت امواج الجماهير اياما متوالية على بيت النحاس ورئاسة مجلس الوزراء تحيي العهد الجديد . بل ان كثيرين من الذين كانوا يكرهون الوفد رحبوا بعودته . لا حبا في الوفد ولكن كراهة للملك الذي اصبح مصدر شر لا يعادله شر

كان هذا شعور الجميع بل لقد كان شعور الملك نفسه . وقد كان يظن ان محاربة الوفد واقصاءه عن الحكم مدى خمس سنوات لا شك اضعفه ، وان الانتخابات ستأتي ببرلمان « متوازن » ... فلما جاءت الانباء بانتصار الوفد هذا النصر الكاسح ، اسرع منزعجا الى بيت حسين سري في الليل ، وقال له: انك مسئول عن فوز الوفد ... وانهم سوف يعودون الى الاحكام ولذلك ارى ان تصبح رئيسا للديوان لكي تتولى التفاهم معهم .

ولكن الوفد انكشف بسرعة ، وخابت الآمال التي كانت معلقة عليه قبل ان يأتي الربيع . حتى ان خير اسم نطلقه على انتصار الوفد هو انه هزيمة ساحقة او كانت هزيمته بالمعنى الناحية التي تهمنا في هذا الكتاب، ناحية الملك

فقد صفق الناس لمجيء الوفد ، ينتظرون منه اشياء ثلاثة : ان يطلق الحريات . وان يتجه خطة ايجابية في مقاومة الانجليز . وان يوقف الملك عند حده .



فؤاد سراج الدين

ويجب ان نعترف بأن الوفد اطلق الحريات . وان الصحف كتبت في سنتي ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ما لم تكتبه قط ، وان كان لمجلس الدولة في ذلك فضل كبير . ويجب ان نعترف ايضا بان الوفد وان كان قد طاول في المفاوضات كثيرا ، الا انه استجاب في النهاية للضغط الشعبي الذي اتاح له اطلاق الحريات ان يقوى، واقدم على الخطوة التي نكص عنها الجميع ، وهي الغاء المعاهدة ... والسماح للشباب المصري بان يذهب الى القتال ، ويحمل السلاح ، ويضرب

الحرب الفرعية .. لعمل عضو الوفد المصرى حسابا للجنة الحرب الفرعية فى اقصى انحاء القطر . ولكن تشكيل الوفد ـ كتشكيل كل الاحزاب المصرية ـ عكسى. فرئيس الوفد يعين عضو الوفد المصرى . وهيئة الوفد المصرى تختار اعضاء الهيئة الوفدية . واعضاء الهيئة الوفدية هم الذين يحكمون فى اللجان الفرعية !

وقد ادى هذا الوضع ذاته الى ان تسربت الى كيان الوفد عناصر غريبة عليه . واصبح الناس يرون فى مقاعد الزعامة والوزارة والتوجيه قوما بعيدين عن الوفد وليست لهم فيه سابقة جهاد معين او تضحية بارزة او بلاء مذكور مثل فؤاد سراج الدين وعبد اللطيف محمود وعبد الجواد حسين ... الى آخره . فى حين بقى الذين يكونون كيان الوفد الحقيقى من المحامين ورؤساء اللجان وصغار التجار بعيدين عن مراكز السلطة والتوجيه ... بل لقد رايناهم فى ظروف كثيرة يعارضون الوزارة والزعامة جميعا !

هذا التغيير الذى اصاب الوفد جعل لقيادته مصلحة اخرى تستوجب الحرص عليها ، بمحاولة البقاء فى الحكم اطول مدة ممكنة ... حتى اصبح البقاء فى الحكم فى ذاته غاية . كما اصبحت قيادة الوفد حريصة على استقرار الاوضاع التى كانت تحاربها قديما .

واصبح الوفد طبعة شعبية من حزب السعديين ، او الاحرار الدستوريين!! واذ اصبح الوفد يؤمن بالمساومة ليبقى ، على ان الملك يمكن ان يساوم ليقبل خروج الانجليز من مصر . ونسوا ان هذه نقطة حاسمة بالنسبة له ... وان الملك منذ فقد الشعب كله بات يعرف ان القوة الوحيدة التى يمكن ان تبقيه فى عرشه هى الانجليز ؛ واصبح مستحيلا ان يقبل اخراجهم من مصر .. وبالقوة، خوفا من ان تتحول هذه القوة ضده فورا .

وقد غطت المساومة ورغبة البقاء فى الحكم على عيون الوزارة الوفدية حتى بعد ان ظهرت نوايا القصر بتعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان . . فهذا التعيين لم يغب مغزاه عن طلبة المدارس فاضربوا اضرابات بالغة العنف وهتفوا بسقوط حافظ عفيفى وبسقوط الملك وصاحوا بصريح العبارة : ان تعيين حافظ عفيفى طعنة فى ظهر القضية الوطنية

ومع ذلك فان الوزارة لم تحتج على تعيين حافظ عفيفى ، على الاقل : كما احتجت قديما على تعيين على ماهر . ولم تغير خطتها فى مهادنة القصر ومحاولة « ستره » ومساومته وارضاء طلباته .

وحتى حين وصل الموقف الى احسم مراحله ، وقرر مجلس الوزراء الوفدى قطع العلاقات مع انجلترا ... وتدخل القصر يطلب تأجيل هذه الخطوة للتفاهم بشأنها .. عاد مجلس الوزراء واعلن انه اجل البت فى هذه المسألة يومين ... ليساوم القصر ويظفر برضاه ، بدلا من ان يحرجه بالقطع عملا

وفى هذين اليومين حرقت القاهرة . . واعلنت الاحكام العرفية واقيلت الوزارة ، والقى القبض على الفدائيين ...

وبعد شهور . . عاد عبد الفتاح عمرو الى لندن !! ...

هكذا تقهقر الوفد . . ولم يعد فى مستوى تلك اللحظات الحاسمة . وهيأ نفسه لهزيمة يوقعها به الملك ، وحاشية الملك ، واحزاب الملك ... وكل الذين كانوا يكرهون خروج الانجليز ... ونظر الوفد وهو يتلقى الطعنة الى الدستور . . فوجده قد صار قطعا ممزقة واشلاء مفرقة ... وقد اصبح الملك وحاشيته سادة الموقف من جديد ... فلما اعلنت الاحكام العرفية ، سقط الشعب كله فى الشرك المنصوب، ووضع الملك وحاشيته اقدامهم القذرة على عنقه فائزين !!

الفساد الأكبر

إن ألف منافق يجلسون فى ثنايا تاجك .
ومع أنهم يقبعون فى هذا الحيز الضيق ، إلا
أن ما يقومون به يصيب القطر كله !
شكسبير

هكذا اصبح فاروق انسانا شاذا فى وضعه: انسانا يملك مائتى مليون جنيه، ويملك شعبا من عشرين مليون نسمة ، ويملك ان يصنع بهذه الاموال وهؤلاء الناس مايشاء وفى اى وقت يشاء .. دون ان يجرؤ واحد على ان ينطق بكلمة لا .. او يقول له ــ بكل ادب ــ انه مخطىء .. او حتى تبدو على وجهه علامة استياء !..

اليس هذا وضعا شاذا ؟.. فكيف لاتكون التصرفات الناجمة عنه تصرفات شاذة !..

ان الشذوذ الحقيقى فى الموقف هو شذوذ «الوضع» لا شذوذ الشخص . وآية ذلك اننا لو استعرضنا تواريخ الملوك المستبدين ، اى الذين كانوا فى مثل ظروف فاروق ، لوجدنا ان فاروقنا هذا لم يكن بدعا بينهم ، ولم تكن تصرفاته تختلف عن تصرفاتهم ..

فى فرنسا ، عرفنا لكل ملك عشيقة رسمية مقدمة على الملكة .. وعرف الناس عن حياة مدام بومبادور ومدام دى بارى وغيرهما اكثر مما يعرفون عن لويس الخامس عشر .. وقد كان الملك يستدين وينهب خزانة الدولة ويفرض الضرائب الفادحة لكى يشترى لعشيقته عقدا ثمينا !

وفى روسيا راينا الاسرة القيصرية فى آخر عهدها ، تسلم قيادها ، ومقاد الدولة كلها ، لراهب افاق هو راسبوتين ، راح فى التاريخ مثلا على الجريمة والخيانة والفسق . فقد كان يستعمل الشعوذة ليتحكم بالقيصرة ونساء القصر ، ويبيع الجيش المحارب فى الجبهة للعدو بابخس الاثمان !

وكان خلفاء آل عثمان يقبلون الرشاوى علنا .. ويبيعون كراسى الوزارة والقيادة والولاية . بل كانوا يبيعون بلادا باسرها .. وقد اشترى اسماعيل استقلاله النسبى نظير بضعة مئات الالوف من الجنيهات !..

ولماذا نذهب بعيدا ، ولدينا فى مصر الامثلة قريبة حاضرة ؟.

لقد كرس محمد على الكبير موارد مصر ليجيش جيشا .. وجر وراء الجيش فى حروب لا معنى لها فى كريت ، واليونان ، وشبه جزيرة العرب وروسيا . لمجرد توطيد العرش الفاسد فى استانبول .

وتكرم سعيد فارسل الجيوش المصرية الى المكسيك !.. لان نابليون الثالث كان مشتبكا فى حرب استعمارية هناك ، فاراد سعيد ان يجامل صديقه الامبراطور .. بالف ومائتى جندى مصرى ارسلهم ليحاربوا اربع سنوات قاسيات فى المكسيك ، وليعود منهم ثلاثمائة جندى فقط !

وعرفنا عباسا الاول الذى اغلق المدارس ونفى العلماء وعطل المصانع !

وعرفنا سعيدا الذى منح امتياز قناة السويس لصديق له .. لمجرد الصداقة .. وهو اخطر امتياز عرفته وستعرفه مصر فى تاريخها !

وعرفنا اسماعيل الذى اسرف، وبذر وسرق ونهب ، وقتل وزير ماليته ،

المال من أى طريق

مات الملك فؤاد عن تركة من الارض الزراعية تبلغ ٤٩ر٣٠٠ فدان .. خص فاروقا منها ١٥٤٠٠ فدان ، تنازل عن حوالى الفى فدان للملكة السابقة فريدة فتكون ثروته سنة ١٩٣٧ عبارة عن ١٣٤٠٠ فدان .. تركها بعد خمسة عشر عاما وقد وصلت الى حوالى ٩٦ر٠٠٠ فدان املاكا خاصة .. ورقم مشابه من الاوقاف التى يديرها ويستولى على ايرادها ..

ومعنى ذلك ان فاروق حين رحل ، كان يسيطر على حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ فدان فاذا عرفنا ان مساحة الاراضى الزراعية فى مصر كلها حوالى خمسة ملايين ، يعيش فيها ومنها خمسة عشر مليونا من البشر .. امكننا ان نقول ان الارض الملكية كان يعيش فيها حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ نسمة .. ستمائة الف من الافراد ، عبيدا عبودية خاصة للملك ، غير ان العبودية العامة التى كان يشترك فيها العشرون مليونا !

وتصور ايها القارىء هذا المنظر الرهيب :

منظر نصف مليون من البشر ، ينهضون كل صباح .. يفلحون الارض بفئوسهم ، ويحفرون الترع ، ويطهرون المصارف وقد انغرزوا الى وسطهم فى الطين ، يجمعون روث البهائم ، ويحلبون البهائم ، ويعودون الى كهوفهم آخر النهار ، يتفصدون عرقا ويتخلعون تعبا ومرضا .. بعد ان يكون كل واحد منهم قد صنع قطرات من الرزق .. تتجمع فى خيوط رفيعة ، وتتجمع الخيوط وتتجمع ، حتى تصبح كلها فيضا هائلا من الذهب .. يتدفق تحت اقدام هذا الفرد ، الواحد الاحد .. بجسده الضخم ووجهه الاحمر واوداجه المنتفخة ولحمه الغليظ .. وله بعد ذلك ان يفعل بهذا الذهب ، المصنوع من عرق الملايين ، ما يشاء .. يبذله لغانية ، او يخسره على مائدة قمار ، او يشترى ارضا جديدة ، وعبيدا آخرين !..

فهذا هو الاقطاع الذى كان يجلس على قمته فاروق .. والذى كان مثلا اعلى لنماذج الاقطاع الاخرى فى جنبات الوادى السعيد ..

ولم تبلغ ثروة الملك السابق هذا المبلغ الرهيب بوسائل شريفة .. اما الوسائل غير الشريفة فكثيرة ..

فاحيانا كان الملك يعجب بمساحة من الارض مملوكة لافراد من رعاياه .. وتبدأ الخاصة فى مناوراتها التى تنتهى دائما بارغام المالك على بيع ارضه بسعر بخس !..

واحيانا يضع يده على مساحات هائلة من الارض غير المزروعة ، ويستصلحها

بأيد مجانية من المساجين ، ومشروعات مالية من ميزانية الدولة .. كما فعل في الارض التي استولى عليها بالقرب من مرسى مطروح ..

واحيانا يشترى ـ بأسعار بخسة جدا ـ ارضا مملوكة لقصر موضوعين تحت وصايته .. كأبناء الامراء المتوفين .

اما استيلاؤه على اراضي الوقف .. بعشرات الالوف من الافدنة .. فقدكان يتم بعمليات نصب كبرى . واغتصاب حقيقي من الدولة .. وفي سبيل حصوله على وقف كان لايجد غضاضة في الاطاحة بوزير ، او بوزارة بأسرها !

ولنرو قصة الاستيلاء على احد من هذه الاوقاف .. وقف اسماعيل باشا .. الذي تقدر قيمته بخمسة ملايين جنيه، من ارض وعمارات وغيرها .

وقد بدأت القصة في اوائل سنة ١٩٤٨ ، حين دق جرس التليفون فيمكتب الاستاذ علي عبد الرازق ، وزير الاوقاف في ذلك الوقت ، وكان المتحدثنجيب سالم ناظر الخاصة .

وقال نجيب سالم : ان نطقا ملكيا ساميا صدر بضم وقف اسماعيل الى الاوقاف التي تديرها الخاصة الملكية .

وبهت الوزير .. لهذه الخمسة ملايين جنيه التي يريد الملك ان يستولى عليها بنطق سام كريم . وقال لنجيب سالم : اريد كتابا رسميا بذلك .. وسترد الوزارة عليه ..

وارسلت الخاصة الملكية كتابا تقول فيه « .. بما انهقد صدر النطق السامي بنقل ادارة هذا الوقف الى ديوان الاوقاف الخصوصية الملكية ، فأرجو التنبيه باتخاذ الاجراءات اللازمة لتسليماعيان هذا الوقفوما يتعلق بها منمستندات ونقود وغير ذلك » ..

وردت وزارة الاوقاف تقول انايراد هذا الوقفمرصود علىبعض الاغراض المحددة ، وان باقي الايراد يدخل في ميزانية وزارة الاوقاف التي لابد منها لمواجهة واجبات الوزارة ..

ولم يعجب الخاصة هذا الرد ، فأرسلت تكرر ان « النطق السامي » قد صدر بذلك .. وتبودلت بين الطرفين خطابات عديدة .. وتطورت المسألة الى ازمة . وفاحت رائحة الازمة حتى وصلت الى الصحف، وبدأت الجرائد تلمح الى القصة بوسائل شتى ..

واستدعى النقراشي على عبد الرازق يوما ، وقال له ان الملك قال بالحرف الواحد : « وزير الاوقاف بتاعكم مش عارف يتعاون مع ناظر الخاصة ! » وفهم على عبد الرازق معنى هذا « النطق السامي » الجديد فكتباستقالته وانصرف ... ولكن القصر لم يشأ ان يخرج الوزير ويفتضح الموقف . فاستأنف المفاوضات ، حتى اتفق على ان تدير الخاصة الوقف بشرط ان تتعهد كتابة بارسال ريع الوقف الى وزارة الاوقاف

ونفذت الخاصة تعهدها مرة واحدة . فارسلت الى الوزارة شيكا بمبلغ ٤٠٠٠ جنيه . نشرت الصحف انه منحة ملكية كريمة من الجيب الخاص وارتفعت اكف المشايخ والعلماء بالدعاء . وبعدها لم ترسل الخاصة مليما واحدا !...

وبطريقة اخرى اغتصب الملك وقف شاوه . ومساحته ١٠٠٠ فدان

فقد رفع احد امراء آل حليم دعوى لتعيينه ناظرا على الوقف لانه ارشد الاسرة كنص الوقف . وفى الجلسة وقف محامى الخاصة ، يقول : ان الملك يطالب بان يكون هو الناظر ، لانه « ارشد » الاسرة

والتفت القاضى الى الامراء يسالهم : هل لديكم من هو « أرشد » من جلالة الملك ؟

وقال الامراء المذهولون : لا .. العفو !!

واستولى الملك « الرشيد » على الوقف !

ووقف « قوله » الذى تبلغ مساحته ٢٣٠٠٠ فدان

ووقف الوادى ، ووقف المنتزه ، ووقف حفيظة الالفية ، الذى وقفته صاحبته الطيبة على معاهد العلم ، وخصص للانفاق على الجمعية الجغرافية الملكية ومعهد الصحراء وجمعية اوراق البردى

الى آخر الاوقاف ...

وكان اول ما تفعله الخاصة بعد استيلائها على هذه الاوقاف لحساب الملك السابق ، ان تطرد موظفى الوزارة منها ، وكثيرون منهم شردوا من جراء ذلك ، ثم تديرها بنفس الطريقة التى تدير بها الاملاك الخاصة

وكيف كانت تدار املاك الملك ؟

هل كان موظفو التفاتيش الملكية يعيشون عيشة رحبة ، فى هذه المزارع النموذجية التى تخرج ما لا تخرجه اى ارض فى الوجود ؟

هل كان الفلاحون الذين يكدحون فى اراضى الملك اسعد حالا من غيرهم من الفلاحين ؟

كلا ... وعلى طول الخط !

فالملك يريد من المال اكثر ما يمكن الحصول عليه . وناظر الخاصة يطيع سيده ويسعى لارضائه فهو يضغط على مرؤوسيه . وفى اسفل السلم ، تحت هذا الضغط المركب ، يلهث الفلاح ، وتزهق منه الانفاس !

وكلما تفنن الموظفون الكبار فى ارهاق الفلاح ، والتحايل على استخراج المال ، رضى عنهم سيدهم . ورضاء سيدهم كالعملة الراسخة .. مقوم بالذهب !

وكان ابرع ما تفننت فيه الخاصة الملكية ان جعلت معظم مرتبات موظفيها تخصم من مصاريف الاوقاف الخيرية التى تديرها . وهكذا اصبحت ميزانية الخاصة الملكية تتحمل مرتبات الموظفين . واصبحت مزارع الملك تدار مجانا !

وماذا تريد المزارع ، غير الموظفين ؟. العمال الزراعيين طبعا . وهؤلاء امرهم سهل ، يوكل الى بعض الموردين الذين يوردون « عمال التراحيل »

وعمال التراحيل هؤلاء عبارة عن عشرات الآلاف من التعساء الذين لم يجدوا فى قراهم خبزا يكسبونه بعملهم ، فاسلموا انفسهم لمقاول من موردى الانفار . يعرف اين يحتاج السادة الى ايد تعمل ، فيشحن العمال الى مزارعهم ، وهناك يعملون .. بلا عقد ولا ضمان ولا اسرة ولا سكن ولا شيء الا كسرة الخبز ياكلونها ، يوما بيوم ، مبللة بعرق اجسادهم

وقد لا يجد المقاول العدد الكافى من هؤلاء التعساء .. ومن التعساء من لا يجد قوته ولكنه يرفض أن يبرح قريته الى ارض لا يعرفها . وهؤلاء لا مفر من انتزاعهم بالامر .. وتصل الى القرية لوريات تحمل لافتة « الخاصة الملكية » ويستعين المقاول بالادارة فى شحن اللوريات بالآدميين ... وحين يصلون الى الارض الملكية تخلى لهم احدى حظائر المواشى القديمة ، يحشرون فيها على روث البهائم ، وهناك يمرض منهم من يمرض ويهرب من يهرب ويموت من يموت . ولكن الاحياء عليهم ان ينهضوا مع كل فجر ، ويخرجوا معلولين منهوكين ، فاقدى الصحة ، وبغير طعام ، يعملون فى الأرض حتى الغروب ، حين يرجعون الى حظائر الماشية كالجيش المنهزم

وينتهى الموسم ، ويتفرقون عائدين الى قراهم .. اكثر جوعا وعريا ومرضا مما تركوها .. لم يكسبوا شيئا الا ان حياتهم امتدت هذه الايام !

اما الاجر اليومى التافه فى هذه المدة ، فقد ضاع اكثره فى « الاستقطاعات اليومية » . فهذا اخطا فى عمله فيخصم منه ، وذاك مرض يوما فليس له اجر ، وقرب نهاية الموسم توزع عليهم الحبوب التى اتلفها السوس . ويخصم ثمنها من اجورهم .

وهناك غير عمال التراحيل .. الفلاحون المقيمون .. الذين يستوطنون مع اسرهم قرى المزارع الملكية ونجوعها وكفورها . وهؤلاء جذورهم ارسخ من عمال التراحيل ، ولكنهم ليسوا مستقرين على اى حال . فالارض التى يستاجرونها مملوكة للخاصة . والبيوت التى يسكنونها مملوكة للخاصة . والمياه التى يشربونها مملوكة للخاصة .. والعقود التى يبصمونها على بياض تحتفظ بها الخاصة .. فماذا يفعل الفلاح ؟

انه لو عارض ناظر الزراعة فقد اضاع نفسه . واصبح بغير ارض ولا بيت ولا ماء ولا شيء على الاطلاق . ولن يجد فى الارض قوة تحميه . ناظر الزراعة فى القرية ملكا صغيرا يدور فى فلك الملك الكبير ... ملك صغير له بلاط وجنود وسلاح . وله حاشية وبطانة وجواسيس . وله نفوذ يسيطر على المركز والعمدة وشيخ الخفر .. وله بعد ذلك رعايا يعبدونه . فمن يجرؤ ويفتح فمه ؟

وتصاب الابقار بالحمى القلاعية ، وتصاب الاغنام بالحمى الفحمية .. فيأتي الطبيب البيطري ويتلف منها الرأس والاحشاء فحسب . اما اللحوم بما فيها من جراثيم المرض فتوزع على الفلاحين .. بالثمن !

والحق أن ذلك لم يكن يحدث كثيرا . فقد كانت صحة المواشي الفاروقية جيدة والحمد لله . وكان الملك يبذل لها عناية لا يبذل نصفها للآدميين .. فهى ــ المواشى ! ــ تنزل في بيوت جدرانها من الطوب المشطوف ونوافذها من الزجاج الملون ، وفي كل بيت « دوش » وحنفية مياه ، وآلة ميكانيكية تقذف روث البهائم الى الخارج . فاذا أصيب ثور أو عجل بعد ذلك كله بشيء. خف اليه نطس الاطباء ... بالحقن والادوية والاحتياطات ، حتى تقوم سليما معافى !!..

وغير المستأجرين ، وعمال التراحيل ، والبهائم المترفة .. يوجد المساجين .. الذين كان الفريق محمد حيدر يجرهم مصفدين في اغلالهم وراءه اينما ذهب . وهؤلاء كانت تستخدمهم الخاصة في استصلاح الاراضي البور ، وشق الطرق وحفر المصارف وما الى ذلك

وبعد هذا العذاب الغليظ ، تخرج الارض خيراتها ، وتبدأ الخاصة في بيعها . ونرى العجب : فاستيراد الفاكهة توضع في وجهه العراقيل حتى لا تهبط أسعار فواكه الخاصة . وبورصة القطن ترتفع وتنخفض بفعل الاصابع التي تلعب من وراء الستار .. ومن بينها اصابع ملكية

وفي غمرة هذا البحر الواسع من العرق والدم والدموع. يأتي الى مصر زوار اجانب .. فتدعوهم الخاصة الملكية الى زيارة مزارعها النموذجية في انشاص وغير انشاص .. ويذهب الزوار يشهدون الخضرة اليانعة ، والنباتات النادرة، والثمار التي لانظير لها ، والابقار الفاروقية الفاخرة ، والتبر الذي يتفجر من الارض العلية .. ويعودون ذاهلين . ويدلون بتصريحات عن التقدم العظيم الذي احرزته مصر ... والسعادة التي يرفل فيها فلاح مصر !!

وفي المزارع الاخرى ، يقتدي كبار الملاك بمليكهم .. يلتهمون الاراضي ويكنزون الاموال ويستغلون الفلاحين بنفس الطريقة .. مطمئنين الى ان يد القانون قاصرة دونهم .. والى ان اي اصلاح واسع النطاق في نظام الملكية الزراعية مستحيل .. ما دام الحاكم بامره هو المالك الزراعي الاول !..

كذلك كانت كل المحاولات لاصلاح نظام الوقف تتعثر في بعض الطريق ... والقانون الوحيد المتواضع الذي اتيح له ان يرى النور .. تزعم معارضته في مجلس الشيوخ مفتي الخاصة الملكية ــ وهو عضو بالمجلس ــ ونص فيه على استثناء الاوقاف الملكية من جميع احكامه !..

ولم يقف جشعه عند حد الارض الزراعية .. بل اخذ يمتد الى الحياة الصناعية .. فقررت شركة سعيدة اهداءه ١٨ الف سهم .. اى ١٨٠٠٠٠

جنيه . ولم تخسر شركة سعيدة هــذه الهدية الباهظة .. لان وزير المــالية فؤاد سراج الدين وقف فى البرلمان يدافع بكل ما لديه من قوة عن مرسوم بمنح هذه الشركة «اعانة» قدرها نصف مليون جنيه !..

وعرفت سائر الشركات الطريق : ان تجامل الملك ، وحاشية الملك .

.. وهناك غير الارض ، والشركات .. الحكومة . وهــذه اطوع الجميع واسلس قيادا .. لان نفوذه عليها مباشر . وهو الذى لايقيد سلطته دستور، ويحميــه القانون من كل نقد او لوم ، يستطيع ان يفعل بالحكومة ما يشاء ..

فهو من ناحية .. كان لايدفع للحكومة شيئا ولا يخضع لقانون من قوانينها. لايدفع ضرائب على ايراداته الهائلة . ولا يدفع رسوما جمركيــة على واردداته الباهظة ... ولكنه يأخذ من الحكومة كل شئ ...

فانت اذا تصفحت ميزانية الدولة .. ولتكن آخر ميزانيــة اقرها البرلمان عن سنة ٥١ ـــ ١٩٥٢ .. تجد ان ميزانية الملك تبلغ ١٫٢١٥٫٩١٦ جنيه .. اى ٢٠ر٠ ٪ من ميزانية الدولة .. وفى البلد غير هذا للواحد .. عشرون مليونا!..

ولكن ليس هــذا المبلغ فى الواقع هو كل شيء ... فقــد لجأت الحكومات الى وسيلة بارعة تخفى بهــا حقيقة ما تتكلفــه الدولة لهذا الملك ، وهى ان توزع النفقات على الوزارات المتولية للتنفيذ ... وعليك لكى تعرف ما تتكلفه الدولة له ان تنقب فى ميزانية كل وزارة ...

ستجد فى ميزانية وزارة الاشغال مثلا :

٠٠٠ر١١٥ جنيه .. مصروفات تكييف هواء للقصور الملكية

٠٠٠ر٧٠ جنيه .. لانشاء ثكنات للحرس الملكى

٠٠٠ر٢٠ جنيه .. لانشاء اربع نقط مطافئ فى القصور

٠٠٠ر٣٠ جنيه .. لتعديل مطبخ قصر القبة

٠٠٤ر١٧ جنيه .. لصيانة حدائق القصور الملكية .

وستجد مئــات الالاف مرصودة لانشــاء تماثيل الاسرة العلوية ، وشــق شوارع خاصة لاظهار هــذه التماثيل . ومئات الاف اخــرى لترميم القصور الملكية الاثرية ..

ثم تنتقل الى وزارة المواصلات .. فتجد مئات الالاف المرصودة لشق طرق خاصة فى تفاتيش الملك ، ومئات الاف لشراء القطــارات الملكية وصيانتهــا ، وانشاء محطات خاصة بالملك ..

ولعلك سمعت عن « قطــار الملذات » الذى دفعت فيــه وزارة المواصلات للمصانع الايطالية ٠٠٠ر١٧٠ جنيه .. والذى كان حديث الصحف الاوروبية حين انتهى صنعه فى الصيف الماضى : هذا القطار المزود بحجرات النوم اللينة ، والحمامات الفاخرة ، والصالونات الحالمة ، واجهــزة الارســال والاستقبــال ، والتليفونات المتصلة بالخارج .. كان قطعة كاملة من الجنة تجرى على قضبان..

ثم تنتقل الى ميزانية مصلحة الطيران المدني ، فتجد انها قد رصدت ١٧٥٠٠٠ جنيه لاتمام المطار الملكي الخاص في الشاطبي ..

وهكذا .. في كل وزارة تقريبا . فلو جمعنا الى ميزانية القصر الملكي، هذه النفقات جميعا ، والضرائب والرسوم التي كان يجب ان يدفعها .. لصعد الرقم الى ما يقرب من عشرة ملايين جنيه .. كانت تنفقها الدولة سنويا على هذا الرجل الذي يستغل ٢٠٠٠٠٠ فدان ! اي ١/٢ تقريبا من الميزانية المخصصة لعشرين مليونا .. فهو يساوي في حساب الدولة ـ من هذه الناحية فقط ـ مليون مصري !!

فهل يشبعه كل هذا ؟.. كلا .. بل انه يعمد الى عمليات من النصب الصريح . واقرب مثل على هذا النصب الفاجر : قصة فخر البحار ... ولا فخر !

وقد بدأت القصة في مكتب الاستاذ حسين فهمي وزير المالية .. اذ دخل عليه امير البحار احمد بدر وقال له : انه يقترح على الحكومة ان تشتري «فخر البحار» من الملك لتستعمله في تدريب الجنود البحريين . وانه يعرض له ثمنا بسيطا .. هو ١٣٦٠٠٠ جنيه فقط !

ووعد الوزير ببحث الامر .. ولما تحرى عن اليخت عرف ان الملك السابق اشتراه من الامير يوسف كمال بمبلغ ٣٦٠٠٠ جنيه فقط .. منذ ١١ سنة .. وعرف انه لا يصلح مطلقا لتدريب رجال البحرية ..

وعاد امير البحر احمد بدر .. وبسط له الوزير نتيجة ابحاثه .

وقال امير البحر ببساطة : الواقع ان الصفقة لا يقصد منها ابدا تدريب البحارة . فهذه مسألة لا تهم . وسوف يكون البيع صوريا .. اي ان الحكومة تشتري اليخت ثم تتركه تحت تصرف الملك .. وغاية ما في الامر ان الملك محتاج الى ثمن اليخت .. ومحتاج الى اليخت !..

ورفض الوزير ان يحتمل هذه المسئولية .. وخرج الوزير، وتمت الصفقة!

وكأن هذا السطو والنهب قد اصبح مزاجا متمكنا من نفس فاروق .. فمضى ينهب الناس .. اينما وجد فرصة للنهب ..

كانت الآثار الثمينة تختفي من مصلحة الآثار ومن الحفائر .. ويشمر المحققون عن سواعدهم ويتتبعون التحف الضائعة ، حتى يصلوا الى موظف يقول : تكرم وتعطف جلالة الملك .. واخذها !..

ومن الآثار ما اخذه الملك، ومنها ما اخذه التابعون .. والنفع لابد ان يصحبه الانتفاع .. ولكن اين الموظف الذي يذهب فيقرع باب القصر الكبير ، ويصيح بربه : اين التحف ؟..

وسمع الملك مرة في احدى مناسبات الجامعة العربية، ان المبنى الموجودة به الامانة العامة غير لائق .. واعلن الرجل ببساطة انه يهب الجامعة قصر

المناسترلى فى الروضة ، على ضفاف النيل .. وتبادل رجال الجامعة القبلات، ورفعت الحكومات العربية الدعوات، وتسابقت الصحف فى نشر آخر المكرمات.
ثم تقدم للجامعة قوم يقولون :
ــ ان هذا القصر ملك لنا .. فكيف يتبرع به الملك ؟..
وكانت فضيحة عربية ... طويت فى اعماق السجلات !

سرقة الاموات !

كان شاه ايران السابق منفيا اثناء الحرب الاخيرة ، ومات فى المنفى.. ورأى امبراطور ايران ان خير مكان يدفن فيه مصر ، البلد الشقيق ، وعند صهره الملك الكريم فاروق ..

وظهر فاروق بمظهر الشهم النبيل .. وامر بان تقام لدفن الشاه جميع الشعائر التى تقام لدفن ملوك مصر .. وارسلت ايران بعثة دبلوماسية كبيرة لحضور الجنازة والدفن ..

وجيء بجثة الشاه ، وامامها من يحمل سيف الميت .. سيف من الذهب الخالص مرصع بالاحجار الكريمة .. وانتهى الدفن ، وتلفت اعضاء البعثة يريدون السيف ليحملوه الى ولد الفقيد .. فلم يجدوه ..

واضطر رجال الحاشية ــ وهم يعرفون ــ الى أن يمثلوا دور افرادالعصابة .. ويتساءلوا مع السائلين : اين السيف ؟..

واتجهت الانظار الى القصر ، وتوجهت اليه البعثة بالسؤال .. فجاء الرد : ان مولانا الملك احتفظ بالسيف فى حجرته الخاصة ، وسينتهزون الفرصة لتذكير جلالته بالسيف وعرض الامر على مسامعه الكريمة ..

وعادت البعثة الى ايران .. وثار الشاه لهذه السرقة الوضيعة .. التى امتدت الى الاموات. واصر الشاه على ان يسترد السيف،واتصلت المكاتبات ..

حتى ضاق فاروق بالامر وقال : قولوا له اننى لم ار السيف ولم اسمع به ولا اعرف عنه شيئا !..

وسرقة المرضى

كان يزور احمد احسان ، الامين الثالث فى قصره ، وهو مريض فى عوامته الانيقة .. وخرج الملك من حجرة نوم الرجل الذى يلهج بالدعاء المؤثر لهذا التفضل السامى .. ولاحظ فى طريق خروجه ان عوامة الامين حافلة بالتحف الثمينة .. فاشار الى خدمه ان يحملوها الى القصر !..

وقام الامين من فراش مرضه يطالب بالتحف ، ولا يرضى بها بديلا .. واحرج الملك ، فاعاد التحف ، وطرد الامين !..

فهل بقيت جريمة مالية لم يرتكبها هذا الملك ؟..

نعم .. الرشوة ! وكان فاروق يأخذ الرشوة على مائدة القمار ...

فى اثناء حرب فلسطين ، اعتقلت الحكومة عددا كبيرا من اثرياء اليهود ..

فكان يذهب مندوب الواحد منهم الى نادى السيارات، ويلاعب الملك، ويخسر .. عشرة الاف او عشرين الفا .. وفى آخر السهرة يلتمس الافراج عن الخواجة فلان ... فيصدر بذلك النطق السامى !..

والى نادى السيارات عرف كثيرون الطريق ..

فانت تستطيع ان تخسر عشرة الاف جنيــه .. وتصبح باشا مثل محمد سلطان !..

وانت تستطيع ان تخسر عشرين الفا ، وتاخذ من الدولة اربعين الفا ، كما فعل سمير بشارة .

وسمير بشارة تاجر ورد الى وزارة التموين صفقة من الصفيح واخذ الثمن المتفق عليه ...ر٥٥ جنيه . ولكنه عاد فقال ان الصفقة تستحق ...ر١٠٠ جنيه .. فيجب ان ياخذ من وزارة التموين ...ر٤٥ جنيه اخرى

وعرف سمير بشاره الطريق الى نادى السيارات ، وخسر على مائدتها ما تيسر ... ثم عرض قضيته ..

وبدا الناس يقراون فى الصحف اخبار نشاط خاص يبديه الياس اندراوس فى وزارة التموين.. والياس اندراوس مستشار الملك، فلا بد ان المسائل التى يبحثهامع وزارة التموين خطيرة.. ويروى مندوبو الصحف ان الياس اندراوس «باشا» خرج من مكتب الوزير متجهما مرة.. ومبتسما مرة .. ولكنه يضع على وجهه دائما قناعا من الاهمية والخطورة ..

وكانت مقابلات اندراوس كلها للضغط على وزارة التموين .. وارغامها على صرف المبلغ لسمير بشارة ..

واخيرا ضاق الملك ذرعا بمماطلة الوزراء .. وعقد اندراوس اجتماعا خطيرا مع محمد هاشم وزير الداخلية فى وزارة سرى الاخيرة .. واستدعى حسين الفمراوى وزير التموين .. وكانت ازمة الجيش فى قمتها .. ولم يتصور احد ان الاجتماع يبحث مسالة سمير بشارة ..

ولكن الايام لم تسعفهم ... فقد طار الملك من عرشه ، ودخل اندراوس السجن !..

فهل عرفت الان وظيفة المستشار «الاقتصادى» لصاحب الجلالة ! ..

بقى ان تعرف وظيفة المستشار الصحفى ، ومستشار السياسة الخارجية ... ولكن تلك قصة اخرى ، سنرويها بعد حين .

شهوة النساء والقمار

فى حياة فاروق منذ اصبح مراهقا .. فترة واحدة طاهرة .. تلك هى فترة خطبته للملكة السابقة فريدة والسنوات الاولى لزواجه منها ...



الملكة فريده

وكان من حظ فريدة ان تلمح البوادر الاولى لتغير فاروق النهائى، ثم شهدت هذا التغير يتم بسرعة رهيبة .. ووقفت وحدها تدافع موجة الفسق والفساد .. تحاول ان تمنع زحف الوصيفات اللواتى تكرههن مثل ناهد رشاد وحرم كريم ثابت .. وحاشية السوء مثل بوللى ومحمد حسن وحلمى حسين .

ولم تستطع فريدة ان تصد الزحف، فقد كان على راسه الملك نفسه . ولم تستطع ان تبقى اسيرة الفساد . فركلت التاج وخرجت مرفوعة الراس .

وكان الشعب الذى حجبت عنه الرقابة كل الانباء يحس بكل شىء .. وكان غريبا ومثيرا حقا ان يعلن نبا طلاق فريدة .. فتنفجر المظاهرات فى جميع انحاء القطر مرة واحدة ، كأنها اندفعت كلها بزر كهربائى واحد . وسارت مدارس البنات تهتف فى اسيوط وفى المنيا والقاهرة وطنطا والاسكندرية هتافات واحدة :

ـ لا ملكة الا فريدة !

ـ حذاء فريدة فوق راس فاروق !

ـ خرجت من بيت الدعارة الى بيت الطهارة !

هكذا فهم الناس الموقف .. واصبحوا ينظرون الى القصر الباهر المضىء نظرتهم الى مكان مظلم ، دنس ، تفوح من جنباته رائحة الرذيلة والعار ! ..

وقد بدا الملك السابق يمارس «نشاطه» مع نساء محترمات .. محترمات فى حكم المجتمع ان لم يكن محترمات بحكم القوانين الاخلاقية . ولكنه كان يعامل رفيقاته معاملة مهينة ، ولا يحرص على ان يتكلف مع المراة التى تبذل له كرامتها اى مظهر كريم .. واشتهر عنه ذلك حتى اصبحت كل واحدة

تنفر منه ، وتفر من وجهه ، فلم تبق امامه الا الكباريهات ، وبائعات الهوى الرفيعات !

ولم تكن المغامرة فى مصر تكلفه مالا كثيرا .. اذ تغنيه سطوته كملك . وكان من الرجال والازواج من يعملون بحكمة موليير الساخرة .. التى اطلقها فى احدى مسرحياته مخاطبا زوجا جاء يحتج على مشاركة الملك له فى زوجته ، فصاح به :

« ليت شعرى .. هل فى مشاركة الارباب من عار ؟! .. »

اما فى الخارج ، فقد كان يضطر الى دفع الكثير .. لان الغانية التى تبيع الهوى فى كان او دوفيل لن تفخر بانها صاحبت ملك مصر ، حتى يقنعها هذا الفخر عن الاجر .. كما قد تفعل فى مصر غانية .. بدأت مجدها فى شارع محمد على ! وقد كتبت مجلة « ردار » الفرنسية مرة تتحدث عن التسعيرة الملكية فقالت « الهبت انباء قرب وصول فاروق الى دوفيل مخيلة الغانيات فى المنطقة كلها .. وهن يذكرن ان الملك كان يدفع فى العام الماضى ... ٥٠٠ فرنك لتلك التى تجالسه .. وانه يدفع ثلاثة ملايين فرنك (حوالى ٣٠٠٠ جنيه) لتلك التى تتشرف برفقته حتى الصباح ! »

ولكن شهوة النساء سرعان ما اصبحت شيئا ثانويا بالنسبة له .. يوم عرف اراقة الوقت والمال على المائدة الخضراء ... فلم يلبث هذا الذى بدأ يلعب للتسلية والتجربة ، ان اصبح مقامرا شرها لايبرح مائدة القمار الا ليستريح قليلا ريثما يعود .



ناهد رشاد

واصبح نادى السيارات الملكى فى شارع سليمان باشا كعبة القصاد ...

واصبحت حجرة اللعب مكانا تخرج منه الاخبار ، والتنبؤات ، والاقوال المأثورة !.. وكم شهدت الحجرة كرامة الرجال ، والوزراء ، والدستور ، وكرامة الدولة كلها .. تراق ..

كان الملك يلعب يوما ، حين حدثه محمد حسن الخادم الخاص بأن حركة تنقلات ضباط البوليس قد صدرت وانها قد نقلت من القاهرة الى الاقاليم ضباطا يجب اعادتهم . وكان الضباط يجب اعادتهم لانهم تقربوا الى محمد حسن بالمال او الخدمات . وذكر الخادم مولاه بذلك وهو يلعب القمار ، بمناسبة وجود وكيل وزارة الداخلية فى ذاك الوقت — مرتضى المراغى — فى نادى السيارات .

واستدعى الملك الوكيل العام يسأله ، فقال انه لايعلم شيئا ..
وامر الملك باحضار الوزير فورا .. ومعه كشف حركة التنقلات ..
وفى حجرة القمار ، واللاعبون متحلقون حول المائدة ، ودخان السيجار منعقد .. دخل وزير الداخلية وقد «كبس» الطربوش و «زرر» الجاكته .. واخرج من جيبه كشف الحركة .. وخادم الملك يناقشه فى بعض تفاصيلها، والملك يحسم المناقشة كل حين بتعلق سام .. والحثالة من لاعبى القمار جالسين يتفرجون ، على وزير الداخلية فى موقفه المهين !..
ووزير الداخلية المذكور شخص ، فى السياسة المصرية ، خطير !..
وكأنه لم يقنع بان يتحدى مصر .. فاراد أن يتحدى العالم ... فبدا يشن على اوروبا رحلات ماجنة .. يثبت فيها لنساء الغرب فحولته ، ويصيح فى ساحات القمار : هل من مبارز ! ..
وافردت صحف العالم صفحات لاخباره .. ووجدت فيه بطلا فاق كل مجان الارض من على خان الى قاطع الطريق جوليانو !
ولنبدا مع الملك السابق احدى رحلاته الى الخارج ...
فها هو اليخت يصل به الى كابرى . وها هى جريدة « الديلى امريكان » تصف وصوله فتقول انه استاجر فندق « قيصر اغسطس » باكمله ، ويتكون من ١٥٠ حجرة ، اجرة المبيت فيها ١٢٠٠ جنيه عن الليلة الواحدة غير نفقات الاقامة والاكل . اى انه دفع فى العشرين يوما ٢٤٠٠٠ جنيه للمبيت فقط !
وتستطرد الجريدة قائلة : ان نزلاء الفندق قابلوا وصول جلالته بالسخط البالغ ؛ لان الادارة اخرجتهم من الفندق وافسدت عليهم عطلتهم استعدادا لاستقبال صاحب الجلالة الذى اصر على ان يكون له الفندق كله
ولايبقى الملك فى كابرى اكثر من عشرين يوما ، يذهب بعدها على راس قافلة الفضيحة الى الريفيرا .. وتفرد مجلة « تايم » صفحات كاملة تصف فيها يوما من ايام الملك السعيد .. تقول :
فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ينتبه جميع الراقدين على شاطىء الريفيرا فقد نزل من الدور الثانى بفندق كارلتون عدد كبير من الخدم والحرس ، ومعنى ذلك ان جلالته قد استيقظ . وبعد قليل يظهر فى شرفة الفندق رجل بدين ، له راس ضخم وشارب منفوش ، ويلقى بجسده الذى يزن ٢٢٥ رطلا على مقعد وثير .. ثم يطلب زجاجة كوكاكولا ! ولمدة خمسة عشر دقيقة ظل الملك ساكتا لاينطق بحرف ، ثم تقدم منه تابعه واعطاه جريدة ، القى عليها نظرة سريعة ثم القاها على الارض . وبعد دقائق ينطلق فى قافلة من سيارات الكاديلاك الى احدى حفلات الكوكتيل .
وهكذا - كما تقول الجريدة - يبدا يوم جديد من ايام فاروق .
وفى الساعة العاشرة ليلا يظهر صاحب الجلالة فى صالة القمار ، ويجلس

الى المائدة التى لايحدد فيها اللعب بمبلغما .. وقد فتح قميصه وظهر الشعر الغزير فى صدره ورقبته ، ويكفى بعد ذلك ان يشير باصبعه ليضع تابعه امامه كوما من النقود ! فاذا كسب صاح « كسبتكم ! » وهو يزار بالضحك العالى ، واذا خسر ضحك ايضا ! .. اما خارج الكازينو ، فالناس يتحدثون عن « سوزيت » و « جانيت » وغيرهما ممن حصلن على هدايا ملكية ثمينة

وتصف مجلة « باراد » نفس المشهد فتقول : ان الملك السابق يقضى فى اوروبا اعظم شهر عسل عرفه القرن العشرون . وانه فى كل ليلة ، بينما تنام زوجته الصغيرة نوما هادئا فى فندق كارلتون ، يكون منهما فى لعب البكاراه والروليت ، ويدفع الى المائدة الاف الدولارات وهو يقول ضاحكا : الناس يقولون انني اخسر ثروات كبيرة فى اللعب .. ولكننى املك اكثر مما يتصورون

وتعقب المجلة بقولها ان الملك المقامر خسر خلال تسع ليال مبلغ ٣٠٠٠٠٠ دولار ، اما نفقاته على هذا النحو خلال ثلاثة شهور ، فهذا ما لايمكن احصاؤه! وقد اصبح مألوفا فى اوروبا منظر هذا الملك الذى لا يعنيه سوى قضاء اوقات بهيجة يدفع ثمنها ملايين من التعساء فى مصر !

وينتقل الملك الى دوفيل، وتتسابق الدول فى نشر اخباره، وعناوينها تقطر بالفضيحة .

جريدة « فرانس بريس » تحمل عنوانا مثيرا : فاروق ينتزع قصب السبق فى دوفيل ويخسر ٤ ١/٢ مليون فرنك فى نصف ساعة !

وجريدة « فرانس سوار » تقول فى صدرها : اسبوع عظيم يبدأ فى دوفيل نجمه الاول الملك فاروق .. عشرات من رجال البوليس السرى يحرسون المجوهرات ..

وجريدة « بارى بريس » تقول : الف ليلة وليلة فى دوفيل .. الملك فاروق فى الامباسادور بين البيجوم اغاخان ومدام كحيل ومدام كريم ثابت والاميرة محمد سلطان !!

ولم يكن القمار كل شيء طبعا .. فهناك النساء .. وفى ذلك تقول جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » : ان الملك فاروق سهل المنال بالنسبة للنساء .. وثمة فتاة تدعى نانسى كوريمى اهتمت بها صحف نيويورك مدة طويلة لانها كانت صديقة عزيزة له .. ويقال انه عندما ذهب الى قبرص اخيرا صحب معه ثلاث عشرة فتاة !

وتقول « بارى بريس » ان وصول ميمى ميدار ابنة احد الاثرياء الامريكان الى بياريتز كان طبقا لخطة موضوعة مع فاروق .. فقد رآها فى دوفيل وسألها : من اين هى ، فلما قالت له انها من امريكا اجاب : سوف اذهب اليها يوما ما ! وفى اليوم التالى تلقت ميمى باقة من الزهور .. وكانت هذه اللفتة السامية سببا كافيا لبث الذعر فى اسرة الفتاة .. فاسرعوا بترك دوفيل ! ..

وتنشر « فران تيرور » نبأ يهم بعض النساء .. فلقد عرف ان فاروقا اشترى بعض المجوهرات الثمينة من محلات فان كليف ، ولكن لم يعرف بعد – كما تقول الجريدة – من ستكون المحظوظة : هل هي سامية جمال ؟ ام الراقصة سيرين اوجيمونا ؟ أم المغنية آني بريبه ؟ انه على كل حال يحمل المجوهرات في جيب سترته الايمن . ويقال ان « سونيا » عارضة الازياء في محلات كارفن ستكون هي الفائزة .

وفرانس سوار تؤكد ان آني بريبه هي مغنية الملك المفضلة ، وانها احيت موسما في مصر ، من اجله فقط ..

و « رادار » تقول : ان فاروقا له راقصة مفضلة ، تماما مثل الملك «هيرود» في التاريخ القديم .. اما « سالومي » الحديثة فاسمها سامية جمال . وقد شهدت دوفيل في ليلة من ليالي الشرق الساخنة سامية جمال ترقص حافية القدمين ، في ثوب مطرز بالفضة ، وقد ارسلت شعرها يصرخ في الهواء ! ..

ويخطب مصطفى النحاس في مصر فيتوجه الى البقعة الطاهرة من اوروبا ، التى حل بها الملك الصالح ..

وينتهي الصيف ، ويعود موكب الفضيحة الى مصر .. ويصطف الوزراء والكبراء لتحية المقامر الشهير، وتطلق المدافع ٢١ طلقة، وتصدر الصحف وقد حلت صدرها بصورته ، وكتبت تقول : عاد الى ارض الوطن من رحلته الميمونة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .. حفظه الله ذخرا لمصر ! !

الموت للخصوم

لعله لم يحدث ان اهتزت العدالة في مصر .. كما اهتزت في عهد فاروق ، وسوف يتحدث التاريخ عن هذه الحقيقة الرهيبة بالتفصيل .

ولعل فاروقا ـ اذا كان قد درس شيئا من التاريخ ـ لم يدرس الا دسائس الملوك وجرائمهم ، والطرق التى كانوا يتخلصون بها من خصومهم . ومن المؤكد انه كان يعجب بجده اسماعيل لانه اغتال وزير ماليته اسماعيل صديق المفتش ونجح في اخفاء جريمته . وكان يعجب بجده الاكبر محمد على لانه دبر مذبحة القلعة لاعدائه المماليك ونجح في تنفيذها . ولسنا في ذلك محتاجين الى ان نحلل نفسيته ومزاجه ، وهو الذى روى عنه انه قال مرة : انه لايحسد احدا في العالم الا حاكم جزيرة «كسيران» الذى دعا وزراءه الى وليمة على ظهر باخرة ثم ربطهم في حجارة ثقيلة والقاهم في قاع البحر .. فاستراح من الوزراء الى الابد !

وهذا الرجل الذى كان يستمتع باقصى حرياته وامكانياته ، والذى تعود ان يرتكب كل انواع الجرائم بغير حسيب .. ليس غريبا ان ينزلق الى ارتكاب جريمة القتل . وهو الذى تعود ان لايقف في وجهه انسان .. كان لابد يضيق جدا ببعض الرجال ذوى الصلابة ، الذين لايعرف منهم خلاصا نهائيا .. الا بقتلهم .

وقد عشنا في عصر فاروق نشهد نوعا فريدا من الجرائم العامة : فالمفروض ان القتل السياسى ينصب على الحكام والمسئولين وذوى السلطة ، وان يكون القتلة من الشباب المعارض المتطرف ... وقد كان طبيعيا ان تقع حوادث اغتيال السردار وبطرس غالى واحمد ماهر والنقراشى ... وقد قتل هؤلاء جميعا وهم في السلطة . كما كانت محاولات اغتيال سعد سنة ١٩٢٤ واسماعيل صدقى سنة ١٩٣١ ومصطفى النحاس سنة ١٩٣٧ تقع كلها عليهم وهم في الحكم .

ولكننا في عهد فاروق رأينا جرائم الاغتيال تقع على الزعماء الشعبيين وخصوم الملك وهم في المعارضة ، مجردين من السلطة .. مثل اغتيال امين عثمان ومحاولة نسف بيت النحاس ثم محاولة اغتياله بالمدافع الرشاشة ثم اغتيال حسن البنا ..

او تقع على شخصيات عرفت بعدائها للملك والحاكمين ، او احتكت به في مناسبة ما .. مثل رفيق الطرزى وعبد القادر طه

وهذا وضع غير طبيعى على الاطلاق . ولا تفسير له الا ان الوضع قد انقلب

فاصبحت القوة الحاكمة هى التى تخل بالامن وترتكب جرائم الاغتيال ضد الافراد .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان نعرف نوعا من نادرا من التحقيقات «المفتوحة» التحقيقات التى لايمكن ان تنتهى الى الحفظ لان حقائقها تصرخ بان الحفظ مستحيل .. ولايستطاع ان تنتهى الى الادانة الصريحة .. لان المدانين فوق القانون ... وهكذا تظل « مفتوحة » عسى ان يلحقها النسيان

ولسنا محتاجين الى كل هذا الاستنتاج وقد بدأت اعادة التحقيق جديا فى هذه القضايا ، ووصلت الابحاث فى اكثرها الى نتائج حاسمة ... لولا ان التعرض لهذه النتائج بالتفصيل الصريح ، يعد مخالفا القانون !

ويوم تصبح هذه الاتهامات قضايا، وتصبح احكاما ... سوف نحتاج الى كتب مستقلة بها ، تروى صفحاتها الدامية !

الحاشية والمستشارون

قلنا ان تربية فاروق الاولى لم تكن تربية سليمة او طبيعية ... وقلنا ان الملك فؤادا بعقليته القديمة وطبيعة المستبد، لم يفكر في ان يجعل من ابنه ملكا ديمقراطيا ، بل كان همه ان ينشئه وله سطوته ، ورهبته ، واستبداده ...

وهكذا وضع فاروق منذ طفولته في قفص من ذهب . في عالم غير حقيقي ، لاتتعدى جدرانه اسوار القصور الملكية .. في القاهرة والاسكندرية . والى ان سافر فاروق الى انجلترا ، لم يحاول فؤاد ان يجعل له اصدقاء .. من امراء في سنه او فتيان من بعض الاسر ... ولم يحاول طبعا ان يدخله في مدرسة عامة ، او يضعه في فرقة عسكرية ، او يرسله بحارا في سفينة بحرية ، كما يفعل ملوك الانجليز مع اولادهم . ونشأ حتى هذه السن لايحيط به سوى الخدم والاغوات في القصر . والانسان - حتى ولو كان ملكا - لابد له من صداقات ... فلم يكن ممكنا والحالة هذه ان يكون خدم فاروق خدماء ، بل أصبحوا له أصدقاء .

وانت لاشك تعرف - ايها القارئ - شيئا عن خدم القصور ... في جميع العصور . انهم ليسوا كالخدم الذين تعرفهم في بيتك وبيوت الاخرين .. فالخادم في بيتك لايقبل اهانتك ، لانه يستطيع ان يجد مخدوما غيرك . ولكن خدم القصور يعرفون ان الامكانيات والفرص في القصر لايوجد لها شبيه . فهم لابد ان يلتصقوا دائما به ، ويعملوا على البقاء فيه بأى ثمن ..

وخدم القصور يحققون اغراضهم ويؤكدون تفوقهم .. بالتسابق في التذلل والزلفى ، وتحقيق رغبات السيد مهما تكن ، والدس والكذب والخديعة والختل .. وهؤلاء هم الذين صادقهم فاروق في اول حياته ، وتلك هي الصفات التى عرفها قبل اى شيء .

لم يعرف فاروق اذا صداقة الاكفاء ، واحترام الانداد ... ولكنه عرف احاطة الخدم به ، وتذللهم له ، واستجابتهم الى اغرب مطالبه ، واحمق نزواته ولما اصبح احمد حسنين رائده، ثم امينه الاول، ثم رئيس ديوانه .. علمه ان من حقه ان يكون سيدا على الجميع ، مرغوبا ومرهوبا من الكافة ... وان لايقف في سبيل ارادته ارادة .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان يكون اصدقاؤه كلهم من هذه الطغمة التى التفت حوله الى ان سقط . وكان طبيعيا ان يظل الى آخر ايامه على العرش لا يقرب اليه الا الحثالات، ولايرى الاشياء الا من خلال الفاسدين والدساسين والمنافقين من طلاب الوصول ...

كريم ثابت


كريم ثابت

كان كريم ثابت صحفيا بالوراثة .. اشتهر بأنه نشأ فى دار المقطم التى كانت لسان دار الحماية والمندوب السامى البريطانى ... كما اشتهر بعبقريته فى الكتابة عن الموضوعات التافهة ! وكانت غزواته الصحفية الخالدة ان يعرف اصناف الاكل التى يحبها ملك ايطاليا ونوع السجاير التى يدخنها ملك الافغان!

وفى سنة ١٩٢٧ .. وفاروق فى السابعة من عمره .. بدأت صلة كريم ثابت «الروحية» به ! ...

فقد كتب كريم ثابت مقالا حماسيا خطيرا بعنوان ضخم يقول : نريد ان نرى الامير فاروق !! ..

وفى المقال قال ان الشعب يشكو مر الشكوى ، لانه حتى الان لم ير صورة للامير فاروق .. ولم ير الامير نفسه .. ولم يعرف بالدقة ماذا يأكل الامير ، وكيف يلعب ، والى اى الهوايات يميل !! ..

ولم يثمر المقال غايته المرجوة .. وجاءت سنة ١٩٢٨ ... وكانت مصر كلها فى ثورة تطالب بدستورها المعطل . وفى غمار هذه الثورة استطاع كريم ثابت فى مقابلته مع شاهين باشا طبيب القصر ان يعرف بعض التفصيلات عن الامير فاروق ... فاسرع ينشرها فى مقال عريض ..

واستدعى الملك فؤاد شاهين باشا وزار فى وجهه : انت قرات مقال كريم ثابت عن فاروق ..

وتحللت مفاصل الباشا وهو يرتجف خوفا وقال بصوت مرتعد : ليه .. هوه وحش ؟ ..

فقال الملك : بالعكس .. ده كويس قوى ...

وتنفس الباشا الصعداء ، واسرع يقول : ده انا اعطيته المعلومات يامولانا !.

واصبح اسم كريم ثابت اسما قريبا الى قلب السراى !

ومرت السنوات ، واصبح فاروق ملكا ، وكريم ثابت مازال يذرع الارض جريا وراء معرفة امزجة الملوك وهواياتهم .. كانه كان يستعد اليوم العظيم ، والرسالة الكبرى .. حين تصبح مهمته ارضاء مزاج الملك فاروق وهواياته !

وعلم كريم ثابت ان فاروقا وزوجته الملكة فريدة ذاهبان الى الاقصر لقضاء بعض ايام الشتاء فى فندق « كتراكت » ... فاسرع يشد رحاله الى نفس

الفندق ، طمعا فى نصر صحفى ثمين .. كأن يكتشف كم بيضة يأكلها الملك فى فطوره ! ...

وعثرت الملكة فريدة يوما بابنة كريم ثابت الطفلة ، فداعبتها ، وحملتها بين يديها .. وداعبها الملك .. وجاء كريم ثابت على رائحة الصيد ... فقدمه رجال الحاشية الى الملكة فريدة ، وقدمته الملكة فريدة الى فاروق ...

وكم ندمت الملكة فريدة فيما بعد على ذلك !

واستطاع كريم ثابت من تلك اللحظة ان يلزم مولاه . وبدأ نشاطه «العلنى» باصدار كتاب عن الملك فاروق .. نجتزئ من الكلام عنه بنقل فهرسه كاملا . لترى - ايها القارئ - عبقرية كريم ثابت فى نفاق مولاه ... وكيف استطاع أن يقدم سيده الجاهل الفاسق الى الناس فى صورة العالم الديمقراطى الصالح.

الفهرس

الفصل الاول : كيف تشرفت بمعرفة الملك فاروق

وهو يكشف عن ديمقراطية صاحبى الجلالة الملكية ويشرح الفرصة التى اتاحت للمؤلف فى الاقصر شرف التعرف بجلالتيهما

الفصل الثانى : رحلات جلالته الصحراوية - وهو يكشف عن سعى جلالة الملك الى المناطق من بلاده للتعرف عليها . وتقشف جلالته وديمقراطيته واهتمامه بطبيعة الصحراء وما ينبت فيها

الفصل الثالث : كثرة معلومات جلالته وحبه للاطلاع والقراءة - وهو يدور حول كثرة اطلاع جلالته وحبه الكثير للقراءة . واهتمامه بكل مابنمى معلوماته . وبشراء طوابع البريد ومجموعة المداليات والنقود . والحصول على كل ما يفيد مصر من الوجهة العلمية والتاريخية

الفصل الرابع : ديمقراطية جلالته - وهو يبحث فى جولات جلالته وزياراته غير الرسمية - وغشيانه بعض الاندية بمفرده أو مع احد رجال حاشيته وتبسطه فى الجلوس والحديث بدون كلفة

الفصل الخامس : فى غيرة جلالته على الدين - يبحث فى احترام جلالته الدين وحرصه على التقاليد الدينية . وخروج جلالته لصلاة الجمعة ونسجه على منوال جده الاكبر والمغفور له والده العظيم فى التسامح الدينى وعدم التفريق بين الاديان

الفصل السادس : فى عطف جلالته على الطبقات العاملة والصغيرة والمحرومة - وهو يبحث فى حب جلالته للفقراء منذ صغره وحدبه عليهم فى كل المناسبات وخاصة فى اعياد جلالته وفى شهر رمضان . واهتمامه بأمر تموينهم

الفصل السابع : الملك الرياضى - وفيه يتحدث المؤلف عن روح جلالته

الرياضية وحبه للرياضة وعناية القائمين بها وتكريمهم واثر ذلك في النهضة الرياضية في البلاد

الفصل الثامن : فاروق المعتز بمصريته ، ومصر المعتزة به — وهو يدور حول حب جلالة الملك لبلاده واعتزازه بكل ما هو مصرى . والتفاف الشعب حول مليكه واعتزازه به

وقرأ الناس الكتاب الرائع وصاحوا : سبحان الله .. ما هذا بشرا !!.

واصبح كريم ثابت من حاشية الملك . ثم اصبح له مستشارا صحفيا. ثم جعله باشا . وقبل سقوطه بأسبوعين جعله وزيرا !

واصبحت مهمة كريم ثابت « العلنية » أن يسير خلف مولاه ، ليحصى مناقبه ، ويسجل للتاريخ حسناته ، وينشرها على الناس في كل حين !

ذهب الملك في رحلة الى الصحراء فكتب كريم ثابت : انه قام بالرحلة لكى يأخذ نماذج من الماء الذى يجرى في الصحراء ومن الزراعات وطبقات الارض لكى يقوم بتحليلها في القاهرة !. وقال ان السيارات تعطلت في اثناء الرحلة وتعطل جهاز اللاسلكي ، وعجز المهندسون عن الاصلاح ، فأصلحها الملك .. الميكانيكي الاول !

وسافر الملك في رحلة ماجنة في البحر الاحمر ، فكتب كريم ثابت : انه سافر لكى يبحث عن الثروة المعدنية ويدرس الجزر المصرية !. وقال « الذين تشرفوا بمرافقة جلالته في اليخت الملكى رأوا انه اذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما في اثناء هذه النزهة فهذا الرجل هو الملك ! »

وضبط الملك مرة عائدا من سهرة ليلية في شوارع القاهرة . فكتب كريم ثابت بالنص : « كلما سمح الوقت لجلالته خرج من القصر متنكرا ، وركب اول مركبة يصادفها في طريقه ، وطلب من سائقها ان ينطلق بها في الاحياء الوطنية . وهناك « يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة . هذه الطبقات الفقيرة التى لم تفتأ تلقى من عطفه وبره ما يعجز البيان عن وصفه ! »

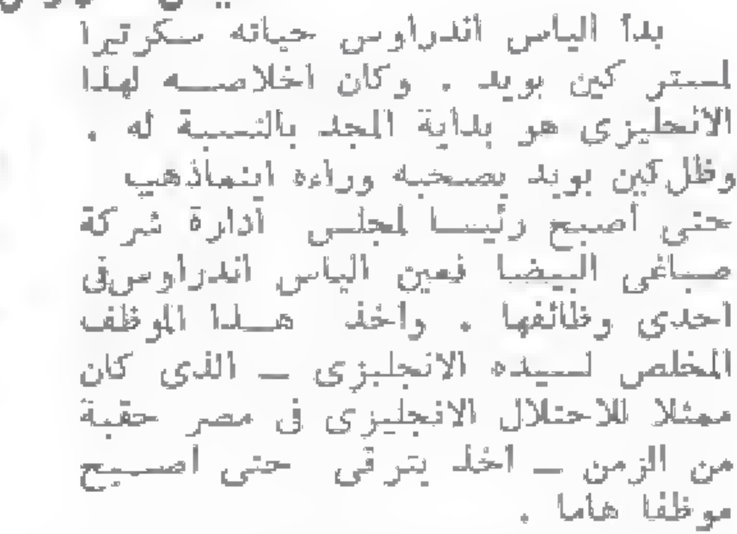
معقول طبعا .. الم يسمه ابوه « الفاروق » تيمنا باسم عمر بن الخطاب ؟!

ودعى الملك لزيارة مطار « بانيفيلد » الامريكى اثناء الحرب فكتب المستشار الصحفى يقول : انه اذهل الخبراء الامريكان بعلمه في فن الطيران!

بل لقد قابل الملك يوما وزير المكسيك ، ثم باربوزا كارنيرو وزير البرازيل وكتب كريم ثابت يقول : خرج وزير البرازيل دهشا من كثرة معلومات جلالته عن البرازيل ... وقال لى وزير المكسيك : لقد اذهلنى حديث الملك عن المكسيك فكأنما عرفها وألم بها

وسبحانه تعالى ... يؤتى العلم من يشاء !

الياس اندراوس



الياس اندراوس

بدأ الياس اندراوس حياته سكرتيرا لمستر كين بويد . وكان اخلاصه لهذا الانجليزى هو بداية المجد بالنسبة له . وظل كين بويد يصحبه وراءه اينما ذهب حتى أصبح رئيسا لمجلس ادارة شركة صباغى البيضا فعين الياس اندراوس فى احدى وظائفها . واخذ هذا الموظف المخلص لسيده الانجليزى ـ الذى كان ممثلا للاحتلال الانجليزى فى مصر حقبة من الزمن ـ اخذ يترقى حتى اصبح موظفا هاما .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، واقترب الالمان من العلمين ، واضطر الانجليز فى مصر للفرار الى فلسطين او الى السودان . وترك الانجليز شركة صباغى البيضا فى عهدة هذا المصرى جنسية ، الانجليزى قلبا ... فادارها بمهارة ... وعادوا حين زال الخطر ليجدوها سليمة ، مزدهرة نامية .

وكان ثمن الاخلاص عضوية مجلس ادارة الشركة ، وشركات اخرى من التى تقع تحت طائلة النفوذ الانجليزى

وعرف فاروقا على مائدة قمار . وكان بارعا لبقا فى الطريقة التى يخسر له بها ، وكأنه يخسر رغم انفه . وربطته هذه الصلة بالملك فاصبح مقربا عنده ، واصبحت له عنده قيمة سياسية اخرى ترجع الى وثيق اتصاله بالانجليز . فهو يستطيع ان يكون احد عملائهم فى بلاط الملك ، ويستطيع أن يكون سفيرا للملك فى دوائر الانجليز

وعينه الملك مستشارا اقتصاديا له . وقد عرفنا ماهية هذه الوظيفة

وقد أصاب الياس اندراوس وكريم ثابت ثراء عريضا عن طريق اتصالهم بالملك . عين كريم ثابت مستشارا للاذاعة بمرتب ٢٠٠٠ جنيه سنويا . وعين عضوا فى مجلس ادارة شركة قنال السويس مندوبا عن الحكومة المصرية بمرتب ٥٠٠٠ جنيه سنويا . غير المنافع « السرية » التى كانت تعود عليه ، كالخمسة الاف جنيه التى اخذها من ميزانية مستشفى المواساة « للدعاية » والتى انكشف امرها فى تقرير لديوان المحاسبة ، وكانت محل معركة عنيفا فى مجلس الشيوخ

وفتحت الشركات ابوابها لرجال الحاشية المقربين للملك ، وعلى راسهم اكريم ثابت والياس اندراوس ، كطريقة وحيدة لحل مشاكلها وتنفيذ مآربها

فكنت ترى الحكومة مكفهرة الوجه ، هائجة مائجة تريد ان تعصف بشركة مياه الاسكندرية . ويجتمع مجلس ادارة الشركة ويقرر تعيين الياس اندراوس عضوا فيه . فتنقلب سخط الحكومة الى رضى وثورتها الى هدوء

وتتعقد مشاكل شركة السكر مع وزارة التموين ، ويلوح كأن الحكومة تتشدد فى موقفها ، ويجتمع مجلس الادارة ويقرر تعيين كريم ثابت عضوا فيها . فيلين عود الحكومة ، ويسترخى حبلها المشدود

وهكذا .. حتى نشرت جريدة « المصرى » مرة نبأ تعيين الياس اندراوس فى ثلاث شركات فى يوم واحد . وتعيين كريم ثابت فى شركتين فى نفس الاسبوع ! ولم يخف مغزى النشر على أحد . فتعيين واحد من هؤلاء فى شركة ما ايذان بحق سوف يضيع على الشعب والحكومة . وربح حرام سوف يجنيه الذين لا يشبعون من الارباح

وبعد هؤلاء تجد قائمة طويلة من أفراد الحاشية .. أصدقاء الملك

محمد حلمى حسين ، الذى كان « صولا » يقود سيارة الملك . وانجذب اليه الملك كعادته فى الانجذاب الى السفلة من غير ذوى المبادىء ، وبحكم مزاولته له فى المغامرة والجريمة ... فاصبح هذا السائق اثيرا عند مولاه ، واصبح الكبار يتقربون اليه

وكان الملك مرة فى نادى ضباط الجيش ، وكان عزيز المصرى يشغل مركز القيادة . وخرج عزيز المصرى يمر على حجرات النادى فوجد سائق الملك جالسا فى احدى الحجرات وقد التف حوله الضباط وكبار الموظفين يضاحكونه ... وثار عزيز المصرى لهذا المنظر ونهر السائق ، وامره ان يذهب الى الخارج ويقف بجوار السيارة التى يقودها ...

وفى طريق العودة روى حلمى حسين للملك القصة ، فقال له : ضع على كتفك نجمتين !

واصبح ملازما أول . ثم تتابعت عليه الترقيات حتى اصبح اميرالايا ، كتفا لكتف مع ضباط الجيش القدامى . ثم أصبح الملك يرسله الى اوروبا فى بعثات لشراء الاسلحة ... وكان الناس يعجبون كيف يرسله الملك فى هذه المهمة الدقيقة الشريفة ، حتى عرفوا انها لم تكن مهمة شريفة ... فزال العجب !

بل وارسله مرة فى وفد مصر الرسمى لتهنئة سوريا باستقلالها ، ليجلس هذا اللص بين شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وبين سعد الله الجابرى رئيس الوزارة !

ثم محمد حسن .. النوبى الاسمر الانيق ، البارع الذكاء ، الذى دخل القصر خادما يشرف على ثياب الملك ويخلع له حذاءه . فاصبح اثيرا عند السيد ، مقربا اليه . واصبح يرجوه رجال الدولة وأرباب الحاجات الكبيرة!

وليس أبلغ في الدلالة على نفوذ هذا الرجل من القصة التاريخية التي يرويها وزراء الوزارة الهلالية الثانية : فقد اجتمع الوزراء في بولكلي يتدبرون الموقف الخطير الذي نجم عن حركة الجيش .. وحاول حافظ عفيفي ان يذهب الى القصر فوجده محاصرا وجاء الى بولكلي منضما الى الوزراء ... وكانت الازمة في ابانها ، والملك نفسه في خطر . وامسك حافظ عفيفي بالتليفون ليتصل بالملك في قصر راس التين فرد عليه محمد حسن . وعبثا حاول حافظ عفيفي ان يخاطب الملك شخصيا ، فقد كان محمد حسن يقول له : عايز منه ايه وانا اقول له ؟.

ففي هذه الساعة الحرجة ، لا يستطيع رئيس ديوان الملك أن يتصل به مباشرة .. لان الملك يكتفي بأن يتلقى الكلام من خادمه محمد حسن !.

وظل محمد حسن على موقفه ازاء رئيس الديوان ، حتى امسك اسماعيل شيرين بالتليفون ، وصاح فيه ان يوصله بالملك ، فلما رد عليه الملك صاح فيه منفجرا : ياراجل عرشك في خطر ... وباعت لنا محمد حسن ؟!.

ثم انطون بوللي ... الكهربائي

وبترو .. الحلاق !.. والحثالات التي كان منها جلساء الملك واصدقاء جده وابيه على السواء !

وقد استأثرت هذه الطغمة بصداقة الملك ومزاجه وثقته .. حتى اصبح كبار رجال القصر القدامى اغرابا في القصر . وكانوا لا يرون الملك الا نادرا ، ومن خلال هؤلاء الخدم ... وقد يحدث ما يسيء الى كرامتهم . ولكنهم يسكتون

وقد كان ابراهيم عبد الهادي بعد خروجه من رياسة الديوان يروى كثيرا من الصغائر التي كانت تسيء اليه . والتي تدل على نوع حياة الملك ، ومدى اهتمامه بمستشاريه . من ذلك انه دخل على الملك السابق مرة ليعرض عليه بعض الاوراق .. فوجده جالسا مع كريم ثابت يتبادلان رواية النكت البذيئة باللغة الفرنسية ويضحكان في عربدة . ولما رأى الملك السابق رئيس الديوان قال لكريم : قول النكتة تاني بالعربي علشان الباشا مايعرفش فرنساوي ...

فرد كريم : ولا عربي كمان !

وضج الاثنان بالضحك الشديد ... ورئيس الديوان واقف بقامته الطويلة ، والاوراق في يده .. لا يدري ماذا يصنع ؟

الدول الأجنبية أيضا

لم يقف فساد فاروق عند حدود مصر . ولم يقتصر على الاساءة الى كل مرفق وكل ركن وكل معنى كريم فى البلاد . بل امتد الى خارج الحدود .. يمزق علاقات مصر بالدول الاجنبية ، ويفسد صداقتها ، ويربك وضعها الدولى كله .

وقد روينا قصة سرقته سيف شاه ايران الميت ... وكانت هذه السرقة الوضيعة مصدر ازمة عنيفة وفتور طويل فى علاقات مصر بايران

وروينا قصة سائق سيارته حلمى حسين فى بعثة « الشرف » التى ذهبت تهنىء سوريا باستقلالها . وكان هذا التصرف مصدر احتجاج من حكومة سوريا ، وثورة من صحفها

وهناك قصص أخرى ...

فمنذ سنة تقريبا : ملأت الصحف فجأة انباء ازمة حادة فى العلاقات بين مصر واليونان . واستدعت الحكومة المصرية سفيرها عدلى اندراوس من اثينا . وعجب الناس لهذه الازمة بلا سبب ... والتى تهدد علاقات مصر بشعب تربطه بنا صداقة طويلة وطيدة

ولكن الازمة كان لها سبب ... وسبب غير مشرف ...

فقد ادلت الملكة فردريكا بحديث نشرته مجلة « لايف » فى انحاء العالم كله .. روت فيه انها كانت مع زوجها الملك فى مصر ايام الحرب العالمية الاخيرة . وان الملك فاروقا غازلها مرة وحاول ان ينسيها واجباتها الزوجية فاضطرت الى ان تلقى عليه درسا قاسيا فى مبادىء الاخلاق ، وفى أن من يخون رابطة الزوجية يكون حيوانا لا تربطه بالانسانية صلة !!

والقصة صحيحة طبعا .. والا لما تحدثت بها ملكة وسيدة وزوجة عن نفسها !

وكانت فضيحة أثارت اشمئزاز العالم كله

وغضب ملك مصر لكرامته ... أو غضبت حكومة مصر لكرامة الملك .. وهددت بقطع العلاقات ... وأخيرا انتهت المسألة بان اصدرت الملكة فردريكا تكذيبا للحديث .. على ان ينشر التكذيب فى مصر فقط !.

وفى الصيف الماضى كان الملك فى سويسرا ... وذهب يوما للاستحمام فى احدى البحيرات . ولما خلع ملابسه وهم بالقاء جسمه الضخم فى الماء ، اقترب منه أحد المصورين والتقط له صورة ... ولكن الملك استدار بعنف ، وهجم على المصور وانتزع منه آلة التصوير ، وتجمع حراس الملك وانهالوا

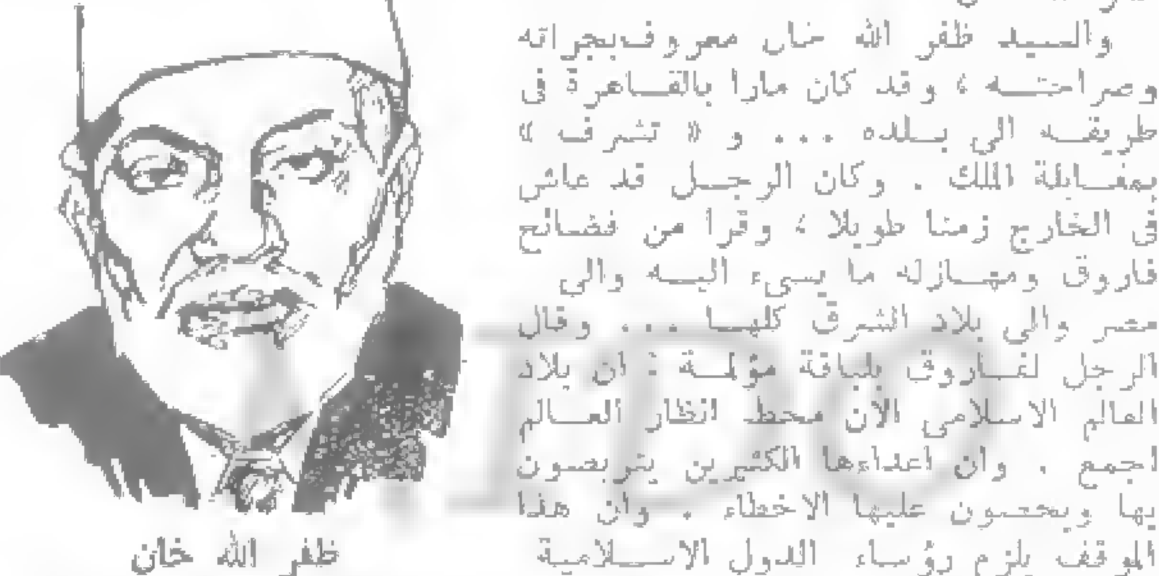
على المصور ضربا .. ولم يقبل المصور الذي نشأ في بلد حر ان يغتصب أحد منه آلته ولو كان ملكا . فذهب الى القضاء شاكيا ملك مصر بتهمة الاغتصاب ومطالبا اياه برد آلة التصوير اليه . وحكمت المحكمة عليه فاعطته درسا قاسيا في احترام الحريات وقوانين البلاد السويسرية .

وخرج الملك من سويسرا غاضبا ليلقي بنفسه في أول بحيرة ايطالية !.. وصرح للصحفيين بقوله : انني لن اطأ بقدمي ارض سويسرا مرة ثانية !..

ولم تغضب سويسرا طبعا لانه لن يعود اليها ... بل غضبت لهذا التصريح الذي لايليق صدوره من شخص ذي صفة رسمية رئيسية ...

وحملت عليه صحف سويسرا حملة هائلة !

وكانت آخر مآسيه مع دولة الباكستان .. ووزير خارجيتها ظفر الله خان


ظفر الله خان

والسيد ظفر الله خان معروف بجراته وصراحته ، وقد كان مارا بالقاهرة في طريقه الى بلده ... و « تشرف » بمقابلة الملك . وكان الرجل قد عاش في الخارج زمنا طويلا ، وقرا من فضائح فاروق ومهازله ما يسيء اليه والى مصر والى بلاد الشرق كلها ... وقال الرجل لفاروق بلباقة مؤلمة : ان بلاد العالم الاسلامي الآن محط انظار العالم اجمع . وان اعداءها الكثيرين يتربصون بها ويحصون عليها الاخطاء . وان هذا الموقف يلزم رؤساء الدول الاسلامية بأن يرعوا في سلوكهم تقاليد الاسلام وان يتمسكوا بقواعده، وان تكون حياتهم المستقيمة قدوة لشعوبهم ودعاية أمام العالم اجمع !!

وفهم فاروق المقصود . فنهض واقفا .. وانهى المقابلة ...

وكتم الملك السابق غيظه ونقمته على الوزير الصريح ... وبات يتربص به . ويتربص معه الشيخ مخلوف مفتى الديار المصرية .. او بالاحرى مفتى القصور الملكية .

وانتهز الشيخ مخلوف الفرصة ، وادلى بحديث عجيب : قال فيه ان ظفر الله خان من طائفة القاديانية ، وهي ملة كافرة ... ولم يقف عند ذلك حتى يبقى غرض الحديث مستورا ، بل استطرد يقول : ان على حكومة الباكستان وهي حكومة اسلامية ان تطرد من وزارة خارجيتها هذا الوزير الكافر !!. لانه لايجب ان يبقى على راس دولة اسلامية وزير كافر !...

وهكذا رد على قول ظفر الله خان انه لا يجب ان يبقى على راس دولة اسلامية ملك فاسق !!...

وثارت الصحف فى مصر والباكستان تحمل على المفتي المدفوع . واقسم الهلالى – وكان رئيسا للوزارة – ليعزلنه من منصبه جزاء وعونا ... ولكن الهلالى لم يلبث أن تبين الامر . وعرف ان الملك لا يقبل ابدا أن تمس شعرة من رأس مخلوف ... هذه الراس التى تخرج له الفتاوى والتحليلات !!..

***

والمتصلون بسياسة مصر العربية ، والتيارات المحيطة بجامعة الدول العربية ، يعرفون الى اى حد كانت هذه التيارات تتأثر باهواء الملك السابق وميوله الشخصية

وكانت مظاهر هذه الاهواء تبدو فى صورة فتور مفاجيء فى علاقات مصر « الرسمية » بدول عربية اخرى كالعراق مثلا .. رغم الصداقة الوطيدة ، والمصلحة المتحدة الراسخة بين الشعبين . ولم يكن ذلك الا لتحاسد متبادل بين الاسر المالكة هنا وهناك !. وكان فاروق يتقرب الى الملك عبد العزيز آل سعود ويزوره ويستزيره اغاظة للملك عبد الله فى الاردن !.

ولا ينسى الناس ان تدخل الملك السابق فى السياسة العربيةاثر فىمستقبل شعب عربى تعيس .. هو شعب اليمن !.

فقد ثار شعب اليمن وقتل الامام يحيى .. واستولى ابن الوزير على السلطة وفر ولى العهد – الامام احمد – الى تعز – معتصما بها من غضبة الشعب . وهلل الرأى العام فى البلاد العربية كلها ، لا للدم الذى اريق ، ولكن للصفحة الجديدة التي بدا شعب اليمن يفتحها . وتمنى الناس لشعب اليمن ان يحاول اللحاق بركب الحضارة

وبدا ان الجامعة العربية تؤيد الحركة الجديدة . وسافر امينها العام فعلا لتسوية الامور ، والتفاهم مع العهد الجديد . ولكن رغبات فاروق وعبد العزيز آل سعود ادركته فى الطريق فاوقفته ... ماذا ؟ . ان الملكين يرفضان تشجيع الثائرين باى نحو . ويطالبان بضرورة اجلاس الامام احمد على العرش . لماذا ؟. لانهما يريان ان ظلما وظلاما يهيطان بشعب ما اهون من ان تتزعزع قوائم العرش فيه او تقل هيبته . ولان هذه الاراء الخطره تنتقل بالعدوى !...

واجلس الامام احمد على عرش اليمن ... وقطعت رؤوس الثائرين الاحرار بالفؤوس . وعلقت على الاعواد !!

حفيد الرسول !...

جلس نابليون مرة وقد بدا عليه الحزن . وكان قد فرغ من فتح اوروبا

كلها . وساله الناس فيم حزنه ، فقال لقد جئت الى هذه الدنيا متأخرا .. فلو اننى خلقت منذ الف سنة لاستطعت ان ادعى الالوهية وان ازعم للناس اننى ابن الله فيركع لى العالم اجمع ، اما الان فلو قلت انى سليل الآلهة .. لسخرت منى احقر بائعة سمك فى باريس !!.

ايكون هذا هو شعور الطغاة ؟ ... تعنو لهم الجباه ، وتدين لهم الدنيا ، فلا يقنعون ، ويتطلعون الى السماء !...

ايكون هذا نفسه ما ساور فاروقا ، اذ وجد نفسه . منذ كان مراهقا فى الثامنة عشرة قد اصبح طاغية على عشرين مليونا ، وحاكما مطلقا يوازى ملوك الارض .. يستطيع ان يسرق ويفسق ويقتل والملايين تقول : يحيا الملك الصالح .. الطاهر العادل ؟.

كم من البشر وصلوا الى هذا المستوى !.

ولماذا لا يصبح مقدسا بنحو ما ؟. لماذا لا يتصل بالنبى ... كسائر الملوك والزعماء الذين يقلون عنه .. الملك عبد الله والملك ادريس السنوسى والسيد عبد الرحمن المهدى ... وغيرهم ؟.

ويروى حسين الجندى ، الفتى الاول فى قصة النسب ، هذه المأساة فيقول :

« سلمنى الملك السابق مذكرة فى هذا الموضوع فى مادبة ملكية اقاميابقصر بقصر عابدين يوم ٢١ يناير ١٩٥٢ ، وطلب منى امام النحاس باشا وسائر الوزراء ان ابحثها بصفتى وزيرا للاوقاف . واستحثنى فؤاد سراج الدين على ان اسرع فى تنفيذ رغبة الملك . فكلفت حجازيا معروفا وهو الاستاذ امين التميمى ببحث الموضوع . وبعد فترة قدم الى المستندات التى تمكن من الوصول اليها فعرضتها بدورى على نقابة الاشراف التى اصدرت قرارها المعروف !!»

وهكذا اراد فاروق ان يكون حفيدا للرسول .. بالامر

وارادت « المصرى » ان تسخر من هذه المهزلة ، فتحدثت عن تفاصيل اكتشاف النسب ، وقالت ان حسين الجندى بعد ان عجز باحثو الوزارة عن اثبات النسب ، عثر على شخص حجازى اسمه امين التميمى .. سبق أن استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود ليثبت له نسبا مشابها .. فكلفه باجراء هذا البحث !!..

اى عثر على محترف متخصص فى وصل الانساب !!..

ولكن فاروق أخطأ الحساب ... ولم يفهم كما فهم نابليون .. ان الزمن قد تأخر .. وان بحثه عن القداسة والتشريف عن هذا الطريق المفتعل يجعل أحقر بائعة سمك فى القاهرة تضحك منه !.. ولم تنس شوارع المدن

المصرية بعد تلك الفكاهات الساخرة التى تداولتها الالسن تعليقا على هذا النسب !...

وكان النسب ايضا سخرية البلاد الاخرى ... وفى العراق كتبت جريدة « صدى الاهالى » لسان الحزب الوطنى الديمقراطى تهاجمه وتسخر به ، وتقول ان فاروقا اذا كان يريد بهذا النسب ان يكون خليفة على المسلمين .. فمن شروط الخليفة ان لا يكون فاسقا ولا فاجرا ولا ظالما !...

واحتجت السفارة المصرية فى العراق على المقال . وعطلت الحكومة العراقية الجريدة الكبيرة لمدة سنة . فأضافت الى اسباب السخط بين العراقيين سببا جديدا !...

موكب النفاق

عرفت مصر الكثير عن تقديس الملوك ، طيلة تاريخها منذ آلاف السنين !
عرفتهم آلهة يعبدون من دون الآلهة . . وعرفتهم يحفرون اسماءهم على تماثيل الجرانيت ليخلدوا وتذهب اسماء الفنانين الذين ذاقوا مرارة الخلق الفني ونحت التمثال من الحجر . وعرفتهم يسوقون الآلاف ليقيموا اهراما يدفن فيه فرعون ، او معبدا تقدم له فيه القرابين ... وعرفت مصر الى عهد قريب جدا .. وحين صار اسلاف فاروق ملوكا .. عرفت ان الحاكم اسمه « ولي النعم » وان يقال له « مولانا » .. وان رئيس الوزراء اذا رفع الى « المقام السامي » كتابا سمي نفسه فيه « الخادم » المطيع ! . . فلما سارت المظاهرات في شوارع القاهرة منذ سنة او يزيد ؛ تهتف ان : لا مولى الا الله !. فزع الحاكمون، واسرع البوليس يقبض على الفتيان الكافرين .. الذين زعموا ان لا مولى الا الله . . كانهم لا يعرفون ان الله اصبح له في آخر الزمان شريك !

ومنذ اصبح احمد حسنين رائدا لمولاه ، ثم امينا له ، ثم رئيسا لديوانه .. وهو يدرك أن التقدم الحديث قد سخر للملوك وسائل جديدة غير حفر الاسماء على الجرانيت يخدعون بها الناس عن انفسهم .. وان ادوات الدعاية من ادب وفن وصحافة واذاعة تتيح له ان ينشر تأثيرا واسعا .. وان يبرز ملكه الفاسق الجاهل الطاغية في الصورة التي يهواها .

وكانت هذه الخطة الواسعة التي بدا حسنين يطبقها ذات اهداف بعيدة .. هي اقناع الناس تدريجيا بان تتركز المسئولية في يد الملك شخصيا ، وان يكون في سطوته القضاء عن البرلمانات والوزارات المسئولة ونصوص الدستور ..

وانت تلحظ هذه الغاية اذا قارنت بين استبداد فؤاد واستبداد فاروق . كان فؤاد يستبد من خلال الاخرين .. من خلال وزراء يحركهم واحزاب يصنعها ـ ولو مؤقتا كحزب الاتحاد وحزب الشعب ـ اما في عهد فاروق فقد تضاءلت مسئوليتهم، واصبح فاروق يحكم مباشرة ... وباتت احزاب الاقلية وبرلماناتها شيئا ثانويا كادوات للطغيان فانت ترى مثلا برلمانا مثل البرلمان الذي دام من سنة ١٩٣٧ الى ١٩٤٢ ، يتقلب على رئاسة الوزارة في عهده محمد محمود ثم علي ماهر ثم حسن صبري ثم حسين سري .. وفيهم واحد فقط ! محمود يمثل حزب الاغلبية في ذلك البرلمان .. والثلاثة الباقون من غير ذوي الاحزاب : ولا صلة تربطهم بكراسي الرئاسة الا حظوة الملك ... والبرلمان لايعترض ، وحزب الاغلبية الذي طرد رئيسه لايغضب !! ...
وبدانا نسمع على عهد حسنين ان الملك غاضب لان الناس يهتفون لزعيم ما

ورأينا وزارة تقـال لان لافتة طلبت ان « يعيش الملك ويحيا النحاس » معاً ، وعلى الـسواء ... ورأينا مجلة معروفة الصلة بالقصر ، تهاجم رئيس الوزارة لانه لايدعو للملك ويقدسـه ويسبح بحمده كلما القى خطابا .. فتقول مبررة اقالة الوزارة :

« .. وقد لوحظ ان التحيات الموجهة الى الملك اخذت تتضاءل على لسان رفعته (اى النحـاس) بمرور الايام ، واتهمه بان القى خطابه فى عيـد الفطر المبارك قبل اقالة الوزارة دون ان يذكر الملك فاروقا بكلمة واحـدة ، او يختم خطبته بالدعاء المعتاد ، بل انهاه بقوله « كل عام وانتم بخير » ... وهكذا طغى النحاس وتجبر ، وهكذا نسى ابسط قواعد الذوق والادب مع سـيد البلاد ، وهكذا كانت حوادث « الجليطة » المسـتمرة ، المتكررة ، التى لاتنتهى واحدة الا لتبدأ « جليطة » ابشع منها ! ! »

واحزابنا تحب ان تحـكم ، ووزراؤنا يحبون ان لايتركوا الحـكم ، وكبار موظفينا يريدون ان يرتقوا ... فاذا كان ثمن ذلك كله هو الزلفى ، والرياء ، والتحدث بالـكذب ، وقول غير الحق ، والسير فى موكب النفاق .. فما أهون ذلك كله ! ...

وتدفق سيل النفاق ! ..

رئيس الوزارة ــ أيا كان ــ لايترك فرصة الا ويسـبح بحمـد الملك . فان كانت المناسبة وطنية فهو الوطنى الاول ، وان كانت علمية فهو العالم الاول . والمناسبات كثيرة وتتكاثر باطراد .. فهناك عيد الميلاد وعيد الجلوس وعيد توليه سلطته الدسـتورية ، وذكرى نجاته من حادث القصاصين .. وهناك اسبوع اسماعيل واسبوع فؤاد واسبوع محمد على ... الى آخره ....

ولاتسنح مناسـبة من هـذه المناسـبات ، الا ويقبض رئيس الوزارة على الميكروفون ، ويهمس ضارعا : «مولاى» ثم يمضى متغزلا فيـه ... متحدثا بفضله ، حديثا تـكرره الاذاعة فى اليوم الواحد خمس مرات ، حتى ترغم من لايريد الـسماع على أن يسمع قولا من هذا الطراز :

« سبحانك اللهم ما أعظم شأنك ، واعز سلطانك ، واوضح برهانك . آتيت فا[illegible] قا الملك والسداد فاصبح عرشه فى وادى النيل قبلة آمال المواطنين ومعقد [illegible] واطماعهم ، وآية وحدتهم وتلمة اجماعهم . وقد ملكت قلوبنا سجاياه [illegible] طيبة من رباه ! وآمال مصر بين يديه فى عزه الذى لايرام [illegible] [illegible] على الوطن مديدا ضافيا [illegible] للبلاد [illegible]

[illegible]

[illegible] حديث [illegible] من الناس يوم ان [illegible]

[illegible] وسبح [illegible] يمضى [illegible] الا السبيح بفضـل.

الملك : والاشادة بعصبيته وتحمس حزمه . . . [illegible] العوى [illegible] الدرع !

ولم يعد [illegible] ملك يحظى على تماثيل [illegible] . . . بل اصبح [illegible] في [illegible] . . . فاي مدرسة تفتح ، او [illegible] ، او [illegible] [illegible] . . لابد أن تسمى باسم فاروق أولا [illegible] باسمه من يعول !! . .

وقد تبين احد [illegible] المدارس فقط ، المسماه باسم فاروق وحده ، تبلغ [illegible] وتسعين مدا .

وكانت هناك رائحة باهظة الثمن . . . تلك التماثيل التي تقام تخليدا لذكرى السلاطين العظام من اسماعيل فنازل . . . والمساخر التي كانت تموج من حدة المساخر ما حدث في تمثال فؤاد الذي كان مزمعا اقامته في ميدان عابدين . . فقد تبين بعد ان تم صنعه ان يد التمثال اليمنى قد نقص منها اصبع ، وهي فيها اربع اصابع فحسب . . . وقال قوم فلتنفع التمثال . . ولن يرى احد ان اصبعه ناقصة وهو على هذا الارتفاع . . وقال الاكثر ولاء مستحيل !! . فاصبع الملك شيء خطير . . وقال صانع التمثال انه يأخذ لكي يصنع الاصبع الناقص ١٥٠٠ جنيه !! . .

الاذاعــة

والاذاعة هي مرفق الدولة المختص بالدعاية ، فكان لابد ان يصيبها من هذا النفاق شر عظيم . . . .

ودخل دار الاذاعة الشرق اعطاف كريم ثابت ، حين عينوه مستشارا فنيا لها . واصبح معروفا ان الوزراء يتغيرون ، والمديرين يتعاقبون ، وكريم ثابت لايتغير . وعرف الموظفون ان من يريد ان يصبح وزيرا او مديرا فان الوزير يزول ، [illegible] كريم ثابت . . فان كريم ثابت باق لايزول !! . .

واحذت الاذاعة تتحول شيئا فشيئا الى اداة ضخمة تسبح بحمد الفاروق عن [illegible] ما حدث . . . .

[illegible] يذهب الى على خليل — مندوب كريم ثابت — قبل [illegible] عن زيارة قام بها الملك السابق مرفقها . . فيصدث [illegible] الملك تعبيرا من [illegible] عزة الله . . [illegible] والدعوات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لاتحتمل [illegible]

[illegible] لاتستطيع [illegible] تلك [illegible]

القبيل . واضافها المؤلف . . وقال الحبيب لحبيبته – في الاغنية – ان الاشجار تسبح بملك الوادي . . ولو اخذ حبيب حبيبته الى خميلة ليحدثها في ضوء القمر عن فاروق . . لبصقت في وجهه !

وعرفت الاذاعة شيئا اسمه البرامج الملكية . . والبرنامج الملكي مساحة كبيرة – كخريطة الحائط – من الورق الابيض الفاخر ، يكتب عليها خطاط بارع ، يكتبه بخط «همايوني» او «فارسي» برنامج الاذاعة في اسبوع !..

ويتولى علي خليل مكتبه ويقول انه ذاهب يشتري «المربط!» .. ويذرع المحلات بحثا عن شريط حريري اخضر جميل ، يعود به ظافرا ، ليربط به البرنامج الملكي . . وفي سيارة يمضي خلف كريم ثابت الى القصر ليسلم البرنامج الملكي الى خادم او تشريفاتي . . وتتكرر القصة كل اسبوع !!..

وكنت اعرف واحدا من الناس يحصي عدد المرات التي تسبح فيها الاذاعة باسم الملك في اليوم . . وكان يسجل كل مرة رقما قياسيا . .

وكنت اعرف آخر يقول : لم يبق الا ان نسمع المذيع في الصباح يقول : الشيخ محمد رفعت يقرأ عليكم – في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم – سورة البقرة !!.

.. والصحافة !

وقد تجد للوزراء ، والموظفين ، والاذاعة عذرا . . . ولكن . اي عذر نسوقه دفاعا عن اصحاب الصحف !..

لم نكن نطلب من الصحف ان تقاوم الملك ، بل كان يكفينا منها ان لا تبالغ في تمجيده . كان يكفي ان تقول الجريدة في عيد ميلاده مثلا : انه عيد سعيد ، وان تدعو له بطول العمر ، وتنتهي المسألة . . ولكنها كانت تتسابق في تدبيج المقالات الطوال عن عبقرياته وامجاده واصلاحاته !..

وكنت تجد اصابع حسنين في قصص كثيرة تكتبها الصحف . . وكان حسنين مغفلا يبتكر القصة للصحيفة ، ويختار الاغنية لام كلثوم ، والنكتة لنجيب الريحاني . !

اقرأ معي :

« رايت الملك وهو يسير في احد ازقة قرية ، ويدق بيده باب بيت فلم يجد احدا ، فانتظر الملك قليلا وقال : لعل اصحابه مرضى !

ولكن الباب لم يفتح فقال الجيران : ان اصحاب البيت تركوه رغم مرضهم ليحيوا الملك . فقال لهم جلالته : سلموا لي عليهم !

ثم رأينا جلالته وهو يطرق باب بيت آخر ، ففتحت صاحبته البيت بابها فحياها الملك ، وقال لها « انا فاروق ! » جئت اسأل عنكم واسألكم ان كنتم تريدون شيئا . . فرفعت صاحبة الدار يدها المرتعشة دعاء وشكرا . فقال

لها جلالته وهو يحنو عليها : اطلبي ماتشائين .. فقالت : أريد أن أقبل يدك. فصافحها جلالته .

وخرج الملك من اكواخ القرية وقد انقلب هدوؤها التامل الى مظاهرة حماسية دوت فيها الهتافات والزغاريد وقرع الطبول والكل ينادى :

ـ فاروق .. فاروق .. ربنا يخلى لنا فاروق ..

وعندما ركب جلالته قطار الديزل الخاص من المحطة لم يكن يتحدث عن هذا الاستقبال العظيم ، ولا عن الحماسة المنقطعة النظير ، ولا عن الحب الفياض الذى كنا نراه فى عيون الرجال والنساء والاطفال .. ولكن كان جلالته ساهما، وقد جلس وحده يفكر ، واسند راسه الى يده ..

كان الملك يفكر فى هؤلاء المرضى المساكين ، هؤلاء الفقراء المحرومين ، هؤلاء الجياع المنبوذين ، الذين كانوا يهتفون بحياة منقذ الصعيد ..

وشعرنا عندئذ بان الملك يريد ان يفعل شيئا لهؤلاء البؤساء .. ولكن أحدا منا لم يعرف ماذا ينوى أن يفعل الملك !! »

ولا تضحك ـ ايها القارىء ـ فقد كنت تقرأ هذا الكلام !

بل ان كاتبا كبيرا مثل العقاد ، امسك قلمه « الجبار » مرة ليكتب :

« اننى لم اسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجداء طلعة المليك عن كثب والاصغاء الى جلالته على انفراد ، فى جو لا مثيل له بين اجواء اللقاء والحديث ، لانه جو الملك والديمقراطية ممثلين فى شخصه الكريم اجمل تمثيل ، مجتمعين فى سماعه وكلماته وارشاداته احسن اجتماع

« لقد سمعت فى هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف وكلام وطنى غيور وكلام محدث ظريف . وطاف بخاطرى ذكر الايمان وذكر الوطن وذكر الملك وذكر المعاش الذى يشغل قلوب ابناء الحياة . طاف بخاطرى اجل مايطوف بالخواطر من امور الدنيا والدين ! »

ومع ذلك ، فهذا « الفيلسوف الورع » الذى وصفه العقاد ، وجدوا فى مخدعه بعد خلعه كتابا واحدا .. يعرفه ارباب « الغرز » والليالى الحمراء .. اسمه : رجوع الشيخ الى صباه !! ...

فهل حجب كل هذا الضباب عن الناس شيئا من حقيقة هذا الملك الضليل؟

كلا ... فان هذه الملايين المؤمنة الصابرة ، المريضة الجاهلة ، كانت تعرف الحقيقة .. وكل الحقيقة ! ...

وكان بينها احرار رفضوا السير فى موكب النفاق ... وتقدموا كجنود المقدمة يقتحمون الشقة الحرام ... يهزون هذا الملك على عرشه ،ويحصبون التاج الزائف على راسه ...

الصفقة الدامية

فى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وعند منتصف الليل .. اعلنت الحكومة المصرية ان الجيش سيدخل فلسطين لتاديب عصابات اليهود ، وحفظ عروبة القطر الشقيق .

واهتز الناس للنبا حماسة ... ومضوا يشجعون الجيش الذاهب بكل ما فى نفوسهم من حرارة ونخوة وآمال عراض ... واندفع الجنود الى الارض المقدسة يحملون ارواحهم قبل اسلحتهم ، لصد الغزو اليهودى ، وما وراءه من انجليز وامريكان واستعمار

رجل واحد كان ينظر الى خريطة القتال نظرة المقامر . ويبتسم ابتسامة اللاعب المستمتع بلعبته : هو فاروق . وكان فى المغامرة جانب مضمون له .. اذا لم يتحقق النصر العسكرى .. ذلك هو الربح المادى . فقد كانت حرب فلسطين فرصة فريدة لعقد صفقة هائلة .. اكبر صفقة فى تاريخ هذا التاجر غير الشريف . ولم يكلفه ثمنها اول الامر غير بضعة آلاف من الارواح .. رخيصة عليه ... ولكنها كلفته آخر الامر عرشه نفسه .

وانى لاقلب صفحات تاريخنا الحديث، فلاأجد فترة اختفت فيها المسئولية الوزارية ، وانطمست حدود الدستور ، واصبح فيها الملك حاكما مباشرا ... الى الحد الذى تحقق فى فترة حرب فلسطين ، على يد وزارة من الاقليات ، يراسها محمود فهمى النقراشى .

كانت الساعة حرجة جدا . ومصر فى حرب خارج حدودها لاول مرة منذ عهد الوالى سعيد . والشهداء يتساقطون كل يوم بالمئات ، والخزانة العامة تصب اموالها فى جيوب التجار ... ومع ذلك فقد رضيت الوزارة فى هذه الساعة الحرجة جدا ، ان تترك كل شىء للملك ... الملك الذى يعرفونه طائشا جاهلا نصابا !

وهذا هومعنى الوزارةالتى لاتستند الى ارادة الشعب .. فتلوذ بارادةالملك!

وكانت الوزارة اول الامر تعارض فى دخول حرب فلسطين . واعلن النقراشى فى جلسة سرية لمجلس النواب ان فلسطين لن يدخلها الا متطوعون . وكان هذا الراى يستند الى تقارير الضباط انفسهم ، والقادة الذين سيحملون المسئولية ، والذين قالت تقاريرهم ببساطة : ان الجيش غير مستعد .

ولكن اوامر فاروق صدرت بفتح فلسطين . ودعك من السذاجة السياسية التى انطوت على هذا التصرف .. وتامل المغامرة بكيان جيش غير مستعد .

والنقراشي [illegible] في مجلس النواب [illegible] بدافع [illegible] ويزعم [illegible] مستقل [illegible]

[illegible] وجد [illegible] مستقبل ، والقمة [illegible]

وكان [illegible] من قبل [illegible] . وكان فاروق [illegible] و[illegible] الاستيلاء على المجدل .. والزحف على [illegible] (الحربية) باصدار الاوامر [illegible] .... ويحتج القادة [illegible] [illegible] العواقب .. ولكنهم آخر الامر يتبعه !

ويكفى أن ننقل تلك الرسالة التي كتبها اللواء فؤاد صادق ، ردا على [illegible] اللواء المواوى . كتبه له حين سلمه قيادة الحملة في فلسطين .. فقال :

[illegible] انك تعني انك امرت بتمثيل رواية هزلية بالجيش المصري على [illegible] فلسطين [illegible] انت افرادها وجنودها ، بطلها الاول ، فقد اعطتني [illegible] واضحة لحالة القوات التي سانولى قيادتها لحين عودتك بعد [illegible] الاستجمام والتي ارجو ان تكون [illegible] !

وجهى حيدر ، القائد العام [illegible] ضابط الجيش ولكنه لم يعمل في الجيش قبل ان يصبح [illegible] الجديدة . اما تاريخه فكان في البوليس ثم في مصلحة [illegible] تقرب الى القصر بقسوته البالغة في [illegible] يعذبون المسجونين . وفي مصلحة [illegible] والساجين تحت تصرفه ، والرهن [illegible] !

[illegible] التصرف مرة واحدة ، حين حوصرت قوة من الجيش المصري [illegible] ان نرسم خطة لانقاذها . وحار الرجل [illegible] خجل من ان يستعين بمرؤوسيه ... فارسل الى [illegible] الانجليزي في عمان ، يطلب منه وضع خطة لانسحاب قوة [illegible] وكانت تقضي بان تدمر القوة اسلحتها [illegible] ضابط انجليزي . ووافق حيدر [illegible] ... الذي مزقها ، وطرد الضابط الانجليزي [illegible] انسحابا كريما ! ..

و[illegible] صفقات السلاح الفاسدة ويرسلونه الى فلسطين [illegible] العملية الجهنمية تدر مئات الالاف [illegible] حيدر [illegible] يعرف . والوزارة كلها تعرف . ولكنها [illegible] لان [illegible] هو الملك .

وكانت الوزارة قد فرضت الاحكام العرفية . وسلط ابراهيم [illegible] الهادى سوط الارهاب على الشعب .. ورأى الشعب شبابا تهدر كرامته وآدميته

قضية الاسلحة الفاسدة

الحرية هي اثمن ما يجب ان نحرص عليه .

دائما ، يجب ان نذكر هـذه الحقيقة . وامامنا هـذا الدرس المظلم : فان السنتين اللتين اطلقت فيهما الحريات (١٩٥٠ و ١٩٥١) ، هما اللتان اتاحتا للاحرار ان يتحركوا .. وان يعبئوا الراى العام بقصا لسارقيه . وسخطا على عاصبيه ... وفي هاتين السنتين اتجه الهجوم الرئيسي ـ لاول مرة ـ الى الملك راسا بوصفه المجرم الاول ، الذى تعيش في ظل جريمته الكبرى سائر الجرائم ... ولم تكن حركة الجيش الا نتيجة منطقية لكفاح الاحرار في هاتين السنتين الضئيلتين .

وكان لابد أن يتصدى بعض الاحرار لهذه المهمة الصعبة ...

وبدات المهمة في مكتب رئيس ديوان المحاسبة ، محمود محمد محمود . وشهد هـذا المكتب وسطاء يحاولون اقناع رئيس الديوان ان يحذف من تقريره فضائح حرب فلسطين ، لانها تمس الملك شخصيا . وشهد المكتب رئيس الديوان وهو يابى ، ثم يجمع اوراقه ، ويستقيل .

محمود محمد محمود

استقال محمود محمد محمود ولكنه سكت . وتشمم الناس رائحة الفضيحة ولكنهم لم يدركوا كل جوانبها . وكان لابد من لسان فصيح يتكلم عن رئيس الديوان الساكت ، ويضع النقط الاولى فوق الحروف ...

وتقدم مصطفى مرعي .. والخطر يحف به . والناس ينظرون اليه وكأنهم ينظرون الى مجنون تراهن ان يقبض على الجمر . ودارت حوله الوساطات ثم التهديدات . واقتربت ساعة الاستجواب ، ووقف مصطفى مرعي يتكلم في صمت مجلس الشيوخ ، فاذا به يقول ما لم تسمعه القاعة الوقور قط . ويشير باصبعه الى المجرمين الذين كانت العيون ترهب ان تشير اليها بالنظرات

ويقف سراج الدين ومصطفى نصرت يدافعان عن المتهمين الكبار . ويتلقيان الاوساخ في وجهيهما حتى لاتذهب الى المجرم الاكبر الذى يقف خلفهما ...

وخرج مصطفى مرعي من مجلس الشيوخ كما خرج محمود محمد محمود من ديوان المحاسبة .

وبدا ان القصة انتهت . وان دماء الشهداء لن تجد بعد اليوم من يتحدث عنها . ولكن الدموع النابضة بالدم كانت تصرخ انها ماتزال حية .. وكان لابد من ان يتقدم محارب ثالث يلتقط الكرة التي سقطت من يد محمود محمد محمود .. ومصطفى مرعي .. ويدخل بها الى الهدف .

وتقدم احسان عبد القدوس .

ولم يكن في تقدمه ولن لم يكن مثل محمود محمد محمود . ولم تكن تحميه مثل مصطفى مرعي حصانة الشيوخ ، والقوانين التي تحمي كلامه تحت قبة البرلمان ... وهو يزحف الى هذا الحصن الهائل ، المدجج بسرب القوانين ، المحتشد بجند المنافقين ، وليس في يده سلاح غير قلمه ... «الرمز الموصوف» ...

ويروي احسان عبد القدوس بداية اهتمامه بقضية الاسلحة الفاسدة فيقول :


مصطفى مرعي

« في يوليو سنة ١٩٤٩ زرت ايطاليا وسمعت هناك عدة احاديث عن صفقات الاسلحة التي عقدها مندوبو الجيش المصري ووكلاؤه ، وكانت هذه الاحاديث تشمل تفاصيل دقيقة وتشمل ارقاما وتواريخ ، وكان يهمس بها في اذني رجال اثق في معلوماتهم بحكم مناصبهم الرسمية ، ورغم ذلك فقد كانت مجرد احاديث ، قد تقال في صالون ولكنها لا تصلح للنشر لانه يعوزها المستندات والادلة .

وهالني بعد ذلك ان هذه الاحاديث لا تدور في اوساط محددة ، بل انها تدور في كل مكان وعلى لسان كل الناس . وكان يكفي أن تجلس في مقهى « الدنيا » في روما أو تطوف بميدان « الدوم » في ميلانو ، ويعرف عنك انك مصري ، حتى تسمع قصة ضخمة من صفقات الاسلحة والذخائر .

[illegible]

واعتقدت بذلك انى قد اديت واجبى .. وانتهيت !

وعدت الى مصر فى شهر اغسطس، فتبينت انى كنت مغرورا عندما اعتقدت أن برقية واحدة تكفى كى تحرك الحكومة المصرية بجلالة قدرها ، للتحقيق فى حادث ما ، حتى ولو كان هذا الحادث يمس سمعة مصر وكرامتها وهيبتها

فبدأت أكتب فى كل مكان استطيع ان اكتب فيه ، وكنت أكتب تلميحا لا تصريحا ، واحرص على ذكر « الجيوش العربية » بدلا من تحديد الجيش المصرى بالذات .. ولكن كان قلمى أضعف من ان يلفت نظر احد من المسئولين رغم كثرة خطابات التأييد التى كنت اتلقاها من غير المسئولين

ولم يهتم بى أحد ، ولم يصدر بلاغ بتكذيب ما لمحت اليه فى مقالاتى ، رغم ان بعض هذا التلميح كان أقرب الى التصريح ..

الى أن انتهى الأستاذ محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة السابق من وضع تقريره ، وأشار فيه الى بعض صفقات الاسلحة والذخائر ، اشارة صريحة مدعمة بالوثائق والمستندات .

ولكن تقرير الديوان لم ينته الى التحقيق مع المتهمين ، واخراجهم من مناصبهم - على اقل تقدير - بل انتهى بخروج رئيس الديوان واضع التقرير فقد طلب منه ان يحذف من تقريره ما جاء خاصا بصفقات الجيش فأبت عليه كرامته ، وفضل أن يستقيل .

وهنا تبينت ان الذين يقفون وراء هذه الصفقات أقوى مما كنت اعتقد ، واقوى من ان ينتصر عليهم قلم ، بل أقوى من الرأى العام

لم تضع استقالة رئيس ديوان المحاسبة هباء ، فقد حمل العبء عنه مصطفى مرعى بك ، وحمله فى قوة ، وفى جرأة لم يكن يقدم عليها انسان الا كمصطفى مرعى .

وانى لاذكر حديثا دار بينى وبين مصطفى مرعى قبل ان يقف وقفته فى مجلس الشيوخ بعدة اسابيع ، قال لى فيه «انى ليس لدى ما اخشى عليه، ولكنك لا تستطيع أن تتصور مدى ما يستطيع هؤلاء الناس أن يرتكبوه فى حق الناس ، ومدى ما يلزمنا من قوة النفس كى نتحمل ونقاوم ونتقدم »

ووقف بعدها فى مجلس الشيوخ يقلب صفحات تقرير ديوان المحاسبة ، ويطالب بحق مصر فى صيانة أموالها وكرامتها وسمعتها ، وأرواح جنودها وضباطها .

... [illegible] ؟....

[illegible] معه أحد .. لقد [illegible] الحكومة ممثلة فى فؤاد سراج الدين [illegible] فات [illegible] التى [illegible] ديوان المحاسبة فى تقريره رغم [illegible] لم [illegible] فى [illegible] .

[illegible] تقرير ديوان المحاسبة بخروج رئيس الديوان انتهى استجواب

مصطفى مرعى بخروجه من مجلس الشيوخ

وكان يمكن ان ينتهى الامر عند هذا الحد ..

فالسلطة التنفيذية لم تتحرك لاتخاذ اجراء حاسم لتحقيق صفقات الاسلحة والذخائر .

والسلطة التشريعية لم تجبر السلطة التنفيذية على اتخاذ هذا الاجراء

وبقيت سلطة واحدة ، هى كل ما بقى لمصر من أمل ...

السلطة القضائية .

ولكن كيف يثار موضوع هذه الصفقات أمام السلطة القضائية ؟

لم يكن هناك الا طريق واحد ، هو أن اقدم نفسى للقضاء متهما فى قضية نشر خاصة بهذا الموضوع !

وهممت بالكتابة

ولكن ماذا اكتب ، ولم يكن تحت يدى ـ حتى ذلك الحين ـ مستند واحد استطيع ان اعتمد عليه وان اقدمه للقضاء اثباتا لحسن نيتى ؟ .

ثم كان يجب ان أكتب عن صفقات غير التى اوردها ديوان المحاسبة فى تقريره ، وأثارها مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ ، حتى لا يرد على بان ما اكتبه سبق ان اثير واتخذ قرار بشأنه ، وبذلك أحرم من تقديمى للقضاء .

وكنت اعلم ان هناك صفقات لم تثر بعد ، ولكن لم يكن لدى دليل عليها

وبدات اعمل فى جمع الادلة والمستندات

وفضلت ان اعمل وحدى بعيدا عن اجواء السياسة ورجالها ، بل بعيدا عن كل صاحب نفوذ أو صاحب اسم معروف

وكان على أن أتأكد من أن كل كلمة اسجلها هى كلمة نظيفة ، وكل ورقة أضع يدى عليها هى ورقة موثوق بها .

وكان يعمل معى شبان فاضت بهم حماستهم ، وامتلأت صدورهم غيرة على جيشهم وتجردوا من كل مطمع الا أن يؤمنوا بمستقبل مصر ، ويطهروا حاضرها .

وكنا نجتمع بطريقة خاصة ، ويتصل احدنا بالاخر بطريقة خاصة : اشبه بما كنا نقرؤه ونحن صغار فى القصص البوليسية .

وكنا نبحث عن مستندات صفقة شراء ١٦ مدفع عن طريق شركة أورلبكن عند ما وقع فى يدى عقد شركة بين زوجة احد الضباط وتاجر اسلحة ...

اما كيف وقع هذا العقد فى يدى ؛ فهى قصة ، الفضل فيها للحظ وحده

فقد اتصل بى أحد اصدقائى الشبان ، وأبلغنى نبأ وجود مثل هذا العقد ، كما سلمنى ورقة كتبت عليها نصوص العقد بالقلم الرصاص ، وبخط انسان لا أعرفه . وبعد ما عرفته اقسمت ان لا ابوح باسمه .

وكان العقد مثيرا ...



المصري افندي : اوامر الشعب خلفا در .. الى الامام سر
عن روز اليوسف ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠

فان العادة لم تجر بان تتاجر زوجات الضباط بالسلاح ، بل لو تاجرت أى امراة بالسلاح لكان الخبر مثيرا ، حتى لو لم تكن زوجة أحد الضباط .

وزاد فى أهمية الخبر ان الضابط الزوج كان صديقا لابراهيم المسيرى بك رئيس لجنة الاحتياجات التى تتولى عقد صفقات الاسلحة ، وكان اركان حرب سلاح المهندسين ، فاذا كانت زوجته تتاجر بالاسلحة وهو يتولى هذه المناصب الدقيقة المتصلة بصفقات الجيش ، فلابد أن وراء هذا العقد شيئا .

ولكنى لم أهتم بالبحث عما وراء العقد ، بل حصرت همى كله فى الحصول على العقد نفسه ، لانه وحده دليل على ان المشرفين على عقد صفقات الجيش والمتصلين بهم ليسوا فوق مستوى الشبهات . ثم هو دليل يثبت حسن نيتى أمام المحاكم مهما قلت بعد ذلك ومهما وجهت من اتهامات !!

وقلت لصديقى الذى حمل الى خبر هذا العقد اننى لا أستطيع ان أنشر شيئا عنه ، الا اذا حصلت على العقد نفسه ، لان نشره هو توجيه تهمة خطيرة محددة يعاقب عليها القانون ، الا اذا استطعت اثباتها ، ودليل الاثبات لا يمكن ان يقوم الا بابراز العقد نفسه

وقال الصديق أن هناك أربعة فقط فى مصر كلها يعلمون خبر هذا العقد ، وهم طرفاه ، والشخص الذى نقل نصوصه بالقلم الرصاص ، وهو ... وقد اصبحوا خمسة بعد ان عرفت أنا به

اما طرفاه فليس من مصلحتهما نشر العقد واثارة ضجة حوله ، فكلاهما متهم به ، أما الشخص الاخر فقد يملك صورة من العقد ولكنه لا يريد ان يبرزها .

وذهبنا الى هذا الشخص الاخر ، وكنا خمسة من الشبان ، وكان تجمعنا بعضنا مع بعض يكفى ليخيف اى انسان ، ولكننا لم نحاول أن نخيف أحدا ، انما استطعنا ان نقنع الشخص المذكور ، بان من مصلحة القضية الوطنية ان يسلمنا صورة العقد .

وفى صباح اليوم التالى سلمها لنا ، وكانت صورة فوتوغرافية اضحة ..

وبقى سؤال :

كيف استطاع هذا الشخص ان يحصل على هذه الصورة قبل أن يسلمها لنا ؟ ... وهو سؤال حير النائب العام ، ولم يجد أمامه تعليلا الا بأن يعتقد انى قد حصلت على هذا العقد من تاجر السلاح الذى هو طرف فيه . وهو ما اعتقدته أيضا حرم الضابط ، واعلنته أمام النيابة ، فقد اعتقدت ان الخلاف الذى وقع بين زوجها وبين تاجر السلاح ، دعا هذا الاخر ، الى التشهير به عن طريقى ... .

وقيل أيضا انى اشتريت هذا العقد من تاجر السلاح بمبلغ مائتى جنيه وعند ما سئلت فى التحقيق عن المصدر الذى حصلت منه على هذا العقد ،

رفضت الاجابة ، محتجا بسر المهنة الذى يصونه لى القانون .

والحقيقة التى ابى ان يصدقها الجميع ، هى انى لم التق بتاجر الاسلحة الا بعد ان حصلت على هذا العقد فعلا ، وقد سعيت الى لقائه لاتاكد من صحة العقد وقد اكدها لى ، وقال ان هذا العقد كتب فى قهوة « بالميرا » بمصر الجديدة ، وقد كتب بخط الضابط نفسه لا بخط زوجته ، ثم حمله ـ اى الضابط ـ الى بيته ، وعاد موقعا عليه من زوجته

ولم اهتم بالعمليات التى ترتبت على هذا العقد ، بل اعتبرت العقد فى حد ذاته واقعة خطيرة ، ثم اهتممت بمظاهر الثراء التى تحيط بالضابط ، وكان قد بلغنى انه عضو فى نادى السيارات وانه يشترك هناك فى لعبة «الباكاراه». فاتصلت بحفنى محمود باعتباره عضوا فى النادى ، فاكد لى الواقعة ، ثم جمعت شهودا آخرين على أن هذا الضابط كان يشتغل فى مكتب ابراهيم خيرى وكيل وزارة الدفاع الاسبق ، واحد رجال الشركات الان ، ثم اشتغل فى مكتب احد موردى السلاح للجيش المصرى وشريك الاميرالاى حلمى حسين مدير الركائب الملكية ، وفى شركة دلتا موتورز »

وادرك احسان عبد القدوس انه قد وضع يده على اول الخيط ، واصبح يقف على ارض راسخة من الحقائق الرهيبة

وفى ٦ يونيو ، صدرت «روز اليوسف» تحمل اول مقالات احسان عبد القدوس التاريخية . يقول فى صدرها :

كان استجواب الاستاذ مصطفى مرعى بك عن اسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة السابق ، شهادة مجد وفخار لضباط وجنود الجيش المصرى .

فقد اثبت المستجوب ان هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جراة العدو وحنكته ، انما هزمتهم جراةموردى السلاح والذخيرة الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع الوطنى

واذكر اننى سالت المرحوم القائمقام احمد عبد العزيز قائد الكوماندوس فى حرب فلسطين عن اليوم الذى لاينساه من ايام القتال ، فاجابنى والدموع تملا عينيه : انى لا استطيع ان انسى يوم كان الباشجاويش يطلق مدفعه على مواقع العدو وقدوقف من حوله «طاقم» المدفع من الجنود .. فاذا باحدى القنابل تنفجر



احسان عبد القدوس

الى الوراء فتحطم المدفع ، وتقتل الباشجاويش وجميع رجاله ، فيخرون صرعى فوق حطام المدفع ، وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم ..

وقد سبق ان اشرت اكثر من مرة الى ان حديث صفقات الاسلحة التى عقدت فى ايطاليا لم يعد سرا ، وانه حديث تستطيع ان تسمعه فى كل شارع من شوارع روما ونابولى وميلان .

واشرت الى ان هناك مندوبا خاصا لايزال يقيم فى ايطاليا . واكتفى بان اقول ان اسمه « امين » . يستطيع ان يتحدث طويلا عن هذه الصفقات التى كان اليهود انفسهم يحاولون بيعها الى الجيش المصرى ليحاربهم بها !! واشرت الى ان هذا المندوب الخاص قاسى الامرين وهو يحاول ان يؤدى واجبه بصدق وامانة .. ولم يقاس ما قاساه من عملاء دولة اسرائيل ، بل من عملاء مصر الذين يشترون السلاح باسمها ، والذين كان كل منهم يتستر على الاخر،وكل منهم يدافع عن الاخر فى الاثم .

وسبق أن صرحت على صفحات هذه المجلة وعلى صفحات مجلات اخرى، مطالبا باجراء تحقيق سريع لننقذ سمعة مصر ، التى اصبح معروفا فى جميع انحاء العالم انها دولة مغفلة ، واصبحت اداتها الحكومية شعارا للرشوة وفساد الخلق والذمم .

وقلت انى لا استطيع ان اذكر اسماء لانه ليس لدى مستندات ، ولكنى اعرف أن احد ضباط الجيش اصبح يمتلك قصرا فى جزيرة كابرى - مصيف اصحاب الملايين - يدعو اليه كل عام شخصيات مصرية كبيرة للتمتع بالجمال والراحة والهدوء على حساب شهداء فلسطين الذين قتلهم الرصاص المغشوش ، وعلى حساب الشعب المصرى الكريم الذى ابتزت امواله باسم العروبة والسهامة .

ثم ناشدت معالى الوزير ان يدعو اليه هذا الضابط ويسأله: من اين لك هذا؟ وان يراجع حسابات جميع الضباط والمتعهدين فى البنوك المحلية والاجنبية لعله - على الاقل - يجد مجالا للشك .

الى ان تولى مصطفى مرعى شرح استجوابه ، فاخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستندات دامغة تثبت التلاعب الخطير الذى حدث فى شراء هذه الصفقات،وتثبت انها كانت تتم مع علم رجال وزارة الدفاع بما فيها من تلاعب ، ومع علمهم بانها اسلحة مغشوشة ، ومع علمهم ان هذه الاسلحة المغشوشة ستوضع فى يد جنود وضباط مصريين ليحاربوا بها ، فى حين انها لاتصلح لا للحرب ولا للدفاع عن النفس !!

ورغم ذلك فقد حاول معالى وزير الدفاع ان يدافع عن هذه الصفقات .. لم ينتظر معاليه حتى يجرى بنفسه تحقيقا دقيقا ..



اين العدالة : المصرى افندى : ياترى تمثال العدالة يبقى مين ف دول ! !
عن روز اليوسف ٢٩ مايو سنة ١٩٥١

ولم يسمح معاليه بان يترك فى نفسه حتى مجالا للشك وسوء الظن الذى يدل على حسن الفطنة !

بل اعد دفاعا، او اعد له دفاع، قام بلقيه فى مجلس الشيوخ ، وعندمارفض المجلس ان يستمع اليه ، لان الوثائق كانت اقوى من ان تحتمل دفاعا ، نشر معاليه هذا الدفاع فى الصحف .

وتولى معالى الاستاذ فؤاد سراج الدين الدفاع باسم الحكومة ، فبدا كلامه فى مجلس الشيوخ منشدا معجبا بسحربيانه قائلا « لم تر هذه القاعة استجوابا انتحل فيهالمتهم صفةالمدعى ، وصفق المطعون فيها للطاعن، وهش المضروب فيه لجلاده ، كما وقع فى هذا الاستجواب »

ويريد معاليه ان يقول ان الاتهامات التى وردت فى الاستجواب وقعت كلها فى عهد الحكومات السابقة لا فى عهد حكومة الوفد .

وهذا صحيح ، ان المتهم هى الحكومات السابقة ، والذى يوجه الاتهام كان وزيرا من وزراء هذه الحكومات ، فهو يعترف ولا يتهم .

اذن ، لماذا تحمس معالى سراج الدين كل هذا الحماس الذى كاد يفقده اعصابه فى الدفاع عن الاتهامات التى وردت فى تقرير رئيس الديوان ؟

هل كان يدافع عن السعديين والدستوريين ووزراء السعديين والدستوريين ومن عاونهم فى حكوماتهم ؟

وما هذا الحب المفقود الذى تحرك فجاة فى قلب سراج الدين ، ودفعه لان يدافع عن فضائح وقعت فى عهد حكومات غير وفدية !

ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات حتى يدمغ حكم الاقليات بفضيحة لا تمحى مدى الدهر ، وهو ما يدعوه اليه واجبه وتعصبه الحزبى ؟!

ان هناك سرا . . .

وهو سر ليس فى حاجة لان يفصح عنه فؤاد سراج الدين ، لانهسرمفضوح!!

وبعد فان الراى العام كله يؤمن بان هناك جريمة وطنية قد وقعت ، وكل جريمة لابد لها من فاعل . .

فاين الفاعل ؟

اين المجرم ؟

ان كل ضابط وجندى ــ واقولها صريحة ــ لم يعد يطمئن بعد ماسمعه فى قاعة مجلس الشيوخ الى سلاحه وذخيرته . . وعندما يفقد الجندى ثقته بسلاحه ، يفقد ثقته بنفسهويفقد روح القتال . . ويضيع مستقبل مصر!! ولن يستعيد الجندى المصرى ثقته بسلاحه وبنفسه الا اذا اطمأن الى ان الحكومة جادة فى تحقيق اتهامات ديوان المحاسبة ــ وهو الرقيب الاعلى فى الدولة ــ واطمان الى ان وزارة الدفاع قد طهرت وطهر المتعاملون منهـا من كل شائبة ومن كل شك . .

واتقوا الله فى مصر ، وفى جنود مصر وضباط مصر ... »

وفى المقال الثانى روى قصة دفن الاستجواب ، وتخاذل رجال المعارضة والحكم على السواء :

« اعدم الاستجواب فى غيبة ولى امره مصطفى مرعى ، وحرم على اهله وانصاره الاحتفال بتشييع جنازته ؛ واكتفى محمود محمد محمود بان يذرف دمعتين صامتتين ترحما عليه .. دون ان يرفع صوته بالنحيب ..

ولا يمكن ان تكون الحكومة وحدها هى المسئولة عن اعدام هذا الاستجواب، انما يشترك معها فى المسئولية ــ الى حد كبير ــ رجال المعارضة ..

فقد كانت المعارضة خلال المناقشة قوية الحجة دائما، وكانت سيدة الموقف، وكانت الاغلبية فى جانبها . كانت تستطيع ان تنقذ الاستجواب من احالته على لجنة الشئون الدستورية ، ولكن يظهر ان المعارضة وجدت نفسها قد تورطت اكثر من اللازم ، وان الحبال الطويلة التى مدتها تكاد تلتف حول عنقها ، وان الطريق قد اصبح شائكا ، وان الواقفين على الابواب قوم عتاه زرق الانياب ، لا يأخذ منهم مثل هذا الاستجواب بقدر ما يأخذ من المستجوب وانصار المستجوب مؤيديه ..

شعرت المعارضة بذلك ، فتلقفت اقتراح احالة الاستجواب على لجنة الشئون الدستورية كأنه حلقة النجاة !.. وسيحملها الى شاطيء الامان دون ان تنقذ الغريق .. مكتفية بأن تبلل ثيابها بالماء !! »

وهكذا مضت اخطر حملة صحفية عرفتها مصر فى تاريخها الحديث .. وتتابعت مقالات احسان عبد القدوس تروى قصة الخيانة بالمستندات ، وتشير الى اللصوص الكبار بأوضح ما تسمح به القوانين .. وكان احسان عبد القدوس يعلم جيدا انه يقرع بمقالاته باب السجن، وان هذا الباب سيفتح حتما .. ليستقبل اللصوص ، أو يستقبله هو نفسه !

وسرت المقالات بين الناس كالكهرباء ، وكان الناس يبيتون ليلة الاثنين من كل اسبوعين ينتظرون صدور « روزاليوسف » فى الصباح ويتسمعون دوى الانفجارات التى تنبعث من صفحاتها .

ولم يكن ممكنا ان تتجاهل الحكومة القضية هذه المرة .. وازاء هذا الاصرار . لم يكن ممكنا ان تزعم الحكومة انها لاتقرأ « روزاليوسف » وانها لم تعرف بهذه الجرائم الرهيبة ، والادلة الصارخة ، والاسماء الضخمة اللامعة .

وتحرك وزير الحربية فكتب خطابا الى النائب العام للتحقيق فى هذه المقالات .. « احقاقا للحق » .. وبدأ النائب العام ــ محمد عزمى ــ التحقيق وفى ذهنه ان هذه الحملة باطلة ، وان قضية الاسلحة الفاسدة ستنفجر هذه المرة فى وجه صاحب الحملة .. ولكنه لم يلبث ان وجد ان كل ما قالته روزاليوسف صحيح ..

ومرة ثانية ، يروي احسان عبد القدوس ، كيف بدا التحقيق :

« قدمت النيابة القضية بقرار اتهام يشمل وقائع اربعة :

١ ـ واقعة شراء ١٦ مدفع ١٠٥ م.م عن طريق شركة اورليكن

٢ ـ واقعة شراء حوالي ٢٥٠ الف قنبلة يدوية عن طريق شركة « كسترو سبوني ميكانيكا »

٣ ـ واقعة شراء المركب لوتشيا التي سميت الفردقة

٤ ـ واقعة تعاقد زوجة احد الضباط مع موردي السلاح ..

وهذه الوقائع الاربعة هي التي قدمتها « روزاليوسف » الى النيابة العامة لتحقق مع المسئولين ...

ورغم ان النيابة اثبتت صحة جميع الوقائع التي تقدمت بها ـ فاني اعترف واقر اني عندما وقفت امام النائب العام لاول مرة لم اكن اعتقد انه سيستمر في التحقيق الى نهايته او ان الظروف ستمكنه من ذلك، ومع انه كان يستمع الى اقوالي كشاهد فاني كنت اخشى ان يعتبرني متهما بين كل لحظة واخرى .



محمد عزمي

وكانت التهمة التي يمكن ان يوجهها الى تهمة خطيرة بالنسبة الى سمعة كاتب مثلي ومستقبله . وهي تهمة « التشهير بالجيش » ...

وكان لي عذري في هذا الشك الذي يداخلني وانا اقف امام النائب العام ، فان هذه الجرائم التي اعرضها عليه سبق ان اكتشف مثلها ديوان المحاسبة ولم يستطع ان ينال المسئولين عنها ، وسبق ان سمعت الحكومة بها فلم تتحرك لتحقيقها ، وسبق ان اثير مثلها في مجلس الشيوخ فلم يستطع حيالها شيئا . والنيابة العامة التي اقف امامها هي جزء من السلطة التنفيذية ـ كما قررت محكمة النقض ـ وهي تخضع احيانا للتيارات السياسية والحكومية .. وجميع هذه التيارات تقف ضدي . وتهددني في حريتي ومستقبلي ، فمن يضمن لي السلامة ؟!

كان هذا هو شعوري في اليوم الاول الذي ادليت فيه بشهادتي ، ولذلك كنت حريصا كل الحرص على اختيار كل لفظ انطق به ، وعلى الا اوجه اتهاما الا وتحت يدي مستند قاطع بصحته ، بل حرصت وانا اسلم هذه المستندات



المصري افندي للعدالة : انت بتجري ورا حد ، ولا حد بيجري وراكي !!
عن روز اليوسف ٥ ديسمبر سنة ١٩٥١

الى النائب العام ان اوقع عليها بامضائى وان اطلب منه ان يوقع عليها بامضائه زيادة فى الحرص .

وقد اثار هذا الحرص النائب العام و « شخطـ » فى مرة صائحا :

ــ انت عامل جرىء ، وعامل نفسك وطنى متطرف ، وبتتحدى ناس كبار، ما تورينا جراتك دى !

واجبت فى هدوء : انى جرىء فى حدود القانون !

ثم قلت له فى صراحة : من يضمن لى الا تجعل منى متهما وتقبض على ؟

فاجاب : لا احد . . وساقبض عليك بمجرد ان ارى ذلك ! . .

وكنت فى احوال كثيرة ارفض ان اجيب على بعض الاسئلة ، الا بعد استشارة اصدقائى المحامين الذين يشاركوننى سوء الظن ، وكانوا عندما اعود اليهم ينصحوننى الا اجيب الا فى حدود ما بين يدى من مستندات . وهذا الحرص الذى ابديته جعل النائب العام يعاملنى معاملة خشنة ، فلم يسمح لى بشرب القهوة طول مدة الادلاء بشهادتى التى استمرت ثلاثة ايام، وكان يسمح لي بالتدخين بعد رجاء والحاح ، وبعد ان اهدد بالتوقف عن الادلاء باقوالى . .

وفى اليوم الاول كنت متعبا . فقد غادرت القاهرة فى قطار الصباح . ولم اكن قد نمت فى الليلة السابقة لكثرة تفكيرى فى هذا التحقيق . ثم انى بدات ادلى باقوالى من الساعة العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء دون ان استريح ، ودون ان اشرب قهوة ودون ان اغفو او اريح راسى من التنبه اليقظ لكل سؤال وجواب ، وبدات احس بدوار ، فطلبت من النائب العام ان يريحنى وأن يؤجل التحقيق لليوم التالى ، ولكنه رفض وقال بحدة :

ــ ان اتركك تغادر هذا المكتب حتى تتم اقوالك ولو اقتضى الامر ان تبيت هنا ، وما ادرانى ؟ ربما قتلت بعد ان تخرج من هنا فكيف اتم التحقيق ؟

قلت ، وعلى فمى ابتسامة متعبة : التحقيق فى مقتلى ، او فى صفقات الجيش ؟

ــ ان مقتلك يحققه اى وكيل نيابة ، اما انا فيهمنى تحقيق هذه الادعاءات

وكان اطول نقاش دار بينى وبين النائب العام هذا النقاش الخاص بالنبيل عباس حليم وكيل شركة اورليكن فى مصر التى تولت توريد ١٦ مدفعا من اسبانيا بمبلغ قدره خمسة ملايين من الدولارات تقريبا .

وكنت قد تتبعت هذه الصفقة من اولها الى آخرها ، اى منذ ان تقدمت الشركة بعطائها الى ان وصلت بعض هذه المدافع الى مصر . وحصلت على اسماء جميع المتصلين بها ، واسماء جميع الضباط الذين علموا شيئا عنها واسماء اعضاء اللجان التى اختبرتها ، بل حصلت على تاريخ حياة كل مدفع والمكان الذى وضع فيه ، والمرات التى طلب فيها تجربته ، ورفض المختصون اجراء هذه التجربة خوفا على حياتهم منه .

وقدمت كل هذه المعلومات الى النائب العام ، وقدمت معها الصورة الاصلية للعقد الذى اشتريت به هــذه المدافع والمذكرة التى اشتريت على اساسها والمذكرة التى قدمتها شركة «بوفرز» وكان المسئولون فى الوزارة قد اخفوها حتى لاتقع فى ايدى المحققين .



عبــاس حليم

وقد لايعلم النائب العام انهذه الاوراق ـ رغم علمى بمحتوياتهــا ـ لم تصلنى الا فى صباح اليــوم الذى سافرت فيــه من القاهرة الى الاسكندرية لادلى بشهادتى ، كما لم يلاحظ الاستاذ عبدالغنى ابوسمره المحامى الذى تفضل وسافر معى ليقف بجانبى ان هنــاك شخصا طويل القــامة احتك بى فى محطــة مصر ودس فى يدى مجموعة من الاوراق .. كانت هى هذه الاوراق ..

وقد وضعت هذه الاوراق فى حقيبتى ولم اخرجها الا فى مكتب النائب العام ، وقد فوجئت ساعتها بوجود توقيع توفيق احمد وكيل وزارة الحربية على العقد !

وسألنى النائب العام (وانا اكتب من الذاكرة) :

ـ ماهى معلوماتك عن النبيل عباس حليم فى هذه الصفقة ؟

ـ انه وكيل شركة اورليكن فى مصر

ـ وما هو الدور الذى قام به فى توريد هذه الصفقة ؟

ـ لا ادرى .

ـ ماهى مسئوليته ؟

ـ ان النبيل نفسه يستطيع ان يحدد مسئوليته !

ـ لقد ذكرت فى مقــالاتك اسم النبيل عباس حليم تحت عنوان « النبيــل الشريف » فماذا تقصد بهذا العنوان ؟

ـ ان عباس حليم يحمل لقب نبيل لانه احد افراد العائلة المالكة ، وقــد سبق للوفد المصرى أن اطلق عليه لقب « شريف » عندما حرم من لقب نبيل فى عهد الملك فؤاد

ـ ولكن العــادة لم تجر بالجمع بين لقبى النبيــل والشريف فماذا تقصد بالجمع بينهما !

ـ اقصد المعنى الظاهر منهما !

ـ يفهم من هذا العنوان انك تتهم النبيل عباس حليم فى نزاهته ؟.

واستمرت المناقشة على هذا المنوال ، وكان النائب العام يحتد خلالها ، ويحرص على ان يلقبني بلقب «الافندى» !

وانتهى الامر بيني وبين النائب العام ، على أن ادلى بما لدى من معلومات تنقصها المستندات ، ثم يتولى سعادته تحقيقها ، حتى اذا تأكد من صحتها ذكرتها على لسانى فى التحقيق .

وقلت له وقائع كثيرة ، وكان يتولى التحرى عنها فى التو واللحظة . وبدات اثق به واطمئن اليه .

وكان اول ماكتبته فى الصحف بعد ان انتهيت من الادلاء بشهادتى هو نداء الى الجمهور بان يرسل مالديه من معلومات عن صفقات الجيش الى النائب العام ، ولو فى بلاغ من مجهول .

ومضت اسابيع ..

وكنت فى زيارة صديق يقيم فى احد الفنادق الكبرى ، عندما التقيت فى البهو الخارجى بسيدة مصرية معروفة ، حادثتنى مليا عن قضية الجيش ، ثم قدمتنى الى رجل انجليزى من رجال الاعمال ، قالت لى عنه ان لديه معلومات هامة عن احدى صفقات سلاح البحرية .

وقال الرجل الانجليزى انه لايريد ان يتدخل فى هذه القضية او يذكر اسمه فيها ، ولكنه سمع عنى ، وسمع عن مدى اهتمامى بامر هذه الصفقات ، ثم ان مصر قد اكرمته كثيرا ، واقل مايستطيع ان يرد به كرمها هو ان يدلى بما لديه من معلومات خطيرة عن صفقة تمت على حساب مصالح الجيش ومصالح مصر .

والتقينا فى اليوم التالى على مائدة شاى فى مكان بعيد ، وكانت معنا السيدة المصرية المعروفة .

وبدا يحدثنى عن صفقة شراء ناقلة الزيت «لوتشيا» التى اشتراها السلاح البحرى الملكى واطلق عليها اسم الفردقة .

وقال ان هذه المركب عرضها احد التجار واسمه « الكابتن حسن عزو » على السلاح البحرى بمبلغ ٢٢ الف جنيه تقريبا . ورفض السلاح البحرى شراءها بحجة انه ليس فى حاجة اليها . وبعد ثلاثة اشهر اشترى السلاح البحرى هذه المركب بالذات بمبلغ ٣٦ الف جنيه تقريبا . هذا فى حين ان الثمن الاصلى لايزيد على ١٦ الف جنيه !!

وسلمنى الرجل الانجليزى المستندات الخاصة بالمكاتبات بين التاجر حسن عزو والسلاح البحرى الملكى ، وكانت مستندات لاتقبل الشك .

واستغرقت هذه التحريات اربعة اسابيع ، توجهت بعدها الى النيابة

العامة وسلمت هذه الاوراق الى الاستاذ مختار قطب الذى يتولى التحقيق في صفقات البحرية ، وعندما اطلع عليها فى مكتب النائب العام شد على يدى مهنئا ، فقد كان يبحث بنفسه عن اسرار هذه الصفقة !

وثبتت الواقعة . واتهم بها أمير البحار وياور الملك احمد بدر ! »

وسار محمد عزمى فى التحقيق ، وكل جريمة تسوقه الى جريمة حتى وجدنفسه وجها لوجه .. امام الملك . وبدات المناورات المعروفة لاحراجه واخراجه ، ولطى التحقيق وتحويله عن المجرمين الحقيقيين : وكانت «روز اليوسف» تقف على باب غرفة التحقيق كالديدبان . تنبه الى المخاطر . وتنذر بفضح المناورات ، وتزعزع حصانات المسئولين ! ..

وكانت اروع مساعداتها للتحقيق – غير تقديم المتهمين وجمع الادلة والمستندات – حين راى النائب العام ضرورة عزل محمد حيدر من منصب القائد العام . ورفض الملك . وتخاذلت الوزارة .. فبدا احسان عبدالقدوس حملته على محمد حيدر فى سلسلة من المقالات النارية .. وكان كل مقال يصدع ركنا من اركان القائد العام ، ويكشف عن عورة ، وينسف وهما .. وكان احسان يدعو حيدر فى نهاية كل مقال الى ان لايبقى سبعة ايام اخرى حتى لايقرا المقال التالى ...

ومع المقال الرابع ، خرج حيدر !

وقدم بعض المتهمين الى المحاكمة ، التى مازالت منظورة . واضطرالنائب العام الى حفظ التحقيق بالنسبة للمتهمين اللاصقين بفاروق ، والذين كانت جرائمهم لحساب فاروق .. مثل بوللى وجهلان وحلمى حسين ... وعاد الملك يمحو آثار الجريمة ، فاعاد حيدر .. واعاد عثمان المهدى .. ولكنه لم يكن يمحو شيئا ، بل كان يضع الرماد فوق النار .

وظلت النار تشتعل ، والجريمة تتوهج خلف الرماد .. حتى يوم ٢٦يوليو ١٩٥٢ ، اذ قبض الجيش على المتهمين ... وبدأ التحقيق من جديد .

وهكذا كانت قضية الاسلحة الفاسدة اول ضربة قاصمة توجه الى الملك ، وتزعزع عرشه .

معركة الصحافة

لم تقف آثار قضية الاسلحة الفاسدة عند باب المحكمة ، بوضع المذنبين فى قفص الاتهام . بل كانت لها آثار بعيدة فى نفسية الناس ، واتجاه الرأى العام ، وفى تحطيم هيبة الملك ذاته .

كانت القضية بمثابة ازاحة الستار ونزع القناع عن وجه الملك السابق فبدا خلفه وجه لص . وظهر هذا الملك الذى زيفت صورته الدعايات الكاذبة والاقلام المأجورة والالسنة المنافقة .. ظهر هو ومن حوله من ذوى الاسماء الضخمة فى حقارتهم الحقيقية ، كالهاربين من وجه العدالة

واستفاد الشعب من الحرية التى توفرت له سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ الى حد بعيد .. فرأينا صحفا متحررة تظهر فى الميدان وتكسب القراء الكثيرين .. ظهرت « اللواء الجديد » و « الكاتب » و « الملايين » و « الجمهور المصرى » و « الدعوة » و « الاشتراكية » ... ووقفت هذه الكوكبة من الصحف الحرة الى جانب « روز اليوسف » فى قضية الاسلحة ، تدافع عن تمثال العدالة المعصوبة العينين ، فى يسارها ميزان وفى يمينها سيف ! .. فلما انتصر الملك انتصاره الوقتى، واستطاع ان يصل الى « العدالة » فيفك العصابة عن عينيها ويعبث بميزانها ، ويوجه السيف فى يمينها الى صدور الشهداء بدلا من المجرمين .. لم تيأس هذه الصحف من المعركة ، ومضت تشن حملاتها على الملك رأسا .

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له أو لحاشيته او حتى لطرف حذائه بأهون السوء . وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرون واقوياء ، الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون !

ولكن الاحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين النار ، يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش .. وهطلت عليهم الاتهامات كالمطر : فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الامن ، الى آخر تلك الاوصاف التى تدرجهم تحت اسم « المجرمين السياسيين ! » ولم يغن ذلك كله عن الملك السابق شيئا .. فقد تصدعت اركان هيبته ، ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من اقلام الاحرار الذين حققوا أول النصر .. اذ نشروا ذلك الاقتناع العام ، العميق ، بأن الملك عقبة حقيقية فى طريق هذا البلد

ولجأت الصحف الى حيل كثيرة تتفادى بها الارض المليئة بألغام القوانين . واصبح لها مع الزمن « قاموس » جديد يفهمه القراء ويعرفونه بغير عناء فكلمة « غير المسئولين » معناها رجال الحاشية

و « قال كبير » : معناها قال الملك .

وكانت هذه التعبيرات تحمي الصحف من العقاب في ظروف كثيرة . فقد حدث مثلا في وزارة الهلالي ـ وكانت الرقابة مفروضة ـ ان نشرت « روز اليوسف » خبرا يقول ان كبيرا يحاول ان يضع يده على وقف مساحته ٢٠ الف فدان . وكان الكبير هو الملك . واهتز القصر واضطرب، واتصل الدكتور يحيى الخشاب بالمجلة يسأل من هو الكبير المقصود ، فقالت المجلة : انه كامل القاويش بصفته محافظا للعاصمة ! ..

وشاعت هذه التعبيرات بين الصحف جميعا . وكان الملك يثور ويغضب بسببها ومن حوله لايدرون ما يصنعون . واصدر امره مرة الى فؤاد سراج الدين ان يصدر قانونا يمنع نشر اي خبر الا بذكر الاسماء صراحة ... فلا تقول الصحف : قال كبير وذهب احد غير المسئولين ... الى آخره ! ... وكان هدف القانون ارغام الصحف اما على ذكر اسمه فتقع تحت طائلةالعقاب واما الى السكوت عنه . ولكن هذا القانون الذى لا مثيل له بين قوانين العالم ، لم يصدر .

وكان لكل جريدة حرة اسلوبها في مهاجمة الملك السابق غير هذه الرموز ..

ففي « روز اليوسف » مثلا كتب احسان عبد القدوس مقالا خطيرا بعنوان « دولة الاغوات » .. وسلسلة مقالات أخرى بعنوان « من المسئول عن حكم مصر ؟ » هاجم فيها بعنف عنيف تدخل الجهات التى جعلها الدستور غير مسئولة ،والوزارة التى تترك المسئولية لغير المسئولين ... ومع المقال الثالث من السلسلة ، دخل احسان الى السجن ، وابقته النيابة العامة في ذمتها اربعة عشر يوما !

وابتكرت « روز اليوسف » شخصية « غول » ضخم الجثة ، بشع الهيئة، كريه المنظر اسمه الفساد .. كناية عن الملك .. واخذت ترسمه في صور كاريكاتيرية لم يخف مغزاها على احد .. ولم تكن نيابة الصحافة طبعا تجرو على ان تقول ان هذا الغول .. هذا الفساد .. هو الملك !

وابتكرت ايضا رسم « حذاء ضخم » يشير الى الملك ، مضت تستعمله في التعبير عن معان خطيرة ساخرة تندد باستبداد الملك وتزلف الزعماء .

وفي « اللواء الجديد » كنت تجد فتحي رضوان يتعقب تصرفات الملك وحاشيته بالنقد الشديد . واقترب مرة من باب السجن بسبب مقال بعنوان « احاديث الملوك » علق فيه على حديث ادلى به الملك في الخارج عن لعب القمار ومصطفى مرعي يكتب سلسلة مقالات «ملكية» واحدة بعنوان «فخر البحار» يندد فيها بالملك لانه باع هذا اليخت للحكومة وقبض ثمنه ثم ابقاه في حيازته لاستعماله الخاص . واخرى بعنوان « ولاء العبيد وولاء الاحرار » يهاجم فيها الملك لانه يريد من الناس ان يقبلوا يده وينحنوا امامه .. ولما استدعى

رئيس نيابة الصحافة مصطفى مرعى للتحقيق معه .. اكتشف انه قد كتب مقاله على قياس قانون العقوبات ، وانه قال فى الملك ما يشاء .. دون ان يخرج عن حدود القانون ! ...

وكانت طريقة « اللواء » فى النيل من الملك ان تنشر قصصا تاريخية عن الملكية المنهارة ايام الثورة الفرنسية بعناوين مثيرة مثل « الملك فى طريقه الى المقصلة » و « من القصر الى السجن » و « ايامه الاخيرة ! » ..

وكانت هذه المقالات تقلق ادارة الامن العام والنيابة دون ان تجد فيها منفذا للمسئولية . وفى مرة ، امر النائب العام بالتحقيق مع كاتب هذه السطور بتهمة « تحسين جريمة القتل » لانه كتب واحدة من هذه المقالات بعنوان « لا تقتلوا !! » وكان المقال يروى قصة اغتيال الشباب الروسى المثقف للقيصر اسكندر الثانى .. ويثبت ان قتل القيصر الطاغية لايؤدى الاالى جلوس طاغية آخر على العرش .. وان الاجدى هو تغيير النظام !

وفى « الاشتراكية » شن احمد حسين حملاته الرئيسية على تفاتيش الملك وسوء معاملته للفلاحين ، وسفه الدولة فى الانفاق على تماثيل الاسرة المالكة وقصورها . وانتهت به هذه المقالات الى السجن سنة ونصف بتهمة العيب فى الذات الملكية .

وتخصصت « الجمهور المصرى » فى مهاجمة البوليس السياسى كأداة من ادوات الرجعية والاستعمار وجرائم تعذيب المتهمين وتلفيق القضايا ...

وكان مكرم عبيد يلجأ الى براعته فى التلاعب بالالفاظ ليشير الى الفساد فنشرت له « روز اليوسف » اكثر من « حكمة » ... ولما حدثت قصة وصول ادمون جهلان من اوروبا ، وفتحه الخزانة التى ختمتها النيابة وسحبه لبعض مستندات قضية الاسلحة الفاسدة واحتمائه بالسراى ، ثم عودته الى اوروبا دون ان يقبض عليه .. نشر مكرم عبيد مقالا بعنوان « هل وزير الحربية جاهل .. ام جهلان ؟ ! »

وكان منطقيا أن لاتقتصر هذه الصحف حملاتها على شخص الملك وافراد حاشيته ، فامتد هجومها الى النظام الاجتماعى الظالم ، والحالة الاقتصادية التعسة ، والموقف الوطنى المائع ... واخذ الناس يكتشفون كل يوم ان هذه الاوضاع كلها مرتبطة بوجود الملك ، كما ان وجود الملك مرتبط باستمرارها

وذعر الملك ازاء هذا المد الثورى الذى وصل الى اسوار قصره ، وكاد ان يقتلعه ... وكان هذا الذى لم يتعود الا كلمات الاطراء يرتعد كلما وجدمقالا يكشف عن فسقه ، وخزيه ، ويجلل حكمه بعار جديد .. واخذ يصب جام غضبه على من حوله من مسئولين وغير مسئولين .. ويبعث الصواعق والبروق على راس الوزارة لانها لاتصادر هذه الصحف ولاتخرس السنتها باى طريقة .

وبلغ من فزع الملك ازاء هذه الحملات انه كان يستجدى كلمة مدح من

هذه الصحف . حتى لقد شهد الوزير الوفدى عبد الفتاح حسن امام المحكمة العسكرية ان احمد حسين قبض الف جنيه من المصاريف السرية لكي يكتب مقالا يشيد فيه بالملك ... ويرسل نسخة من مجلته الى القصر !!

وبدا الملك يضغط على الوزارة لمصادرة هذه الصحف . وبدأت الوزارة تصادر الصحف فعلا ... واذا بمجلس الدولة يفرج عنها ، بأحكام مدوية ..

واصبح الملك امام احد طريقين لكي يوقف هذه الحملات : اما ان يلغى مجلس الدولة هذا فتختفى رقابة القانون على مصادرة الصحف . واما ان يسن تشريعات جديدة تقيد من حريات الصحف .. وقد جرب الطريقين . عبثا !

بدا الملك يضغط على الحكومة لكي تنال من مجلس الدولة بنحو ما . واتخذ هذا التحرش بمجلس الدولة صورا كثيرة ... كتصريح يدلى به وزير . او استبعاد حركات ترقية موظفى مجلس الدولة . او رفض مساواتهم بزملائهم في القضاء العادي . ولكن هذه الطرق «الصغيرة» لم تنجح في حمل المجلس على العدول عن آرائه ، التي سجلها في أحكامه .. وبدا الملك يضيق ذرعا بالوزارة : وبدا مستشاروه يترددون على الوزراء

عبد الرزاق السنهورى

ويحذرونهم من هذا الموقف « المائع » من مجلس الدولة .. وينذرون الوزارة بأنها لكي تبقى يجب أن تتخذ اجراء حاسما ...

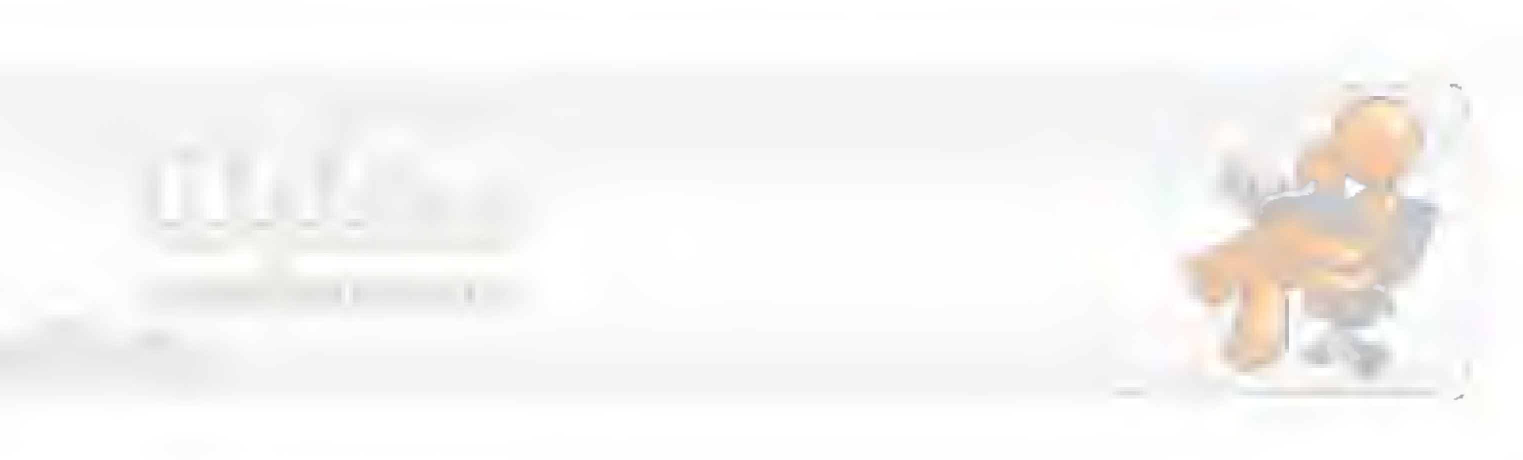
وتقدمت الوزارة على اقتراح بعض التعديلات في قانون المجلس ... فثار الرأى العام ثورة رهيبة .. ووقفت الصحف والهيئات امام المجلس تدافع عنه باصرار عجيب ، كان مظهرا رائعا من مظاهر اطلاق الحريات بما تؤدي اليه من تنبيه الوعي وتقوية الضغط الشعبي ..

وجاء سبتمبر ١٩٥١ ، وكان الملك في كابري . وانعقد مجلس الوزراء في الاسكندرية .. ودخل مصطفى النحاس قاعة الاجتماع يلهث ، في قلق ظاهر والقى على الوزراء نبأ خطيرا : ان الياس اندراوس [illegible] الذى يحمل امرا صريحا من الملك بأن تصدر الوزارة مرسوما بالغاء مجلس الدولة .. عقابا له على ما اصدر من احكام .

وبهت الوزراء . وادركوا انهم امام أزمة خطيرة هذه المرة . وتكلم حامد زكى فقال: انه مستعد ان يعد مشروعا بالمرسوم المطلوب مع مذكرته التفسيرية حالا

بعد تلميع الحذاء

النحاس باشا : انا شايف صحتي كويسة اليومين دول !!
عن روز اليوسف ٢٨ اغسطس سنة ١٩٥١



وقبل ان ينفض اجتماع المجلس . وبذلك تحقق الوزارة الرغبة السامية وتثبت ولاءها التام للملك !

وقال عبد الفتاح الطويل ان المسألة ليست بهذه السهولة ، وان علاجها يحتاج الى بطء وهدوء أعصاب

واقترح محمد صلاح الدين ان تشكل لجنة فرعية من بعض الوزراء لدراسة الموضوع . وقرر المجلس تشكيل لجنة من عبد الفتاح الطويل ومحمد الوكيل وحامد زكي وعبد الفتاح حسن ومحمد صلاح الدين . وقال النحاس لاعضاء اللجنة والاجتماع ينفض : لازم تخلصونا من الحكاية دى الجمعة دى

واجتمعت اللجنة ثلاث مرات . وانتهى رأيها الى رفض الامر الملكى بالاجماع ما عدا واحدا : هو حامد زكي !

وعاد مجلس الوزراء الى الاجتماع فى الاسبوع التالى . وبدأت الجلسة بكلمة طويلة القاها صلاح الدين موضحا بها رأى اللجنة والاسباب التى استندت اليها فى رفضها الامر الملكى

وقال حامد زكي : الامر الآن من اختصاص مجلس الوزراء لا من اختصاص اللجنة وحدها . ويجب ان نناقشه من جديد

ودارت مناقشة عنيفة ، لم ينطق خلالها النحاس بكلمة واحدة . وبدا اغلب الوزراء يميلون الى قبول الامر الملكى ، فى حين بقى عبد الفتاح الطويل وصلاح الدين وعبد الفتاح حسن وابراهيم فرج صامدين فى جبهة قوية ترفض المشروع . ولما رأى صلاح الدين ان التيار يتجه ضدهم اسرع فاقترح تأجيل المناقشة مرة أخرى لان لديه معلومات هامة يريد ان يدلى بها . واعترض حامد زكي على التأجيل . وصاح فى صلاح الدين قائلا : انت تعطل اعمال مجلس الوزراء .

وايد سراج الدين اقتراح التأجيل ، فانفض المجلس

وقبل ان ينعقد المجلس مرة ثالثة ، عرف الوزراء ان رسولا جاء من كابرى يحمل مرسوما مكتوبا وموقعا من الملك وان على الوزراء ان يوقعوه ليصبح امرا واقعا . . . واسرع صلاح الدين فكتب الى النحاس خطاب استقالة قال فيه انه يستقيل من وزارة الشعب قبل ان تصدر مرسوما ضد الشعب . وثار النحاس ثورة هائلة ، واعتبر الاستقالة المسببة خيانة عظمى من صلاح الدين . . . وهدأ ابراهيم فرج وعبد الفتاح حسن من روعه ، ووعداه باحضار صلاح الدين فى اجتماع مجلس الوزراء القادم

ودخل النحاس قاعة الاجتماع وهو ما زال فى ثورته . وجلس على مقعده وهو يقول فى صوت عنيف متهدج ، موجها الكلام لصلاح الدين :

ـ كده يا صلاح . انت عايز تقتلنى . انت عايز تعمل بطل على حسابى .

اعدلوني عالقبلة !! (بضم القاف)
عن روز اليوسف ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥١



وكان يدق المائدة بعنف وهو يتدفق بالكلام ،وجرح أصبعه فى هذه الحركة فاسرعوا اليه بصبغة اليود . وظل صلاح الدين ــ الذي يعرف خلق النحاس ــ ساكتا طول هذه المدة حتى هدأت العاصفة ، وافرغ الرئيس كل ما فى جوفه . ثم بدأ يتكلم فى صوت مؤثر عن اخلاصه للنحاس ويعدد اياديه عليه منذ كان سكرتيرا له حتى أصبح وزيرا . ثم اخذ يبرر تصرفه ، قائلا ان رجال النحاس المخلصين كلهم يؤيدونه، وقال له : ياباشا انا عاوز احميك. مش اقتلك . . .

ولما انتهى صلاح الدين من القاء كلماته الاخيرة الخافتة فى صمت المجلس المخيم . فوجيء الوزراء بالنحاس تنهمر الدموع من عينيه ، وهو يبكى بكاء حقيقيا . . . وادركوا العواصف والبروق التى تخطف فى باطن هذا الرجل ، والعوامل التى تتجاذبه ، ووقفته الدقيقة بين ماض جليل طويل ومستقبل يحاول أن يكون مضمونا ، وادراكه للوهن الذى نزل عليه . . . فاسرعوا اليه كالاطفال اذ يجدون أباهم تهزمه ازمة فيبكى . وأبعدهم النحاس وهو يقول: ــ خلاص . . خلاص . . خذ استقالتك ياصلاح . . وآدى المرسوم فى الدرج موش حامضيه !

تشريعات الصحافة

تقول الكلمة المأثورة : كلما زاد الفساد فى بلد . . زادت القوانين !!

وان نظرة واحدة الى هذا الفساد المتزايد ، تبرز لنا ذلك الركام الهائل من القوانين التى فرضت بأمر الملك أو أريد لها أن تفرض : قانون المشبوهين ، قانون الجمعيات ، قانون انباء القصر ، قانون انباء الجيش، قوانين الصحافة. كلها قوانين رهيبة خانقة . لم يجد الانجليز انفسهم حين كانوا يسيطرون على مصر حاجة الى فرضها ، اكتفاء بالقوانين الرجعية الموجودة فعلا

وكان لا ينقضى شهر حتى يطلع فؤاد سراج الدين على الناس بمشروع قانون مقيد للحرية يريد فرضه . . كان يتقدم به والملك من خلفه . ثم لا يلبث ان يتراجع امام ضغط الاحرار والرأى العام

وكانت اخطر هذه المحاولات جميعا ، محاولة فرض قوانين الصحافة فى أواخر سنة ١٩٥١

وقد بدأت قصتها فى مادبة اقامها الملك ودعا اليها الوزراء بمناسبة سفره الى اوروبا . وبعد انتهاء المادبة ، نظر الملك الى النحاس وسراج الدين وقال لهما انه يريد أن يعود من اوروبا فيجد الكلاب النابحة كلها قد أخرست . . يريد بذلك الصحف التى تهاجمه وتفضح فساده

وسكت الوزراء ولم يعقبوا . .

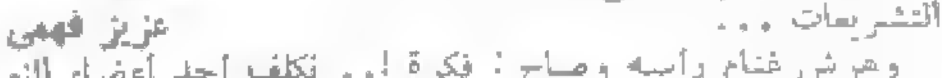
وبعد سفره بقليل ، استدعت الظروف الوزارية تعيين عبد الفتاح حسن وزيرا للدولة ــ وكان ما يزال وكيلا برلمانيا ــ وكان لابد له من أن يحلف اليمين



امام الملك لكي يباشر سلطته .. فطار الي كابري ليحلف اليمين هناك أمام الملك

وكانت حملة الصحف الحرة قد اشتدت على الملك . وقد وجدت في مباذله اثناء رحلته وقودا جديدا لحملاتها الجريئة . وبعد أن حلف عبد الفتاح حسن اليمين ، كرر الملك الحديث عن الصحف . واشار بلهجة ذات مغزى الى تساهل الحكومة في القضاء عليها . ثم طلب من عبد الفتاح حسن ـ بما يشبه الانذار ـ ان يكرس جهده وجهد الوزارة بمجرد عودته للقضاء على هذه الصحف بصورة سريعة

وعاد عبد الفتاح حسن حاملا هذا الانذار .. واجتمعت الوزارة تبحث هذا المازق الدقيق وهي بين اكثر من نار : نار الملك الذى لا يريد ان تحد سلطته بشيء ونار الانجليز الذين توشك الوزارة ان تجابههم .ونار المصالح التى لا تريد للوزراء ان يذهبوا . واخيرا نار هذه الصحف الحرة ذاتها ، والرأى العام الملتف حولها



عزيز فهمي

واعد التشريعات شخص ما يزال مجهولا .. قيل انه محمد على رشدى وقيل انه محمد الوكيل وقيل انه حامد زكى وقيل انها من اعداد بعض غير المسئولين .

وفى اجتماع مجلس الوزراء قال مصطفى النحاس : ان الوزارة يجب أن تبقى باى ثمن فى هذه الظروف ... وعلى ذلك فالتشريعات يجب أن تمر .

وقال صلاح الدين وابراهيم فرج ان تمريرها مستحيل . وان الوزارة لايجب ان تحتمل امام التاريخ مسئولية هذه التشريعات ...

وهرش غنام راسه وصاح : فكرة !.. تكلف احد اعضاء النواب بتقديمها على انها من عندياته ...

وصاح صلاح الدين انها ستكون تمثيلية مفضوحة . ولن يصدق الناس ان نائبا يتطوع بتقديم مثل هذه التشريعات .

ولكن النحاس ايد فكرة غنام

واختار غنام النائب اسطفان باسيلي كبشا للفداء ... واعطاه التشريعات ليقدمها ... وغضب الرأى العام ضد هذه التشريعات غضبة هائلة ما زال صوتها يدوى فى الاذان ... وانبعثت اعنف صور المقاومة من بين الوفديين انفسهم . فقد تزعم المقاومة النائب الدكتور عزيز فهمى .. واحمد ابوالفتح

رئيس تحرير جريدة « المصري » . وكان الوزراء الوفديون يشجعون النواب على المقاومة . واصبح اسطفان باسيلي في خلال أيام اتعس مثل للمواطن ، فضلا عن النائب ... حتى لقد فكر بعض الشباب في اختطافه حتى ينتهي نظر التشريعات . وتألب عليه تحت ضغط الرأي العام المواطنون حتى خاصة أهله. وانهارت أعصاب الرجل يوما ، اذ نشرت احدى الصحف صورته بين خطين اسودين كالوفيات وكتبت له نعيا كمواطن شريف ... ورأت زوجته هذه الصورة في الجريدة فبكت ، وتشاءمت واخذت تلح عليه ، مع سائر المواطنين ان يسحب التشريعات ... فسحبها !...

وكان للملك مندوب في مجلس الوزراء ... هو حامد زكي ... لم يطق هزيمة تشريعات سيده ، فصرح للصحف تصريحه الشهير الذي قال فيه : ان هذه التشريعات يجب ان تطبق في مصر مهما كان الامر اذ لا يمكن ان تحكم وزارة بيضاء شعب أحمر ! وهذه التشريعات ضرورية كأساس للحكم الذي يهدف الى محاربة الشيوعية والقضاء على الصحف التي تدعو الى الشيوعية والمبادىء المتطرفة !...

وكان حضرته يرى فيما يظهر ان الفساد المدنس .. هو المبادىء المعتدلة. وسواد الجريمة .. هو الدولة البيضاء !

وصفع صلاح الدين هذا الوزير بتصريح خطير ... قال فيه : قرأت ببالغ الدهشة تصريح معالي حامد زكي باشا ، ذلك التصريح الذي أقحم فيه زميلي الالوان البيضاء والحمراء والذي كان فيما اعتقد خطأ كبيرا ولا سيما بعد ان حسمت ازمة التشريعات بسحبها من مجلس النواب

والذي يهمني الآن من اثارة هذا التصريح ان زميلي قد أحرج به زملاءه الوزراء احراجا كبيرا، مما يضطرني الى ان اعلن انني عارضت كل مشروع مقيد للحرية . وذهبت في المعارضة الى اقصى الحدود والتي ترسمها مسئوليتي كوزير ، وسأعارض كل مشروع من هذا القبيل واذهب في معارضته الى ابعد الحدود ، سواء في هيئة الوزارة أو في الهيئة الوفدية او في مجلس الشيوخ !.

وكان هذا التصريح خطيرا حقا .. لانه كشف عن ان الوزراء انفسهم كانوا يعارضون التشريعات، وان التشريعات كانت مفروضة عليهم من الملك، صاحب المصلحة الاولى في تقييد الحرية !.

***

ولم تكن الصحافة وحدها في الميدان ... وان انبعثت من صفحاتها شعلة النور ...

كانت المنشورات تطبع وتوزع في كل مكان : منشورات يوزعها الطلبة ... ومنشورات يوزعها العمال .. ومنشورات يوزعها .. الضباط الاحرار »

وكانت الاجتماعات تعقد ، والمنابر ترفع ، والجماهير تهتف .

النحاس باشا : ماتخفوش . فؤاد باشا مسيطر على الحالة تماما
عن روز اليوسف ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥١



وكانت المظاهرات لاتترك فرصة تفوت .. وفى الجامعة كان يتعاقب الخطباء طالبين راس فاروق .. هاتفين بسقوطه ..

وكانت جبهة المعركة عريضة واسعة .. تشمل الحريات السياسية ، والاوضاع الاجتماعية ، والمشاكل الاقتصادية ، والمسألة الوطنية .. والفساد الملكى المتوج .. وامتدت موجات هذا المد الى الريف، وبرزت حوادث التفاتيش والاصطدام بين الفلاحين والمالكين فى الصفحات الاولى من الجرائد لاول مرة ..

ولم يكن يمضى يوم الا ويدخل الى قاعة النيابة ، مخفورا بين جنديين ، منهم جديد . وكان الاحرار يبدون فى افسام السجون ، وامام وكيل النيابة ، وفى قفص الاتهام ، ثم فى ظلام السجون .. كانوا يبدون – فى بعض العيون المظلمة العمياء – اقزاما مذنبين، تعساء ضائعين! ولكن هؤلاء الابرار من الكتاب والطلبة والفلاحين والعمال كانوا هم العمالقة حقا . الاحرار الشرفاء حقا . كانوا يخرقون القوانين التى وضعها الفساد القذر لحماية نفسه ، لكى يقرروا مبادىء اسمى ، وقوانين اعدل ، ومجتمعا اسعد . وكانوا يضحون من أجل ذلك كله بالراحة ، واللين ، والاحترام الزائف الذى يضفيه المجتمع على بعض حماة الجريمة ، الذين يعيشون على فتاتها !

وهنا .. يجب ان نقف سويا – ايها القارىء – ونتعلم درسا :

ان الحرية شىء ثمين حقا . وهى للتقدم وانتصار الشعب شرط اساسى . وانظر الى تلك الانتصارات الضخمة التى حققها الشعب فى خلال سنتين من الحرية النسبية .

فضح الملك وقدم شركاءه الى المحاكمة ...

حطم كل محاولاته لفرض نظم رجعية جديدة .

عبأ السخط بين الجماهير وحدد اهدافه فى الملك الفاسد وبطانة السوء وكل من يدور فى فلكه من سياسيين .

وتوج الشعب هذه الانتصارات بالغاء المعاهدة .. وبتقرير حق شبابه فى حمل السلاح ومحاربة الانجليز .. ودفع الحكومة الى حالة من شبه الحرب مع الاستعمار لاول مرة فى تاريخنا الحديث .

ومع ذلك فقد كنا نقاتل – ايها القارىء – بحرية ناقصة ... تنال منها قوانين استعمارية عنيفة تقيد حريات الاجتماع وتكوين الجمعيات واصدار الصحف .

والدرس الذى يجب ان تتعلمه – ايها القارىء – من هذه الحقائق هو : ان تطالب باصرار برفع القيود الباقية على حريتك

وان تؤكد دائما حقك فى ان تعتنق الراى الذى تراه صوابا . وان تعبر عن هذا الراى بالكتابة والخطابة والجدل . وان تعمل على تطبيق رايك بعقد الاجتماعات وتكوين الاحزاب والجمعيات ...

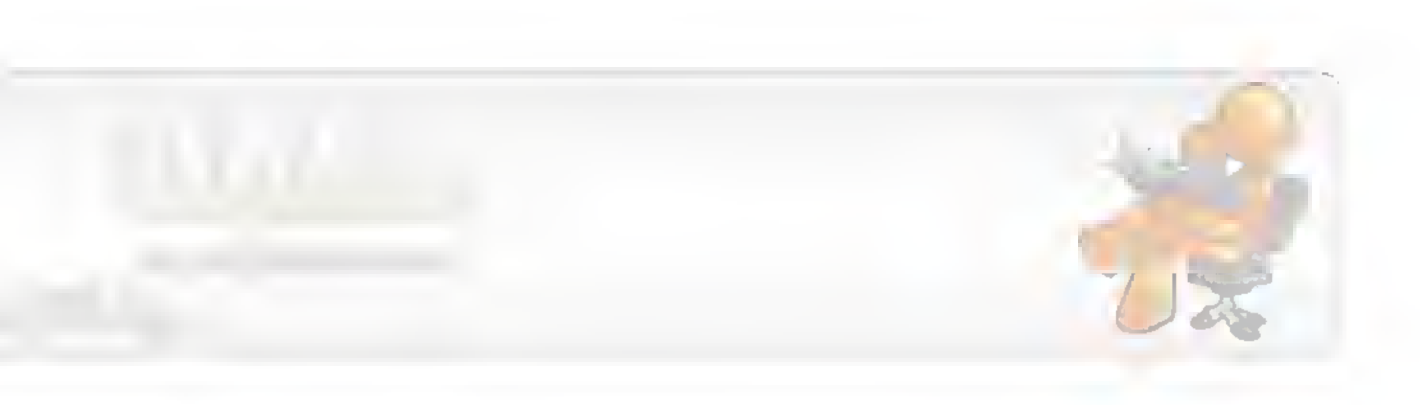
فهذا هو الطريق – أوحد الطريق – الى امام ..

الستة شهور السود

٢٦ يناير ـ ٢٦ يوليو ١٩٥٢

بالضغط والتضييق تلتحم الاجـزاء المبعثرة ،
والأزمة تلد الهمة

جمال الدين الأفغاني



لماذا هو انجليزى ؟

كان الناس يعرفون دائما، بالاحساس والاستنتاج ، ان الملك السابق لص .. وسيىء السيرة .. وانجليزى . ولكنه لم يتحطم تماما الا بعد ثلاثة احداث كبار ، اكدت هذه الصفات ، ووصمته بها علنا ، وفى وضوح كامل :

قضية الاسلحة الفاسدة اثبتت انه يسرق .. ولو بدماء الضحايا .

ومأساة زواج فتحية من رياض غالى وتجريد نازلى من لقبها .. اثبتتجو الانحلال الذى يعيش فيه وينمو عليه .

ثم جاءت طعنته للقضية الوطنية والكفاح ضد الانجليز .. فدمغته بالصفة الثالثة الاخيرة .. وهى الخيانة .

وكان فاروق يجد قبل هذه الاحداث الثلاث من يزعم للناس انه امين ، صالح ، وطنى ، ولكن هذه الاحداث اخرست كل هذه الالسنة الكاذبة ، وافسحت للحقيقة الكبيرة مكانها الراسخ فى قلوب الناس وعقولهم .

وقد راينا فيما سبق لصوصيته وانحلاله .. وعلينا ان نعرف الآن قصة خيانته . ولكن .. قبل ان نمضى فى سرد القصة ، **يجب ان نجيب على هذا السؤال: لماذا هو انجليزى ؟.. ولماذا يخون ؟.. هل يخون لمجرد ميل شخصى يجذبه الى الانجليز ، او اسباب عارضة دفعته الى احضانهم .. ام ان هناك مصالح ضخمة تربط الملك بالاستعمار الانجليزى وتجعلهما حليفين طبيعيين ؟**

هى مصالح ضخمة عاتية . ولنبدا الموضوع من اوله :

حين عرفت انجلترا طريق الاستعمار ، وبدات تستعبد الشعوب لمصلحة صناعتها .. كانت امامها احدى وسيلتين لحكم هذه الشعوب : اما ان تحكمها مباشرة بواسطة حكام انجليز . واما ان تستصنع لهـا انصارا من ابناء المستعمرات ، يستعبدون شعوبهم لحسابها . مقابل نفع كبير . وقد وجدت انجلترا مع الزمن ان الطريقة الثانية اجدى وانسب .. فهى مثلا حين تجعل فئة من المصريين يحكمون مصر لحسابها .. توفر نفقات ادارة انجليزية كبيرة، وتقلل من احساس الشعب المصرى بالاستعمار .. لانه ينظر الى وجوه حاكميه فاذا بها مصرية .. فيسكت ويؤمن ويحسب نفسه مستقلا ، وهو لن يكتشف حقيقة هذه الوجوه الا بعد زمن طويل ، ووعى دقيق .

ولننظر كيف طبقت انجلترا هذه السياسة فى مصر ، وفى جيران مصر ، من بلاد الشرق القريب .

كانت انجلترا كلما قررت استعمار شعب من الشعوب ، بحثت عن اسرة تحتضنها ، ورجل ترعاه ، لتصنع منه ملكا . وكانت تختار اسرة لهـا بعض القداسة والمكانة المرموقة فى شعبها ... وكانت تعرف ان هذه الشعوب شعوب متدينة ، فهى تدخل اليها من هذه الناحية ... وهكذا اقامت انجلترا العروش الهاشمية فى العراق والاردن . وفى السودان احتضنت

السيد عبد الرحمن المهدى ــ لانه ايضا فيما يقال من سلالة النبى وابن المهدى الكبير ــ وقبل ان تحتل ليبيا ، احتضنت السيد ادريس السنوسى لنفس الاسباب

وهى بعد أن تقيم العرش ، وتجلس عليه الملك .. وتشعره بفضلها عليه لابد ان تجعل الملك والعرش فى حالة من الاحتياج الدائم الى مساعدتها : فاذا كان الملك فى بلد فقير كالاردن او ليبيا اقامت شئون الدولة المالية على نحو يجعلها فى حاجة الى مساعدة مالية من الخارج دائما . ثم تبرعت هى بهذه المساعدة المالية السنوية . وهكذا يجد الملك نفسه مهددا ــ اذا خالف الانجليز ــ بالافلاس ! وقد شعرت دول الجامعة العربية اثناء حرب فلسطين بسيطرة الانجليز القوية على الملك عبد الله ، وعرضت الدول العربية عليه ان تقوم هى بدفع النقص السنوى فى ميزانية الاردن الذى تدفعه انجلترا ــ حوالى ٢ مليون جنيه ــ لتحرر سياسة الاردن من الاستعباد الانجليزى . ولكن العرض خاب . ونفس الوضع خلقته انجلترا فى مملكة ليبيا الجديدة !

اما اذا كان العرش فى بلد غنية كمصر او السودان . فان انجلترا تعمل على ان تجعل للملك ــ او الموعود بالملك ــ فيها مصلحة كبيرة . اذ تجعل الملك أو المرشح للملك اقطاعيا غنيا له مصالح ضخمة يخاف عليها من الشعب لو تحرر ، فيركن الى حماية انجلترا له ، ولمصالحه . وهذا هو ما فعلته انجلترا فى السودان اذ منحت السيد عبد الرحمن المهدى جزيرة آبا ، وجعلته اغنى اغنياء السودان . واذ جعلت فؤادا ثم فاروقا يقتنيان الارض والضياع .. حتى وصلت الى مئات الالاف من الافدنة . وآية هذه الخطة ان فاروقا كان يخاف خروج الانجليز دائما لان ذلك سيعصف بمصالحه . وآيته ان النظام الاقطاعى فى مصر لم يبدأ فى التغير الا بعد ان خرج احد الحليفين : وهو الملك!

وفى الهند .. حيث تعذر على الانجليز اقامة عرش واحد .. خلقت عشرات العروش فى صورة المهراجات ، ومضت تقوى سلطاتهم وتنمى ثرواتهم ، وهم يردون جميلها بوقوفهم فى صفها ضد الشعب الهندى . فلما زال الاستعمار الانجليزى ، كانت أول ضربات الاصلاح موجهة الى هولاء المهراجات والملوك الصغار بالذات ... وانت ــ ايها القارىء ــ تذكر قصة حيدر اباد ، الذى كان يكنز المال ويضع الجواهر فى الزكائب ، وتذكر زحف نهرو عليه ، وتجريده من ماله ، وتوجيهه لخير الشعب !

تلك هى « الخطة » الانجليزية العامة فى الاستعمار . وتلك هى المصالح الضخمة التى تربط بها حكام البلاد بعجلتها . وهذه الخطة تختلف بالطبع فى تفاصيلها من بلد الى آخر باختلاف الظروف . وعلينا الان ان نعرف ــ بشىء من الدقة ــ كيف مضت هذه الخطة فى مصر

لم تدخل انجلترا مصر وفى يمينها عرش جديد . ولكنها جاءت لتحمى

عرشا يوشك على الانهيار . فقد ذهب توفيق الى الاسكندرية فرارا من الثورة الشعبية التي تزعمها عرابي . وخفت انجلترا الى نجدته وتثبيت عرشه الذي كادت تكتسحه التيارات الشعبية . وقصة الاحتلال الانجليزي بعد ذلك معروفة

وكانت انجلترا تحرص على أن يجلس على عرش مصر رجل موال لها ، ولا يعرف سيدا غيرها . فحين شعرت ان الخديو عباس هواه مع تركيا عزلته ووضعت مكانه السلطان حسين كامل . وحين اراد امراء البيت المالك الاحتجاج على عزل عباس هددتهم بأن تجلس اغاخان على عرش مصر ... وكان على الامراء ان يختاروا بين العرش والاستقلال . فاختاروا العرش طبعا . وبعد حسين كامل جاء فؤاد

وكان فؤاد حين جلس على عرش مصر افقر امراء البيت المالك بلا استثناء ، وعرفت انجلترا كيف تضعه في أول الطريق الموصل الى الثراء . وعمد فؤاد الى جمع الاطيان بوسائل رهيبة . يساعده زبانية مشهورون ؛ كانوا نواة « الخاصة الملكية » فيما بعد

ولم تقنع انجلترا بأن جعلت الملك هو الاقطاعي الوحيد في مصر ، والا اصبح وحيدا ، ضعيفا بين شعبه . فعمدت الى تقويته وتعميق جذوره بخلق طبقة اقطاعية تحيط به وتسنده ، وتربطها بالاستعمار الانجليزي نفس الرابطة . ومضت تكون طبقة «اصحاب المصالح الحقيقية» كما عرفت فيما بعد . وكان اللورد كرومر هو اول من أطلق هذا الاسم عليها . اطلقه في احد تقاريره قائلا ما معناه : ان المهيجين الوطنيين من امثال مصطفى كامل هم الذين يعارضون الاحتلال البريطاني ، وهؤلاء لا ينبغي ان يعتد بهم . اما « اصحاب المصالح الحقيقية » فانهم يؤيدون الاحتلال

خلق الانجليز طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » عن طريق تسهيلات اقتناء الارض ؛ ومشروعات الري التي زادت من انتاج هذه الارض زيادة كبيرة ، وشراء القطن لحساب مصانعها من هؤلاء الملاك بأسعار مرتفعة . وعن طريق تعليم ابناء هذه الطبقة في انجلترا ثم توليتهم الوظائف الادارية الكبيرة في الاقاليم ، ووظائف السكرتيرين والمساعدين للمستشارين الانجليز في الوزارات .

ومن هذه الطبقة تكون حزب الامة قبل الحرب العالمية الاولى من محمود سليمان باشا وحسن عبد الرازق باشا وعبد الخالق ثروت باشا وغيرهم .. لناواة حركة مصطفى كامل . ومن نواة حزب الامة ، تكون حزب الاحرار الدستوريين في سنة ١٩٢٢ .. لناواة حركة سعد زغلول

وتتم الحلقة ... اذا لاحظنا ارتباط مصلحة الاحرار الدستوريين والاحزاب التي حالفتهم بمصلحة فؤاد ثم فاروق ... فهم الذين اوقفوا الدستور والغوه وعطلوه بشتى الصور . وهم الذين وقفوا ـ كما سترى ـ المواقف السلبية .



الخيانة في منتصف الطريق

كان مصطفى النحاس يصعد منبر مجلس النواب ليعلن الغاء المعاهدة، وهو يعرف ان الاقالة اصبحت حقيقة مقررة ، وان المسألة مسألة وقت فحسب ، وكان قد بنى حسابه هذا على معرفته الطويلة بسياسة الملك المرتبطة بالانجليز وتأكد من صحة حسابه حين ذهب الى فاروق ليحصل على توقيعه على مراسيم الالغاء .. فحاول ان يتهرب ، ويؤجل الالغاء بأى ثمن . وكانت تصل الى النحاس ايضا بعض تفاصيل مقابلات الملك لبعض الزعماء والشخصيات ، وانه كان يقول لزواره صراحة ان الغاء المعاهدة ومحاولة اخراج الانجليز بهذا الشكل خطأ .

وحاولت الحكومة الوفدية جهدها ان تمضى بمعركة القنال .. فى جو بالغ القلق مشحون بالاحتمالات .. بين معارضة متقدمة عنيفة تستعجل الخطوات وتطالب المزيد، وتتهم الوزارة بالتردد والتقاعس ... ومعارضة اخرى مختلفة — تتكون من حزبى السعديين والاحرار وبعض المستقلين المتعفنين — تأخذ على الحكومة « تهورها » وتخوف الناس من الخراب المحتمل ، وتتربص بالحكومة الدوائر . وهناك السفارة الانجليزية تحيك الدسائس والمؤامرات .. والملك يبحث عن مخرج من هذه الورطة ! ..

وكانت الوزارة تصحو مع الصباح فتجد صحفا تهاجمها لانها لاتمنح الفدائيين مساعدات كافية ، ولانها لاتقابل الانجليز بالشدة اللازمة .. وصحفا تهاجمها بحجة انها تقود البلاد الى الخراب ، وهذه الصحف المهاجمة تبث روح الهزيمة بين الناس بما تنشره من تهديدات الانجليز ، ومظاهر قوتهم ، واحتمالات الفشل

اما الحقيقة التى يجب ان تقال ، فهى ان الوزارة حاولت ان تؤدى واجبها .. اذا واعينا ظروفها تلك الحرجة ، ومخاطر الطريق ، والضرورة التى كانت تدعوها الى الحذر من الخيانة المتربصة بها فى القصر . بل وفى بعض اعضاء الوزارة انفسهم ضد هذه السياسة .. كما اعلن حامد زكى عن نفسه اخيرا !! فبعد ان تركت الوزارة كل ادوات الدعاية تهاجم الانجليز ، وتنمى طاقة الكراهية للاستعمار الى حد لم يسبق له مثيل منذ ثورة سنة ١٩١٩ .. وتنقلت الاحساس المباشر بقبضة الانجليز من مدن القنال الى جميع انحاء القطر ، وشجعت كتائب التحرير باقصى وسائل التشجيع الادبى والمادى . حتى لقد كان ميكروفون الاذاعة ينتقل الى معسكراتهم فى القنال يروى قصصهم وينقل احاديثهم لمواطنيهم . نقول .. بعد ذلك كله ، وقبل ان تقع كارثة

حريق القاهرة ، بدات الوزارة تمد الفدائيين بالسلاح ، وتشجع ضباط الجيش والبوليس على التطوع .. وقد سحبت سفيرها من لندن وهمت بقطع العلاقات السياسية .. فلم يبق بينها وبين حالة الحرب الفعلية الا شعرة واهية !

وشعر الملك بان الخطر على كيانه جارف .. ولم تخف عليه الآثار الخطيرة التي تترتب على ترك المصريين يحصلون على حريتهم بقوة السلاح . واتصل الانجليز بالملك — او « بوكيلهم في مصر » كما كان يسميه السفير البريطاني رالف ستيفنسون ! — ورسمت الخطة .

وكانت اول خطوات الخيانة — السافرة — ان اعلن الملك في اسبوع واحد تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان الملكي ، وعبد الفتاح عمر مستشارا له للسياسة الخارجية ، والياس اندراوس مستشارا للشئون الاقتصادية .. وادرك المواطنون من شمال الوادي الى جنوبه ، بل ادرك الاحرار في العالم العربي كله — مغزى الخيانة ! ففي مصر انطلقت المظاهرات هاتفة ضد الملك باقسى ماتتحمله لغة الالفاظ ، مطالبة براس حافظ عفيفي ، منادية بسقوط « عفيفي » و « حافظ » « عفيفي » .. وفي الخرطوم تظاهر طلبة المدارس ضد رئيس الديوان . وارسل احد زعماء الاحزاب السودانية ممن يحملون رتبة البكوية من مصر ، ارسل برقية الى الملك يعلن تنازله عن رتبة البكوية احتجاجا على خيانة الملك للقضية الوطنية . وفي بغداد كتبت الجريدة الحرة « صدى الاهالي » تهاجم هذا التعيين وتشرح معناه ! ! ..

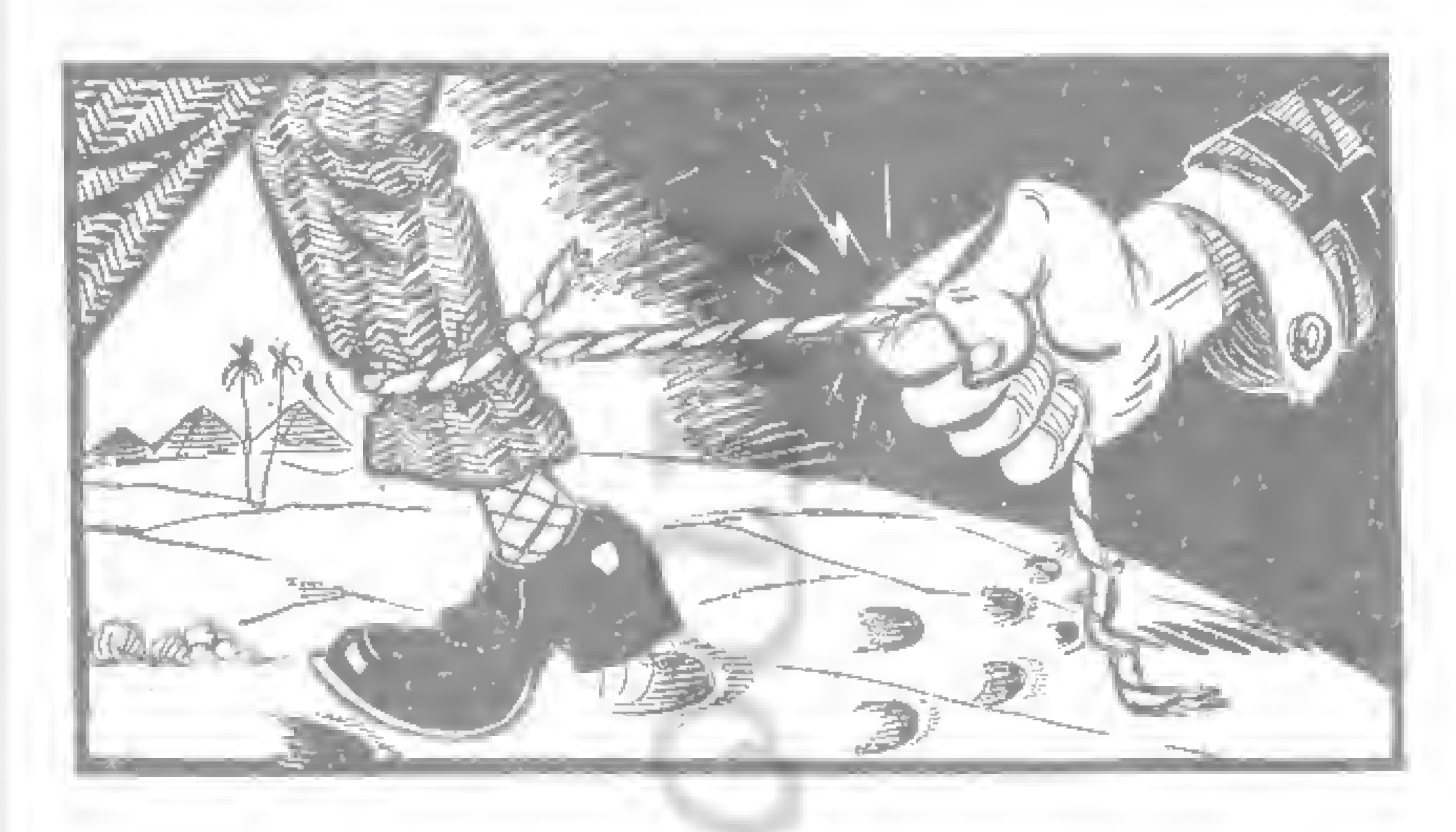
وكانت هذه القضية الشاملة في محلها تماما . وقد دلت على وعي عميق .

فاما الياس اندراوس فقد عرفنا منبته ، واولياء نعمته ، وحقيقة وظيفته ....

واما عبد الفتاح عمرو فهو تلميذ احمد حسنين البكر . وهو الذي وصفه طه حسين ادق وصف حين قال انه يصلح سفيرا لانجلترا في مصر اكثر مما يصلح سفيرا لمصر في انجلترا ! وهذا صحيح .. لان عمرو عاش طيلة عمره في انجلترا . فهو يعرف عنها اكثر مما يعرف عن مصر . وهو خليق ان يمثلها اكثر من ان يمثل مصر . وحين تقرر عزله من منصبه رفض العودة الى مصر .. وقرر ان يستوطن في وطنه الحقيقي .. انجلترا ! !

واما حافظ عفيفي .. فحديثه طويل ! وقد ثار الناس على تعيينه بسبب الحديث الشهير الذي ادلى به للاستاذ كامل الشناوي ونشرته « الاهرام » ودافع فيه عن معاهدة ١٩٣٦ وطالب بالارتباط بانجلترا الى اقصى حد .. وكان هذا الحديث والحكومة على وشك الغاء المعاهدة !

ثار الناس عليه بسبب هذا الحديث . ولكن تاريخه ابشع من ذلك بكثير .



(من بين الاوسمة المصرية وسام يسمى ربطة الساق)
وسام ربطة الساق الذي يحمله احد المصريين :

ولعله بين جميع السياسيين الذين عرفتهم مصر اشدهم رحمة واكثرهم انجليزية . واذا كان المجال لايتسع لتشريح حافظ عفيفي ، فانه يكفي ان نعرف عنه هذه الحقائق البسيطة :



حافظ عفيفي

* فهو السياسي الذي اشترك في اكبر عدد من مرات تعطيل الدستور او الغائه. بينما نجد على ماهر اشترك في تعطيل الدستور مرتين واسماعيل صدقي مرتين ومحمد محمود مرة واحدة .. نجد ان حافظ عفيفي اشترك في تعطيل الدستور ثلاث مرات : مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ ، ومع صدقي سنة ١٩٣٠ ، ومع الهلالي سنة ١٩٥٢ . فلم يفته شرف المساهمة في تعطيل الدستور الا مرة واحدة : مع زيور » سنة ١٩٢٤

* ولم يكن دوره في هذه الانقلابات مجرد المساهمة الداخلية ، بل كانت مهمته ان يكون مندوب الانقلاب عند الانجليز .. فقد جعله محمد محمود في سنة ١٩٢٨ وزيرا للخارجية وحلقة اتصال بدار المندوب السامي . ولم يكتف صدقي سنة ١٩٣٠ بذلك ، بل نقله من الوزارة الى وظيفة وزير مفوض في انجلترا « ليسند » انقلاب صدقي هناك !

* وكما انه صاحب الرقم القياسي في تعطيل الدستور ... كذلك فانه صاحب الرقم القياسي بين جميع الساسة المصريين في مفاوضة الانجليز ' فبينما نجد مصطفى النحاس فاوض الانجليز خمس مرات ، وصدقي خمس مرات . نجد ان حافظ عفيفي جلس الى مائدة المفاوضات ستة مرات : مرة مع سعد وعدلي سنة ١٩٢٤ ومرة مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ ومرة مع صدقي سنة ١٩٣٠ ومرة مع النحاس سنة ١٩٣٦ ومرة اخرى مع صدقي سنة ١٩٤٦ ومرة اخيرة مع الهلالي سنة ١٩٥٢ !

* وفي مفاوضات صدقي بيفن سنة ١٩٤٦ ، رفض جميع اعضاء هيئة المفاوضة من المستقلين مشروع صدقي بيفن ، واستقالوا استقالة مسببة بهذا السبب ، ما عدا واحدا فقط : هو حافظ عفيفي !! .. خلاف السعديين والدستوريين طبعا (هيكل وعبد الهادي والنقراشي)

* وقد الف في حياته كتابا واحدا هو : الانجليز في بلادهم !!

هذه هي معالم تاريخ هذا الرجل .. حافظ عفيفي . وهذا هو الرجل الذي





المصري افندي انتم دوختوني : احارب الانجليز تقولولي حارب الفساد :
احارب الفساد تقولولي حارب الانجليز :
عن روز اليوسف ١٨ فبراير سنة ١٩٥٢

اختاره فاروق ليكون رئيسا لديوانه ، ومنفذا لسياسته ، والشعب مشتبك فى معركة دامية مع الانجليز !

ولم يكن فاروق مستطيعا ان ينفذ بنفسه خطة الخيانة والغدر فى هذه الظروف .. فهى مهمة صعبة ، لاينهض بها هذا الفاسق ، الجاهل ، الذى يعيش فى عالم من الانحلال والقمار والصور الفاضحة، ويجالس حثالات هابطة المستوى لاتجيد الا حديث الدعارة مثل بوللى وبيترو وحلمى حسين ! فلم يكن بد من ان يختار رجلا ينفذ له الخطة المرسومة ، وكان حافظ عفيفى ذلك الرجل ...

وكانت الخطة التى رسمها فاروق والانجليز لطعن القضية الوطنية تستهدف أولا اخراج وزارة الوفد . وكانت خطة اخراج الوزارة تتلخص فى الآتى :

١ ــ تشجيع الحملة على مظاهر الفساد الداخلى فى الوفد ، والتشهير بالاخطاء والسرقات واستغلال النفوذ ، لجذب اهتمام الناس الى الوضع الداخلى من جهة ، ثقة الشعب فى الوزارة التى تجتاز به المعركة .

٢ ــ نشر الانباء المختلقة او المبالغ فيها عن محاربة الوزارة للفدائيين والقبض عليهم وما الى ذلك .. لزعزعة الثقة بين المقاتلين فى الجبهة والوزارة فى الداخل .

٣ ــ ان يقوم الانجليز باستفزازات وتحرشات عنيفة لاغرض من ورائها اكثر من تعريض الوزارة لهزات عنيفة . واثارة موجة السخط فى الداخل على نحو يؤدى الى الشغب ويتزايد به حتى يمكن اتهام الوزارة بتهمة عدم القدرة على الاحتفاظ بالامن وحراسة اموال وارواح الاجانب . فهدم الانجليز لكفر عبده . وضربهم لمحافظة الاسماعيلية لم يكن لهما مبرر من ضرورة حربية او دفاعية . انما هى ضربات عنيفة كانت تهز الشعور العام فى الداخل ، وتطلق عقال المظاهرات وتهيىء لحدوث اعتداءات وانتقامات فى الداخل تبرر تدخل الدول الاجنبية أو اقالة الوزارة .

٤ ــ مشاورات متصلة للبحث عن الوزارة التى يمكن ان تخلف وزارة الوفد . ويجب ان تكون وزارة قادرة على التظاهر بالاستمرار فى مقاومة الانجليز ، تلافيا لثورة الرأى العام من جهة ، وحتى يمكن تحويل التيار تدريجيا ، وفى هدوء .

٥ ــ البحث عن وسيلة للحد من الحريات العامة .. لان قتل القضية الوطنية لن يتيسر ابدا وهذه الاجتماعات تعقد ، والصحف تكتب ، والناس يقولون مايشاءون !

وتمت الخطة بحذافيرها .

فقد انتشر احساس غير ملائم بعدم قدرة الوزارة الوفدية على مواجهة

الموقف . ووصل الامر باحدى الهيئات ــ الحزب الاشتراكي ــ الى حد مناداة رئيسه احمد حسين باقالة الوزارة ، دون ان يفكر لحظة واحدة في الوزارة التي يمكن أن تخلفها ، وامكانية الاستمرار في المعركة . .

واثر الاعتداء الوحشي على محافظة الاسماعيلية في استفزاز الناس واشعال غضبهم وتمردجنود بلوكات النظام ــ ذلك التمرد الذي لم تتكشف الاصابع الخفية فيه بعد ــ وكان تضليل هذا الغضب سهلا نتيجة التوجيه الخاطيء الذي قامت به بعض الصحف ، موهمة الناس بان المعركة يمكن ان تكسب بالتخريب الداخلي والتحريض على ارواح الاجانب وممتلكاتهم .

ولما انطلقت كل هذه العوامل وتفاعلت وسنحت الفرصة لعناصر الخيانة كلها ان تعمل على نطاق واسع : البوليس السياسي ، وعملاء الانجليز من نوع جماعة اخوان الحرية وغيرها . . اخذت هذه تعمل على تكميل المأساة . . وكانت قيادة الجيش الفاسدة كالاصابع في يد الملك ، فاستطاع ان يمنع الجيش من التدخل لحماية الامن . . حتى يعم الدمار بشكل جسيم يبرر الاجراءات التي ينوى الملك الاقدام عليها . . .

واحترقت القاهرة ! . . .

وحين ذهب النحاس يطلب الموافقة على قطع العلاقات السياسية بانجلترا ، قيل له : تريث . . وتريث حتى احترقت القاهرة . . وطلب الملك اعلان الاحكام العرفية فورا . وكانت آخر اخطاء الوزارة ان وافقت على اعلانها وانطلق البوليس السياسي في دخان الحريق يقبض على جميع خصوم الملك ، وخصوم الفساد ، وخصوم الانجليز . . وقبل ان يتقشع الدخان كانت الوزارة قد اقيلت ، وكان البوليس السياسي مستمرا في عملية القبض ، نقبض على انصار الوزارة أنفسهم !

وفي اربع وعشرين ساعة . . أصبح الشهداء والابطال والفدائيون طريدى العدالة . . عدالة فاروق !

ومن يتولى الوزارة في هذه اللحظة الحرجة ؟ . . .

كان نجيب الهلالى معدا لهذا الدور منذ شهور . وخطوط السياسة التي سوف ينهجها مرسومة له بدقة . ولكن مواجهة الوفد بالحرب مباشرة ، والوقوف في وجه التيار الوطني مرة واحدة ينطوى على خطورة بالغة . لذلك اتفق حافظ عفيفى والملك مع الهلالى على ان يتأخر دوره قليلا . . . واتفق على ان يتولى الوزارة رجل يكون حسن السمعة عند الناس ، ويستطيع ان يجرى مع الجواد المندفع خطوات قبل ان يوقفه تماما . . فمن الرجل اذا ؟ . .

على ماهر .

وكان على ماهر قد اعلن تأييده لالغاء المعاهدة . ورأس في مجلس الشيوخ لجنة اقرار تشريعات الالغاء . وسار في المظاهرة الصامتة التي نظمت حدادا

على شهداء القتال . ورشح لرئاسة هيئة قومية تدير المعركة فى القنال ..
فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدقه الشعب حين يقول
فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدقه الشعب حين يقول :
اننى عازم ايضا على اخراج الانجليز .. وسوف امهلهم اسابيع محدودة والاحكام العرفية لن تبقى اكثر من شهرين . والبرلمان الذى الغى المعاهدة سيبقى !!

وكان على ماهر مخلصا فى هذا الكلام . وكان يعتقد ان الانجليز بعد ان عرفوا ما يمكن ان يترتب على بقائهم فى القنال لابد سيعيدون النظر فى موقفهم . وقد بدات بوادر تراجعهم ايام معركة القنال بالوساطات التى كانوا يحركونها . ورضى الوفد وايده . وحدد على ماهر موعدا لبدء مفاوضات سريعة قصيرة مع السفير ... وظن ان الامور تجرى الى غايتها .

ولكن القصر وجد أن على ماهر قد ادى مهمته . واستطاع ان ينفذ الصدمة الاولى للقضية الوطنية باليق طريقة ممكنة . وكانت خطته فى الابقاء على البرلمان الوفدى ، وتحديد اجل قصير للاحكام العرفية ، واجل آخر لأنهاء المفاوضات .. كان معنى ذلك اما خروج الانجليز واما عودة الثورة الوطنية .

وفى يوم واحد .. وبعد شهر واحد من تأليف الوزارة . اعتذر السفير البريطانى عن موعد بدء المفاوضات . واستقال وزيران من الوزارة — مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال — لان الرئيس لايريد حل البرلمان الوفدى ومجاهرة الوفد بالعداء والاشتباك فى معركة داخلية وهو يتهيأ لمقابلة الانجليز .. وادرك على ماهر عمق المؤامرة .. فقدم استقالته .

وذهب النحاس الى على ماهر يزوره ، ويقول له ساخرا : طيب انا طلعونى علشان حرامى ، وانت طلعوك ليه يابطل ؟!

كان على ماهر حسن النية . ولكنه سوف يحتمل امام التاريخ مسئولية القاء الماء على النار الملتهبة فى القنال ... والطريق الى جهنم مفروش — ايها القارىء — بالنوايا الطيبة !

وكانت مصر فعلا تسير فى الطريق الى جهنم .. اذ الف نجيب الهلالى وزارته .

الرصيف في صحوة الموت

عندما بدأ النحاس يؤلف وزارته في سنة ١٩٥٠ ، استدعى نجيب الهلالي قبل الجميع ، وعرض عليه ان يختار بين وزارة المعارف ووزارة المالية .

وفوجىء النحاس بان الهلالي يرفض دخول الوزارة اطلاقا . وخرج النحاس الى الجماهير التي كانت محتشدة هاتفة باستمرار امام بيته اثناء تاليف الوزارة ، وجذب الهلالي من ذراعه وقال للجماهير : قولوا له يقبل !

وصاحت الجماهير هاتفة بالهلالي وزير المعارف ، ولكن الهلالي عاد الى داخل البيت ، واصر على الرفض . وبرر رفضه بأنه قرر اعتزال السياسة منذ زمن بعيد . ولم يصدق الحاضرون طبعا .. وقال له النحاس كيف يكون معتزلا السياسة وهو عضو في الوفد .. فقال الهلالي :

ــ الحقيقة اني اتخذت قرارا لن أحيد عنه ابدا مهما كانت الظروف : هو ان لاادخل قصر الملك ولا احلف يمين الاخلاص امامه . ولا اوقع على ورقة واحدة تحمل توقيعه !

وادرك الحاضرون ان الهلالي مازال يعادي القصر منذ سنة ١٩٤٤ ، حين اوعز الى احد النواب بتقديم استجواب عن ديون احمد حسنين التي لم يدفعها للوزارة ، ورد الهلالي بأنه كوزير للمعارف سوف يتخذ اللازم لارغام رئيس الديوان على دفع هذه الديون .

وعاد النحاس يحاول اقناع الهلالي بدخول الوزارة ، دون ان يبلغ من ذلك شيئا .



نجيب الهلالي

وليس صحيح ماقيل من انه رفض دخول الوزارة احتجاجا على فساد وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ ، ولو كان ذلك حقا لخرج مع مكرم عبيد ، ولما نهض باكبر العبء في الدفاع عن وزارة الوفد ضد اتهامات الكتاب الاسود .

ومع ذلك فهذا الرجل كتب عليه ان يكون آخر وزراء الملك السابق . وان يسجل عنه التاريخ انه صاحب آخر محاولة لتوطيد فساد فاروق ، والتمكين لظلمه ، والتطوع لارادته

فما الذي اصابه ؟

ليس الهلالي هو موضوع هذا الكتاب وهو لايعنينا هنا الا بقدر ما كان آلة في يد فاروق ، واداة لتزيين فساده . ويكفى ان نقول انه قضى السنة السابقة على توليه الوزارة في اتصالات مريبة مع رجال القصر الذي اقسم ان لايدخله . ومقابلات مع المسئولين الانجليز الذين مروا بمصر مثل مستر ستوكس وزير الدولة البريطاني في حكومة العمال . وكانت هذه المقابلة - مثل غيرها - تبدو غير مفهومة : والهلالي ليس رئيس حزب ، وليس رئيسا سابقا للوزارة .. ولم يعرف ان بينه وبين وزراء الانجليز «استلطاف» سابق او ود قديم .. الا اذا كان آتلي ورفاقه قد بلغهم صيته في ابتكار النكتة ، فارسلوا رسولا من عندهم لينقل اليهم آخر مبتكراته .

فالذي يهمنا هو ان الهلالي ، كان السياسي التعيس الذي اختير لكي يلعب الدور الاساسي في هذه المأساة . وانه لم يؤلف الوزارة بعد النحاس مباشرة الا لحكمة بليغة : هي ان لايتلقى صدمة الانقلاب الاولى التي قد لايتحملها .. فاتفق مع حافظ عفيفي على تقديم على ماهر .. لينهض بدور « راس الحربة » ...

وبهت الناس وهم يقرأون في الصباح خطاب تشكيل الوزارة .. وكان الهلالي بارعا تزعم - كاذبا - ان الدستور سيحترم ، وان الاهداف الوطنية قريبة المنال ... ليمهد بذلك لخدعته الكبرى : التطهير ومحاربة الفساد ...

والحكمة المأثورة تقول : ان العبرة ليست بالسيف .. بل باليد التى تمسكه .. فان السيف قد يكون في يد اداة لغاية نبيلة ، وقد يكون في اخرى اداة لارتكاب جريمة .

كذلك التطهير .. انه سلاح لاغبار عليه .. وامل لايغيب عن خاطر شريف . ولكن العبرة باليد التى تنفذه . وقد بدا التطهير في يد الهلالي اكذوبة ضخمة ، وسخرية مريرة . لان الهلالي نفسه كان في يد الملك . وكان الناس يعرفون جيدا ان الملك هو الفساد الاكبر .. وان جميع صور الفساد اهون كثيرا من فساد فاروق ، والحاشية ، والتابعين

وكان طبيعيا ان لايطهر الهلالي شيئا .. وان يخرج من الوزارة بعد ثلاثة شهور .. فاذا بكل دعاوى التطهير تتلخص في عشر ملفات خالية على مكتب وزير العدل ، مكتوب على غلافها رؤوس موضوعات ، وتحمل كلمة «تطهير !»

اما اهداف الهلالي الحقيقية فقد تحققت .. ويجب ان نقرر ذلك انصافا للرجل الذى قيل انه فشل .

كان المطلوب من الهلالي هو :

١ - ان ينسى الناس قضية الجلاء والانجليز ، وكل الاشياء التى تثور لها الدماء .

٢ ـ ان يعطل الدستور ويلغي كل الضمانات المكفولة فيه اطول مدة مستطاعة
٣ ـ ان يؤدب اعداء النظام بشتى الطرق ، وان يفرض الذل على الرأى العام حتى لايرفع رأسه فى وجه الملك والانجليز مرة اخرى ، قبل وقت طويل ... طويل .

وقد نجح الهلالى فى ذلك كله نجاحا باهرا .. واليكم «كشف» النجاح :

اولا ـ نجح الهلالى ـ باسم الملك ـ فى وضع القضية الوطنية على الرف . وقد سلك الى هذه الغاية مسالك كثيرة . فقد اغرق البلاد عامدا فى سلسلة مهاترات داخلية انست الناس انفسهم . وابتكر من المظالم والمفاسد والمساخر والاستبداد ماحجب عن اذهان الناس مظالم الانجليز واستبدادهم ، وحرم على الاذاعة والصحف ان تتحدث عن الانجليز بشر . بل لقد منع على الصحف ان تنشر شيئا عن قضايا الشعوب الاخرى المكافحة ضد الاستعمار : ففى تونس مثلا وقعت احداث جسام لم تنشر منها الصحف شيئا .. لان حديث الاستعمار ، وثورة شعب تونس عليه قد تذكر المصريين باستعمارهم ، وثورتهم عليه . وكان زعماء تونس الهاربين الى مصر يعقدون المؤتمرات الصحفية فى القاهرة ، ويهاجمون الاستعمار الفرنسى ويطالبون بتحقيق مطالب الشعب التونسى . فتمنع الرقابة اى اشارة الى المؤتمر .

بل لقد همت وزارة الهلالى بمنع الوزيرين التونسيين الهاربين من قبضة الفرنسيين من دخول القاهرة .. لولا تدخل الجامعة العربية واعلانها ان الوزيرين فى ضيافتها !

واعتدى الانجليز على سلطنة لحج وقذفوها بالقنابل ، وهرب السلطان .. فمنعت الوزارة الصحف المصرية من الاشارة الى هذه الاحداث .. حتى لاتسوء سمعة الانجليز ..

وكان زعماء العرب المراكشيين والتونسيين وغيرهم فى القاهرة يهزون رؤوسهم اسى ، ويندمون على لجوئهم الى مصر ، وكان زعيم منهم يقول . ان الحكومة المصريه لاتدافع عن الاستعمار الانجليزى فى مصر فقط ، بل تدافع عن كل انواع الاستعمار فى جميع البلاد !

ثانيا ـ نجح الهلالى ـ باسم الملك ـ فى تعطيل الدستور واهدار كافة الضمانات الموجودة فيه . وان كنا نلاحظ انه نجح هنا « بالغش » من زيور باشا ! فقد عطل زيور الدستور واوقف الحياة النيابية سنة ١٩٢٥ بدعوى انه بصدد تعديل قانون الانتخاب تعديلا يضمن تمثيل رأى الامة تمثيلا صحيحا . وكانت هذه هى الدعوى التى استند اليها الهلالى ايضا فى تعطيله الدستور .

والغريب ان الرقابة المفروضة كانت تحرم على الصحف ان تشير الى ان الدستور معطل . او ان الحياة النيابية موقوفة . بل كان عليها اذا شاءت ان تتحدث عن الدستور ان تقول ان الدستور محترم ، وان الهلالي يؤمن بالحياة النيابية ايمانا لاحد له ! .. وكان الهلالي لايتحرج من ان يقف يوم عيد الدستور فى الناس خطيبا ، يشيد بالدستور ، وبالملك الدستورى ! ! ..

ثالثا ــ نجح الهلالى ــ باسم الملك ــ فى اضطهاد الناس واذلالهم . وان كان ينازعه فى شرف هذا النجاح وزير داخلية السراى .. احمد مرتضى المراغى . فقد تمسك ببدعة حظر التجول . وصياح الجنود فى العابرين : قف .. من انت ! ومع انه كان واضحا ان هذا الحظر لامعنى له .. فلم يشأ المراغى ــ باسم الملك ــ ان يلغيه مرة واحدة .. بل اخذ يقلل ساعاته .. من السادسة الى التاسعة .. ثم الى العاشرة .. ثم الى الثانية عشرة .. حتى لم يبق الحظر الا اربع ساعات فقط . ولم تكن الثورة التى يخافون منها ستنشب فى هذه الساعات بالذات ولكن ابقاء الحظر كان لاشعار الناس بان السلطة المطلقة فى يد الملك لها ان تفعل بحياتهم ماتشاء .. وليظل الجنود فى الشوارع شاكى السلاح !

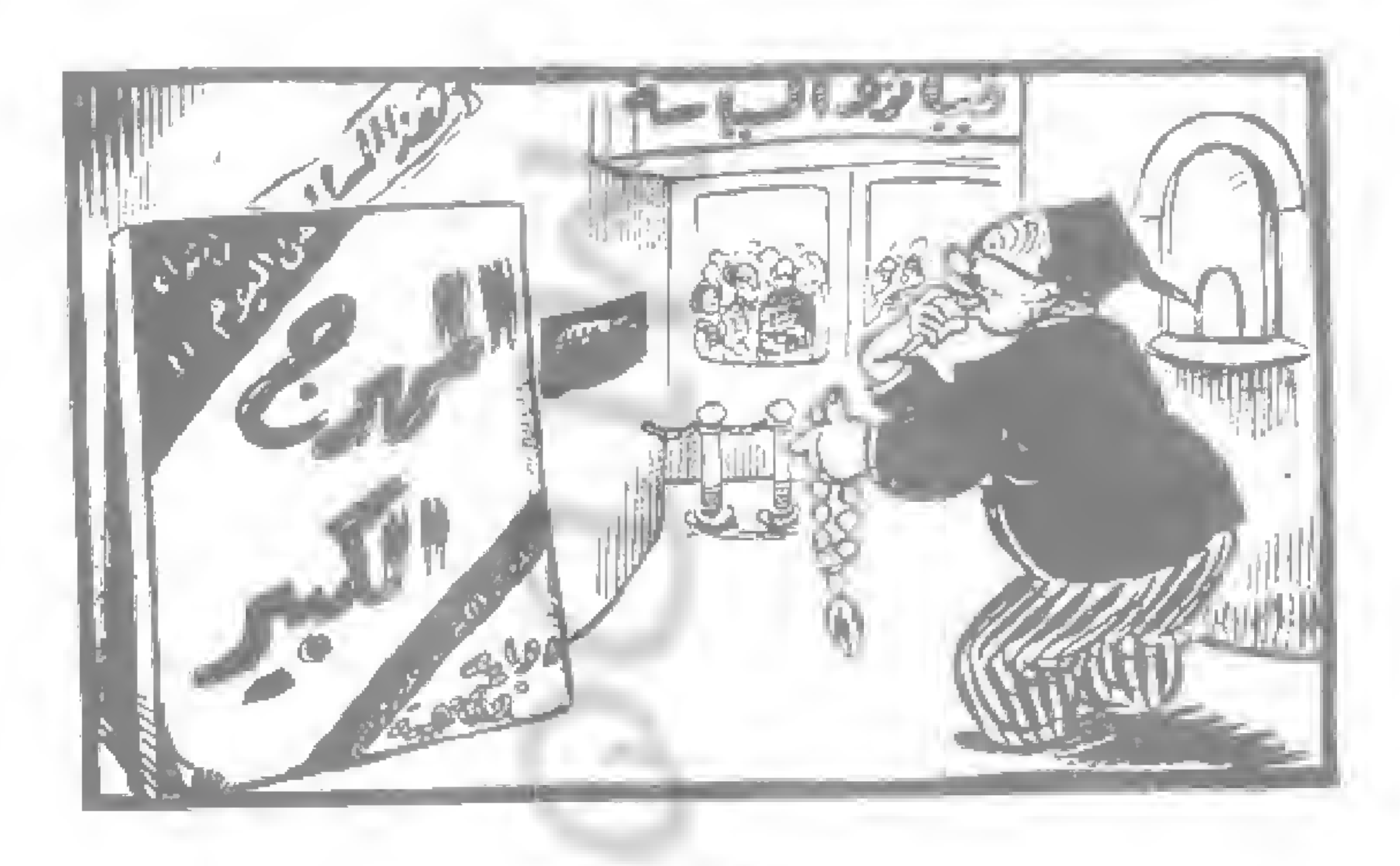
وفتحت الوزارة ابواب المعتقلات . وحددت اقامة سراج الدين وعبدالفتاح حسن . وكان ذنب المعتقلين انهم هاجموا الملك وشهروا بالفساد علنا . فكان لابد من تلقينهم درسا فى احترام الملك ، وتوقير الفساد ! ! .

ولما تزايدت المعارضة المكتومة مطالبة بالافراج عن المعتقلين .. صرح وزير الداخلية المراغى ــ او وزير الدعاية زعلوك لست ادرى ــ صرح بان عدد المعتقلين لايزيد عن ٤٤ معتقلا . وكان سيف الرقابة مسلطا على الاقلام ، فلم يستطع احد ان يقول الوزير : انت كاذب ! فان عددهم ٢٨٦ ! .

وقد تصادف يوم صدور هذا التصريح الرسمى الكاذب ، ان كان الاستاذ سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة يزور بعض المعتقلين فى هاكستيب . وقال له المعتقلون : انظر .. اننا مئات ! وعجب الرجل ، الذى لم يكن يتصور ان الوزراء يكذبون حقا ، وبهذه الجراة !

ولكن الظلام كان دامسا ، فاصبح الوزير يستطيع ان يكذب دون ان يرى الناس وجهه ! .

وكان الاحرار الذين بقوا خارج الاسوار يجتمعون ويخططون .. يقول قائل ان موجة اغتيالات لابد ستبدأ .. ويقول ثان بل الخلاص فى انفجار شعبى بعد هذا الضغط الطويل ، ويتلقى ثالث ــ فى البريد ــ نشرة بتوقيع « الضباط الاحرار » فيقول ان بريق الخلاص فى اطراف البنادق ، واسنة الحراب .



رواية الاسبوع
المصرى افندى يا ترى مين اللى بيمثل الدور الاول ؟!
عن روز اليوسف ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢

وكان للاحرار ـ خارج الاسوار ـ نشاطهم المكتوم ، وشعرهم الممنوع ، وصرخاتهم المخنوقة . وادبهم السرى تسجل صرخة منها .. كتبها الصحفي الشاعر اسماعيل الحبروك ، في اعقاب الحريق :

سأنام حتى لا ارى   وطنى يباع ويشترى
ولمن يباع ومن يبيع ؟   انجلترا لانجلترا ! !

***

سأنام حتى يا رفاق   كى لا ارى شعبا يساق
لعناق قاتله العزيز   وشرب نخب « الاتفاق »
جراركم بالهو سكم   وبكفه دمكم مراق

***

سأنام كالطير الجريح   كي لا ارى شعبى الذبيح
قد قيدوه وهددوه   وقربوه من الضريح
حكموا عليه وكمموه   فلا يئن ولا يصيح

***

سأنام عن سوق الرقيق   كى لا احس ولا افيق
نارض المفاوضة التى   بدأت على ضوء « الحريق »
وارى بلادى كالغريقة   جاء ينقذها غريق

***

سأنام عن شهيد القتال   حلم تحقق فى الخيال
اضحى الجهاد جريمة   فلتسجدوا للاحتلال ! !
من مات فر من الاذى   ومن الهوان والاعتقال

***

سأنام قبل العاشرة   وتنام مثلى القاهرة
نمنا وظلت بعدنا   عين « المفاوض » ساهرة
ونسوا النصوص وجهزوا   نعشا لمصر الثائرة

***

سأنام ، كلا لن انام   وكل من حولى نيام
سأسير اصرخ فى الدجى   متحديا هذا الظلام

ويقــال قف .. من انت ؟ ان اخشى .. سأمضى للامام
برصاصهم صنعوا الســلام فقــل على مصر الســلام ! !

او صيحه اخرى : للشاعر مأمون الشناوى توجه فيها بالخطاب لجنود الجيش ... الذين ارسلتهم القيادات الفاسدة الى الشوارع ... جاء فيها :

قال لى الحــارس قف من انت !.. فى صوت مــدو
والســلاح الفــاســد المنهــوك قــد صوب نحــوى
وانتصــاف الليــل تنعــاه النــواقيس فتعــوى
وانا فى قبضــة الظلمــاء .. قــد فــددت خطــوى

***

قلت للحــارس قــل من انت يا حارس قبــلى
انت يا مســكين مغــلوب على امــرك .. مثــلى
هب حــكامى ، وفــوادى ، واعــــدائى .. تقتلى
وغـــدا ينفجــر المرجــل .. فالمرجــل يغلى ! !

***

هـــذه الطلقـــة .. ســددها الى من ارســلوك
لا لاعـــدائك .. بل للاهـــل هم قــد رصـــدوك
قم وســـددها ، واطلقهـــا ، على من جنـــدوك
لا على الســارى .. فقــد يرمى بيمنــاك اخــوك !

***

للذى تحرســـه .. الراحــــة والحــلم العطر
ولك الفــاقة ، والامــلاق ، والعيش القــذر !
انت ان تنصره ــ يا حــارس ــ كنت المنــدحر
انت ان تخــذله ــ يا حــارس ــ كنت المنتصر ! !

***

بت يا مخــدوع فى البــرد وفى عصف الــرياح
حارسا جــلادك العــاتى من الفتــل المبــاح
اترى يبقى طــويلا .. جالســا فوق الرمــاح ؟
لن يطول الليـــل .. بل لابــد ان يأتى الصبــاح !

***

لحســاب الظلــم والاذلال من غـــير مقـــابل
انت مجـــلود ، ومقتـــول ، وجـــلاد مقـــاتل
غضبـــة من عزمك الجبـــار ، تمحـــو كل باطل
ليســود الخير ، والحــق ، مع الشعب المنــاضل !

وقد تحققت امنية الشاعر .. وغضب « الجندى » غضبته ولم يستطع « الجلاد » ان يجلس ــ طويلا فوق الرماح !

***

وقد بلغ الهلالي ــ لحساب الملك ــ قمة النجاح ، ووضع اقدامه الملوثة بطين القصر على عنق الدستور الصريع ، حتى اختفى ذلك المبدا الخطير الذى يقوم عليه كيان الدولة كلها .. الا وهو مبدأ فصل السلطات وجعلها ثلاثا : سلطة تشريعية ، وسلطة تنفيذية ، وسلطة قضائية !

فقد جمعت الوزارة ــ لحساب الملك ــ بين ايديها هذه السلطات الثلاث جميعا : فهى سلطة تنفيذية بحكم وضعها الاصلى ؛ وهى سلطة تشريعية تصدر التشريعات الشاذة صباح مساء بغير حساب .. وهى سلطة قضائية لانها تصدر احكاما باعتقال هذا واطلاق ذاك ، ولانها لاتنفذ الاحكام التى تصدرها السلطات القضائية كمجلس الدولة .. فاذا ضاقت بهذه الاحكام اصدرت تشريعا يمنع مجلس الدولة من مناقشة تصرفاتها الخارجة عن القانون .

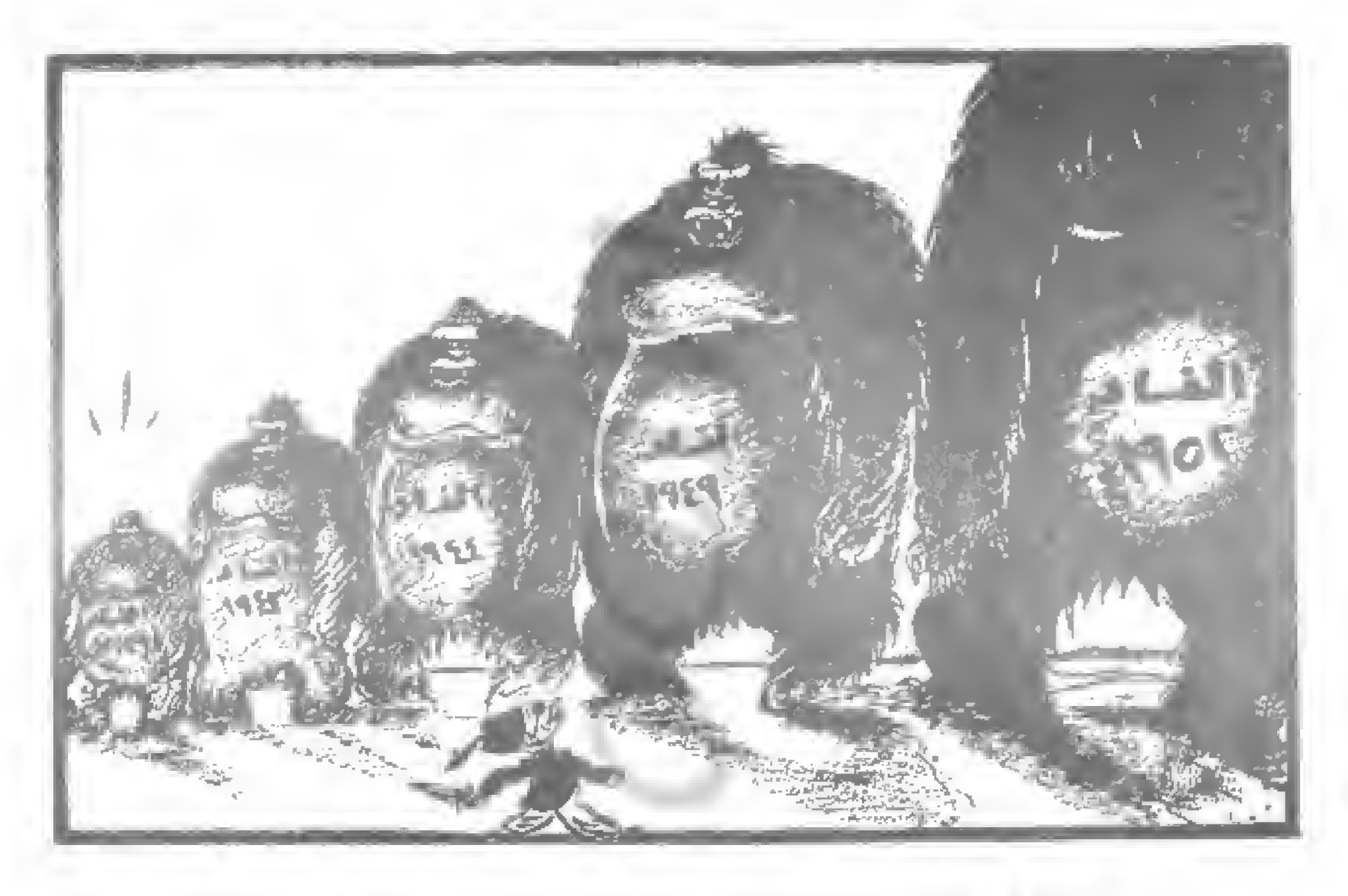
وهكذا اصبح الهلالى حاكما مطلقا بغير حزب ولا دستور ولا قضاء ولاقانون والهلالى العوبة فى يد الملك . فالملك اذا هو الحاكم المطلق بغير حزب ولا دستور ولا قضاء ولا قانون ، ومن اجل ذلك كتب الملك السابق اليه قبل نزوله عن العرش بيومين يقبل استقالته ، ويشكر له « ولاءه واخلاصه » فلعله يكون ــ كالعهد به ــ على الولاء والاخلاص مقيم !!

ولا يملك الانسان نفسه من الاسى ؛ حين يتامل هذا الصرح الظالم غير المشروع الذى وقف على قمته الطاغية .. فيجد ان اللذين اقاماه رجلان من رجال القانون والتشريع : نجيب الهلالي الذى بنى مجده على انه رجل قانون ، وكامل مرسى عميد كلية الحقوق ؛ والمستشار بمحكمة النقض ؛ والرئيس الاول لمجلس الدولة

ما معنى القانون عند هذين الرجلين ؛ وما هى حرمته ؟. هل انفقا حياتهما فى دراسة القانون وتدريسه لكي يصبح شيئا له قداسة عندهما وله حرمه . ام كان ذلك لكي ينبغا فى انتهاك القوانين ، والالتواء بها ، ووضعها مطية طيعة لحاكم فاسق جاهل مستبد .. يعمل ضد شعبه ــ وشعبهما ــ على طول الخط ؟ ..

وماذا افاد الهلالي وكامل مرسى وغيرهما من هذه « الخدمة » ؟ .. .

اننا نفهم الخيانة ، والزلفى ، وكل شيء من هذا القبيل .. اذا صدر من رجل تافه امعة يريد ان يصل او يشتهر ، او يثرى . اما من رجال صنعوا مجدهم بايديهم .. وارتفعوا بجدهم واجتهادهم .. فهذا غير المفهوم ..



الاستثناء الذى اقره الجميع !! عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

ووجد الملك الذى قبض على مصر بمخالب جارحة .. عليها اسماء الهلالى وحافظ عفيفى ومرتضى المراغى .. وجد زعماء يؤيدون كل هذا الظلام .. وحزبين ـ السعديين والاحرار الدستوريين ـ يؤيدان كل هذه المفاسد .. لسبب صغير بسيط : هو امل كاذب فى الحكم !

فلماذا لايطغى الملك ؟ لماذا لايقف على خراب مصر ضاحكا صاخبا منتصرا وبين يديه زبانية يقيدون له الثوار ، وينكلون بالاحرار ، ويقولون له : لامولى سواك ! ...

لماذا لا يؤمن الملك بان اى قوة لا يمكن أن تقف فى طريقه، ولماذا لايقول حين تجيئه انباء تمرد الضباط : انهم حفنة من « العيال » سوف اربيهم جميعا ؟!.

MIDO



المصري افندي : امتى ربنا حيتوب علي من لعب القمار
عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

أزمة الجيش

يستطيع الحاكم ان يقيم لنفسه عرشا من الحراب .. ولكنه لايستطيع ان يجلس عليه !

وقد انطبقت هـذه الحكمة على فاروق الى اقصى حد .. فبعد هذه السنوات من الخطايا : لم يعد العرش يستند الى محبة الناس ، او نصوص الدستور ، او قواعد العدالة .. بل اصبح لاسنده الا القوة المسلحة التى فى يده ، والتى يستطيع أن يوجهها الى صدور الناس اذا مافكروا فى التحرك .

وكان واضحا ان كل فرد فى الشعب يكرهـه ، وان كل جهة لديها اسباب للنقمه عليه . حتى لم يعد بقاء الملك مستندا الى شيء الا الى قوة الجيش .. وكان الاحرار يترقبون الساعة التى يتخلى فيها الجيش عن حمايته ، ليسقط . وكان فاروق احمق مما توقعوا .. فلم يجعل الجيش يتخلى عنه فقط ، بل يلتف ضده ، ويخلعه .

والذى يكشف عن مـدى حماقته : انه كان يعرف شيئا عن تمرد الجيش واحتمـال انقضاضه عليـه .. حتى ذهب يؤلف فرقة سـودانية من رجال الاحرانى .. كالفرقة السويسرية التى ظن لويس السادس عشر انهـا سوف تحميه من مواطنيه الفرنسيين !!

وكان هذا الانسان الدنىء ، ومن حوله من الاوشاب ـ بحكم حياتهم الخالية من معنى الكرامة ـ كانوا يحسبون أن كل شيء يمكن ان يشترى بالمـال .. فحـاول ان يشترى الجيش بالمـزايا والترقيات .. بدلا من ان يكتسبه بالعدل والسلوك النظيف ، والقادة الاشراف .

وبدأت بوادر السخط تظهر منذ كانت حرب فلسطين ثم قضيـة الجيش . واصبح هـذا السخط سافرا صريحـا مسجـلا ، حين بدأت تخرج الى حيز الوجود منشورات « الضباط الاحرار » .

ولـكن الحاكمين بامرهم كانوا لايدركون قيمة « الكلمة المطبوعة » وكيف تتحول مع الزمن الى اعمال ، وتحولات كبرى ، وانفجارات .. فقالوا : انها عبث اطفال .



حسين سرى

ولم يكن حسين سرى عامر هو سبب

السخط وسبب الحركة .. ولكنه فقط السبب المباشر .. أو العامل الذى تبلور فيه السخط ، كما يحدث فى جميع الحركات .

وكان الملك يريد ان يضع على رأس الجيش هذا اللص ، الفاسد ، والمتهم فى ارتكاب جريمة اغتيال دنيئة ، على قارعة الطريق ، وكان عذره ان هذه الآثام كلها لحساب سيده . اراد الملك ان يضع هذا اللص على رأس الجيش مضحيا بحيدر ، عبده القديم ..

وظهرت الاقتراحات فى صفوف الحاشية من الخدم والحلاقين : ان يرقى حسين سرى عامر كبيرا للياوران ، ثم يعين قائدا عاما بعد طرد حيدر . او ان يطرد حيدر ويرقى حسين فريد قائدا عاما ويصبح حسين سرى عامر رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش .. او يصبح وزيرا للحربية .. ويرأس حيدر نفسه .. والجميع ! ..

وكان الجيش قد صمم على طرد هذا الرجل من صفوفه ، ومقاطعته كما يقاطع المرضى ، او الوباء ..

واجتمع الضباط فى ناديهم ينتخبون مجلس الادارة فانتخبوا « الضباط الاحرار » .. ووضعوا على رأسهم خصم حسين سرى عامر الرئيسى : محمد نجيب .. ورفضوا انتخاب مندوب عن سلاح الحدود الملكى .. من اجل رئيسه الملوث .. ووقفوا دقيقتين حدادا على عبد القادر طه ، تشهيرا بجريمة حسين سرى عامر !

وثار سرى عامر .. ثم ثارت الحاشية .. فثار الملك كالبركان .. وأقسم بكل ما فى طغيانه من اندفاع انه سوف « يدوس » هؤلاء الضباط . وحاول حيدر ان يكون رجلا ، وان ينصح . فصاحوا فى وجهه . واعتبروه بأنه مفصول !.

وكان حسين سرى قد ألف الوزارة .. واراد ان يعين نجيبا وزيرا للحربية واراد الملك سرى عامر . وقال انه لن يسمح لقصة عرابى بان تتكرر !! ... وتأزم الموقف .

ودخل حافظ عفيفى يوما على رئيس الوزراء ، يقدم اليه مذكرة مكتوبة بالقلم الاحمر بها ما يأتى :

« يعتبر حيدر مفصولا من منصبه اذا لم يعمل الاتى فى خمسة ايام :

اولا — حل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش

ثانيا — نقل ١٢ ضابطا (هم اعضاء المجلس) ..

ويروى محمد هاشم ان حسين سرى سأل حافظ عفيفى :

— هل انت كاتب هذه الورقة ؟

— لا

— هل كتبها الملك ؟

ـ لا

ـ اذن .. من الذى كتبها ؟

ـ اظن انه الشماشرجى عزيز

ـ هل تعرف الضباط الاثنى عشر ؟

ـ لا .. لكن من اعطانى الورقة قال ان حيدر يعرفهم !!.

هكذا كان حافظ عفيفى ، رئيس الديوان الخطير ، الذى يقيل الوزارات ويتصرف فى مصائر البلاد .. هكذا كان حافظ عفيفى يذهب كالخادم الذليل يحمل ورقة كتبها «شماشرجى» .. لينفذ اوامرها .. دون ان يناقش فى التفاصيل .. او يعرف على الاقل من المطلوب فصلهم !!.



محمد حيدر

واستدعى حسين سرى الفريق الكبير حيدر ، وطلب منه ان يدرس هذا الطلب ثم يعيده برأيه .. وكان حيدر فزعا على المنصب الذى سيطير ، متلهفا على العودة الى حظيرة الرضاء السامى .. فأسرع بحل مجلس ادارة النادى .. ولما نهره حسين سرى على ذلك لم يجد دفاعا عن سلوكه الا قوله .

ـ انا كنت حاترفت يا افندم !!.

واستقال حسين سرى حتى لايتحمل مسئولية تصرفات الملك التى ينفذها دون أن يقيم وزنا لرأى رئيس الوزراء .

واسرع الهلالى يقبل الوزارة ـ لاهثا ـ بعد ان قضى الاسبوعين اللذين عاشت فيهما وزارة سرى ، يحاول ان يلبس ثياب المنصفين !!..

وكان معنى قبول الهلالى للوزارة ، بعد هذه الازمة ، انه سوف ينفذ مارفض سرى تنفيذه . وأنه سيخضع لرغبات الملك الى آخر حد .. او بالاحرى الى غير حد . وتحقق هذا الظن حين نظر الناس الى مقعد وزير الحربية الذى ثارت حوله الازمة ، وتطاير السرور ، فوجدوا الهلالى قد أجلس عليه : اسماعيل شيرين .

وفى الصباح التالى ، التاريخى ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، سمع الناس فى الراديو صوتا غريبا يقرأ عليهم بيان القيادة العامة الاول ... وخرج الناس من بيوتهم الى المدينة ، وقد أصبح لها حاكم جديد !...

وكان البيان قد اعلن ان هدف الجيش احترام الدستور ، وختم باللجوء الى ظل الدستور . فشعر الناس ان الحركة ليست لحساب الجيش فقط ،

بل ولحسابهم ايضا .. وانفجرت موجة التأييد تكتسح كل شيء ، وتمهد للعمل القادم العظيم !!

وليس هذا المجال بمجال تاريخ حركة الجيش .. ولكننا نمضي مع تطوراتها السياسية .. فنجد حافظ عفيفي يحاول ان يذهب الى القصر « ليتحف » سيده بمشورة جديدة فيمنعه الجيش . ثم نجد الهلالي وحافظ عفيفي والوزراء مجتمعين في بولكلي قد اخذهم الروع ، ويحاول رئيس الديوان أن يتصل بسيده في التليفون فيرد عليه محمد حسن ، الخادم الخاص .. ويقول حافظ عفيفي انه يريد ان يتصل بالملك .. فيرفض محمد حسن ! ويطلب من رئيس الديوان ان يقول له مايريد ليقوم هو بنقله الى الملك ! ...

وحاول ان تفهم بعد ذلك — أيها القارىء — أيهما رئيس الديوان وأيهما الخادم الخاص : حافظ عفيفي ام محمد حسن !!

وألف علي ماهر الوزارة بناء على طلب الجيش .. وكان هذا هو الطلب الاول ...

وطلب الجيش من علي ماهر ان يبلغ الملك المطلب الثاني : طرد رجال الحاشية .. الياس اندراوس ، كريم ثابت ، حلمي حسين ، حسن عاكف ، محمد حسن

ونجح الجيش تماما في اخفاء غرضه الاساسي من الحركة . وذلك بالرغم من المحاولات الهائلة التي بذلت لمعرفة الاهداف النهائية .. حتى لقد ذهب بعض الجواسيس يقترحون على اللواء نجيب خلع فاروق .. ليجسوا النبض ... فتظاهر الجيش بأن هذا عمل خطير ، لم يدخل له في حساب ...


اللواء محمد نجيب

وذهب علي ماهر الى الاسكندرية ليحصل على موافقة الملك على الطلب الثاني ... وخلفه تحركت قوة من الجيش .. بدعوى الاستعداد ، واشعار الانجليز بأنهم لايقبلون أي تدخل ..

وفي اليوم التالي ذهب محمد نجيب الى الاسكندرية .

وفي صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ... رأى سكان الكورنيش مع بزوغ الصبح خطا طويلا من الدبابات تزلزل الطريق ذاهبا الى قصر رأس التين ... في نفس اللحظة التي رأى فيها جيران

القصور الملكية في عابدين والقبة والمنتزه حصارا قويا تتصل حلقاته حول القصور ....

ووقعت غلطة بسيطة ، كان لها دور باهر في النتيجة الباهرة .... فقدكان المفروض ان تتقدم الدباباتالى قصر راس التين حتى تقف عند مداخل الميدان وان يقف المشاة وراءها استعدادا ....

ولكن المشاة تقدمت الدبابات خطأ ، واقتربت جدا من قصر راس التين ..

ورأى جنود الحرس الملكي من الهجانة هـذا الزحف القادم .... واسرعوا يتخذون موقف « الاستعداد » امام مدافع الفيكرز التى اقيمت منـذ بدات الحركة في حديقة القصر ...

وفي نفس اللحظة كان اللواء محمد نجيب يستعد للذهاب الى ماهر ، يقدم له الانذار الاخير بطلب عزل الملك

وبدات النهاية ...



آه لو اتعظ الناس فى نهارهم بالمغيب ،
وفى ليلهم بوحشة السكون !

تنيسون

كان فاروق ــ حين جاءته أول أنباء الانقــلاب ــ في قصر المنتزة ، ولم تكن قوة الحرس الموجودة في القصر تزيد على ٢٠٠ جندي وضــابط ... وكانت أول أوامر فاروق بعــد الحركة أن أمر جنود الحرس الحربي باتخــاذ موقف الاستعداد على أبواب القصر الخارجية ، في حين وقف بوليس القصور الملكية عند الابوا ب الداخلية للحرملك . الذي بات فيه الملك ، والاسرة ، والحاشية

ولم يطمئن فاروق الى هــذا المقام ، فانتهز أول فرصــة وانتقل مع أسرته وحاشيته الى قصر راس التين . فهو هناك يجاور قشلاق الحرس الذي توجد فيه القــوة الرئيســية ــ حوالي ٨٠٠ جندي ــ ويجاور الميـنـاء ، واليخت ، والبحرية الملكية ! ..

ومع ذلك فقد كان فاروق يعتقد أن العاصفة الرئيسية مرت بقبوله التخلي عن أفراد الحاشــية وطردهــا من القصر ــ وقد كذب على الجيش ولم يطرد بوللي بالذات . وظن ان الباقي لن يزيد على بعض طلبات أخرى .. أهون .

وظل فاروق على هذا الاطمئنان حتى الســاعة السابعة وعشر دقائق من صباح السبت ٢٦ يوليو .. اذ تقدم مشاة الجيش من أسوار القصر ، ومعهم عربتان من حمالات البرن المدرعة .

ورأى أحد ضــباط البلوكات الطابور الزاحف من احدى الجهــات ، فأطلق من مسدســه طلقة في الهواء ، للتحذير من الاقتراب ، ومن ناحية الميناء ، أطلق جنود الهجانة بعض دفعات من مدافع الفيكرز على القوة الزاحفة ، التي ردت بالمثل ....

وارتفع صــياح مذعور من جناح الحرملك ، مصــدره الوصــيفات و « الكلفوات » (١) . وأسرع فاروق ــ وكان منذ الحركة يستيقظ في ساعة مبكرة جدا ــ أسرع بأمر الاميرالاي أحمد كامل قائد بوليس القصور المــلكية بأن يتصــل بقشــلاق الحرس ويــكلف أحد الضــباط بأن يتوجه الى الجيش لايقاف الضرب .

وخرج من قشلاق الحرس يوزباشي يحمل علما أبيض متوجها الى قائد قوة الجيش التي تحاصر القصر ونقل له هذه الرغبة ... وقال قائد قوة الجيش انه يسره جدا أن لا يقع أي قتال بين مصريين

---

(١) الكلفوات عبارة عن آنسات تركيات . يختارهن القصر وهن صغيرات السن من اللقيطات من ملاجىء تركيا ! .. وفي مصر يربين تربية خاصة لــكي يصبحن رفيقات وخادمات خصوصيات للملكة والاميرات . وكان عدد الكلفوات الموجودات في قصر راس التين يوم التنازل ستة .

وعاد فاروق فبعد قليل يسأل الاميرالاي أحمد كامل : الجيش اوقف الضرب
فقال احمد كامل : ايوه يا افندم
وكان فاروق لا يتصور أن المسألة متصلة بعزله ، فقال لاحمد كامل : عما طالبين ايه تاني ؟ .. ما انا قلت اللي عايزين يعملوه .. يعملوه ...
ثم استدعى اللواء عبد الله النجومي وكلفه ان يخرج ليتساءل عن سبب الحصار ، وخرج اللواء النجومي ، ولكن قوة الجيش اسرته ،وارسلته مخفورا الى معسكر مصطفى باشا .
وكان القصر قد اتصل بعلى ماهر وبالسفير الامريكي ...
وجاء على ماهر اولا .. وكان الملك واقفا فى شرفة داخلية فأسرع اليه . وسأل فاروق فى ذعر عن الحالة ، فطمأنه على ماهر على حياته . وقال انه ذاهب الآن الى بولكلى حيث يلتقى باللواء محمد نجيب . وسوف يحيط الملك علما بكل شيء .
وخرج على ماهر ... وفى بولكلى دخل عليه اللواء محمد نجيب يحيط به ضابطان . وقدم – فى هيئة عسكرية – ورقة هى اخطر وثيقة عرفتها مصر منذ سنوات طويلات ..
وبالرغم من أن الانذار كان مفاجاة لعلى ماهر ، الا أنه لم يكن ابعد مما كان يتصور . وسأل : هل عملتم حساب كل شيء ؟
فرد محمد نجيب : نعم .. وقد فات وقت المناقشة فى هذا الطلب !
وناقش على ماهر قليلا فى صيغة الانذار ، ثم مضى الى القصر ...
ودخل على ماهر الى حجرة فى السلاملك المطل على الميناء كان فاروق ينتظره فيها .. ووجد على ماهر ان فاروق مايزال فى حالة قلق شديد .. فقال له : يا مولاى .. الشعب ثائر .. والجيش متحفز .. وانا شايف ان جلالتك تضحى وتتنازل عن العرش فتتحاشى اى احتكاك ، وتضمن العرش لابنك .
وفكر فاروق لحظة ، ولم يغب الموقف عن باله . ولم يسمح له ذعره ، ويأسه ، وتحلل شخصيته بأى مساومة أو مقاومة ، فقال بعد لحظات : طيب
ثم طلب أن يصحب معه ولى عهده ، فوعده على ماهر بذلك ...
وأخرج على ماهر من جيبه الانذار الموجه من الجيش ليطلعه عليه ...
وقرأه فاروق وهو يرتجف ، وقال متضوقا : لكن دى لهجة عنيفة قوى .. وما تصحش فى موقف زى ده ...
فقال على ماهر : انه لم يحمل اليه الانذار الاول ، وانه بذل جهده فى اقناع الجيش بتخفيف الصيغة حتى جاءت على هذا النحو
واذعن فاروق مرة اخرى . وقال : لازم الانذار الاول كان فظيع جدا ..
أما الانذار الذى قرأه الملك ، فكان يقول :

« من الفريق اركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك

انه نظرا لما لاقته البلاد في العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى اصبح كل فرد من افراده لايطمئن على حياته او ماله او كرامته . ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى اصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والامن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير

ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما افسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فاثرى من اثرى وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الامير احمد فؤاد . على ان يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه

والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج »

وطلب فاروق ان يكون وداعه رسميا لائقا ، وان يحضر لتوديعه على ماهر والسفير الامريكى ، ضمانا لسلامته . فوعده على ماهر بذلك . . . وانصرف ليرتب التفاصيل

وكانت تقاليد القصر قد اختفت في زحمة الاحداث الهائلة ، التى تجرى بهدوء شديد . ودخل الى الحجرة التى يجلس فيها فاروق عدد من الضباط الموجودين . . . على راسهم الاميرالاى أحمد كامل قائد البوليس الملكى والاميرالاى احمد ابو النصر قائد قوة الحرس

وكان بوللى في حجرة اخرى من السلاملك ، غير بعيدة

وقال فاروق : ياجماعة . . انا مش مطمئن !

فقال احد من الضباط : مش مطمئن ليه يامولانا . . ما هى الحكاية انتهت على خير والحمد لله . . .

فقال فاروق : انا خايف يفتحوا قبر ابويا . . . ويمثلوا بجثته !!!

فقال الاميرالاى احمد كامل : لا يامولانا . . . الجماعة بتوع الحركة ناس كويسين ، ومش معقول المسالة توصل لحد كده . . .

ودق التليفون . وكان على ماهر يطلب اسماء الاوصياء الذين يختارهم

الملك . وقال فاروق للاميرالاى احمد كامل :
ـ رد انت على لسانى .. قول أولا عبد المنعم .. ده راجل طيب ووالدى اوصانى عليه . وشريف صبرى علشان خالى ، ولو ان علاقاتنا كانت مش ولابد . وبعدين اسماعيل شيرين .. ده جوز اختى وانا احبه .. ولو انى اعتقد انهم مش حيوافقوا عليه
وانتهت المكالمة التليفونية
وسأل فاروق عن حلمى حسين .. فقيل له انه فى قشلاق الحرس
وكان حلمى حسين قد اعد عدته للهرب الى المملكة العربية السعودية .
وجاء تلك الليلة مصادفة ليبيت فى قشلاق الحرس ، فوقع فى المصيدة
وقال فاروق : ده تسلموه للجيش ...
وذهب يوزباشى من الموجودين الى القشلاق فأحضره خطأ الى الحجرة التى يجلس فيها فاروق ... وصاح فاروق : مين قال لك تجيبه هنا ...
وكان حلمى حسين يبكى ويتوسل : خدنى معاك يامولاى .. خدنى معاك . دول حيقتلونى ...
وتجاهل فاروق توسلاته ، وقال للضابط الذى جاء به : سلمه للجيش
وخرج به ضابطان ، يجرانه ويسندانه ، وهو يكاد أن يقع مغشيا عليه ، حتى تسلمه الجيش
وفى جو القاعة الكئيبة ، والضباط يقفون متباعدين ، مطرقى الرؤوس ، جاء من يعلن وصول سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ، ويحمل وثيقة التنازل ...
وقاد الاميرالاى احمد كامل الاستاذ سليمان حافظ الى قاعة كبيرة ... ثم مضى ليخبر الملك .. وبعد قليل جاء الملك .. وصافح سليمان حافظ .
واخرج سليمان حافظ وثيقة النزول عن العرش وقدمها اليه . وقرا فاروق فيها بسرعة :
« نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان
لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا ونبتغى سعادتها ورقيها
ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة . ونزولا على ارادة الشعب
قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الامير أحمد فؤاد
واصدرنا أمرنا هذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه
صدر بقصر راس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ ـ ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ »
ولم يرتح هذا الذى لم يعرف الا ارادته لعبارة «نزولا على ارادة الشعب»

وكأنه اراد ان يدمغ آخر وثيقة لحكمه بارادته التى لم يقف فى وجهها شىء ، فقال سليمان حافظ : هذا مفهوم ولا يحتاج الى اضافة

وغير فاروق رأيه فجأة.. وقال لبوللى : بلاش يا «بلبل» . دقيقة من عمرك

فقال الملك : اذا كان مفهوما كما تقول فلا مانع اذا من أن أضيف العبارة.

فقال سليمان حافظ انه لا يملك ان يتصرف بالتغيير فى عبارة الوثيقة ..

وأمسك الملك بالقلم ، ووقع فى ذيل الوثيقة كالمعتاد ... ولكن التوقيع جاء مضطربا ، فقال : الامضاء واضح ؟

قال سليمان حافظ : نعم

قال الملك احسن امضى تانى فوق ...علشان يبجى الامضاء غير مضطرب!

كان وكأنه لا يريد ان يترك القلم ... وحين تركه ، كان قد فقد عرشه ، ولم يعد ملكا !

وأبدى الملك السابق بعض الرغبات .. ان يأخذ معه بوللى ، وأن تحفظ أمواله لاولاده ، فوعد سليمان حافظ بنقل هذه الرغبات الى رئيس الوزراء وخرج ...

ولم يبق الملك السابق لوحده طويلا، اذ عاد ـ او عاد اليه ـ ضباط الحرس الموجودون... وقد وجدوه يبكى وجسده الضخم يهتز كله. وبكى الضباط وصاح فيهم الملك السابق : انتوا بتعيطوا ليه ؟ .. خلاص كفاية ..

وحاول الضباط ان يسكتوا . وحدق الملك السابق فى النافذة برهة ، ثم قال وهو يشير الى المدينة : انتوا فاكرين ان « الطينة » دى مش عزيزة على ؟...

وتقدم الاميرالاى أحمد أبو النصر قائد الحرس وقال للملك السابق : يامولاى ... احنا كنا عارفين حاجات كتير عن الحالة .. لكن ما كناش بنقدر نوصلك .. وللاسف ما كانش الواحد بيقدر يؤدى واجبه أكثر من ضابط ...

فقاطعه الملك السابق : بلاش الكلام ده دلوقت يا ابو النصر .. انا عرفت كل حاجة ، لكن متأخر صحيح

واستطرد الاميرالاى : يامولاى .. احنا لنا رجاء اننا نسلم بوللى للجيش زى ما سلمنا حلمى حسين ...

ورفض الملك السابق قائلا ان بوللى عزيز عليه ، وقد خدمه كثيرا .

فقال له أحد الضباط : لكن يامولاى المفروض ان بوللى طلع من السراى ، ويبقى الموقف ايه لو الجيش فتش المحروسة ووجده فيها ...

وأصر الملك السابق على أن يصحب بوللى ...

وذهب أحد الضباط الى الحرملك واقترح على الملكة ناريمان أن تحاول اقناع الملك السابق بترك بوللى ... وذهبت اليه الملكة ، فما أن رآها حتى

قال فى صوت جاف : انت جايه تعملى ايه ؟...

فعادت من حيث اتت ، دون ان تنطق بكلمة ، وهى تكتم بكاءها ...

واسرع احد الضباط الى الحجرة التى يجلس فيها بوللى وصاح فيه : يا اخى انكسف .. الراجل جوه مش عايز ياخدك ومكسوف يقول لك ... ادخل وقول له انك مش حتسافر معاه ...

فرفض بوللى وقال انه سيسافر معه

وذهب الضابط مع بوللى الى الحجرة الموجود بها الملك السابق . وانتحى الملك السابق مع بوللى جانبا فى الحجرة برهة ، ثم قال الملك : ياجماعة .. بوللى جاى معايا .. وبيقول انهم اذا قعدوه حيضرب نفسه بالرصاص .

فرد الضابط : يامولانا ... ادى مسدس ، وقدامه ٣٠٠ حجرة يضرب نفسه فى اى حجرة منها ...

وغير فاروق رايه فجاة ، وقال لبوللى : بلاش يابوللى . دقيقة من عمرك احسن ...

وخرج احد الضباط به من القصر ، وسلمه الى الجيش ...

وعادت الهواجس الى الملك السابق من جديد ... وكان يترك الضباط ورجال الراى البانيين ليمشى وحده فى ردهات القصر ثم يعود اليهم . وقال لهم مرة :

ــ اعمل ايه فى البنات ؟. دى مشكلة .. وخصوصا فريال اللى على وش جواز ... دول حيبعوا سواء سافروا معايا او بقوا فى مصر ..

واقترح عليه احد الحاضرين ان تبقى فادية مع امها ، وان يأخذ الاميرتين فريال وفوزية

وامر باحضارهن من الحرملك . ولما دخلن قال فاروق لفريال :

ــ يا « فيرى » انا شفت ان فاديه حتستنى هنا .. وانت وفوزية ايه رايكم ؟...

وبكت فريال ، وقالت له : انت لازم مش بتحبنا ، علشان ما قلتش Decision (قرار)

واغرورقت عينا الملك السابق مرة ثانية ، وقال انه سياخذهن جميعا .

ومضت ساعات العصر ثقيلة بطيئة ... لم يخل فيها الملك السابق الى جناحه الخاص الا قليلا ... اما اكثر الوقت فقضاه سائرا على قدميه فى ردهات القصر ، او واقفا عند هذه النافذة ، او تحت هذه الصورة ...

وراى الحقائب الكثيرة تحمل الى المحروسه فقال : ايه الشنط دى كلها ؟ فقيل له : انها طعام للرحلة ..

واستطرد : انا مش عاوز عفش كتير ... خدوا لى بدلتين .. « خفاف » بس ...

وكان عدد الحقائب التى حملتها السفينة ٢٢ حقيبة فقط ، وليس ٢٠٠ كما قالت الصحف
وجاءت الساعة الخامسة والنصف ...
وعلى رصيف رأس التين كانت قد وقفت قوة من الحرس على هيئة قره قول شرف . وكان هناك على ماهر ، وجيفرسون كافرى السفير الامريكى
ونزلت الملكة ناريمان والاميرات الصغيرات ، وذهبن الى اليخت مباشرة .
وبعد قليل ظهر الملك السابق يلبس بدلة بحرية ... كان فى جسده الضخم البدين ، والمأساة التى خلفه ، يبدو كأنه اسطورة مرعبة ... وهبط سلم القصر وهو ينظر حوله نظرات زائغة ... وسار امام قرقول الشرف. وبيرق الحرس ينزل من الصارى ، ثم تقدم اليه ضابط يحمل البيرق ، فأخذه الملك السابق ووضعه مطويا على ذراعه ...
وما اعجب الدورة .. فهذا الملك الذى تربى أميرا ، وليس له صديق الا الخدم ... مرت به السنون ، وساد البلد ستة عشر عاما .. وهويسافر وليس له صديق الا نفس الخدم : ثلاثة الدانيون ، وبيترو الحلاق ، وكافاتيس ... وعلى الرصيف وقف يودعه نفس الرجل القصير ... الذى استقبله منذ ستة عشر عاما ...
وكان على ماهر يبكي بشدة . واقترب كافرى من الملك السابق وقال له : Goodluck Your Majesty (حظ سعيد ياصاحب الجلالة)
وكررها مرة ثانية ... ثم تأخر وهو يجهش بالبكاء ... وقال الحاضرون انه كان كمن مات له ولد !! ...
ونظر الملك فى ساعته فوجد بينها وبين السادسة دقيقتين ، فقال لعلى ماهر :
ـ نجيب ما جاش ... وانا لازم امشى بقى ...
ومشى ...
مشى الى القارب البخارى بخطوات بطيئة جدا ... ثقيلة جدا .. كمن أفاق من حلم
وبعد أن نزل فى القارب ، استدار ، وقال فى صوت محشرج غطى عليه صوت المحرك :
ـ سلموا لى على عساكر الحرس والضباط اللى ما شفتهومش !...
ووصل اللواء محمد نجيب . فقال له على ماهر : ده مشى خلاص
ولكنه اصر على ان يودعه ... واحضر له قارب ركبه ، وصعد الى المحروسة ، وكان الملك السابق واقفا عند رأس السلم .. وتصافح الغريمان
وكان الواقع الماثل أمام عينى الملك السابق أقسى من أن يتحمله . فأثارته عصا فى يد ضابط يقف الى جوار نجيب ، وطلب من الضابط ان ينكسها

وسكت الضابط فلم يجب . ولم ينكسها . ومر الملك السابق بهذا الواقع الجديد ، كانه لا يلاحظه .

ثم نزل نجيب عائدا الى الشاطىء ...

وتحركت المحروسة الى عرض البحر ، والشمس تغرب ...

وقال الذين سافروا معه : انه دخل مباشرة الى حجرته ... واخذ يبكي بكاءا حارا ، طويلا ، مسموعا ... ندما على خطايا وآثام ، لا تغسلها ميـاه البحر ، ولا يطمسها ظلال الليل ، الذى أطبق على الركب !

٢٦ اغسطس ١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٤١٩٢ / ٩٩

I. S. B. N 977 - 01 - 6510 - 7